إمداد القاري

بشرح كتاب التفسير من

صحيح البخاري

تأليف

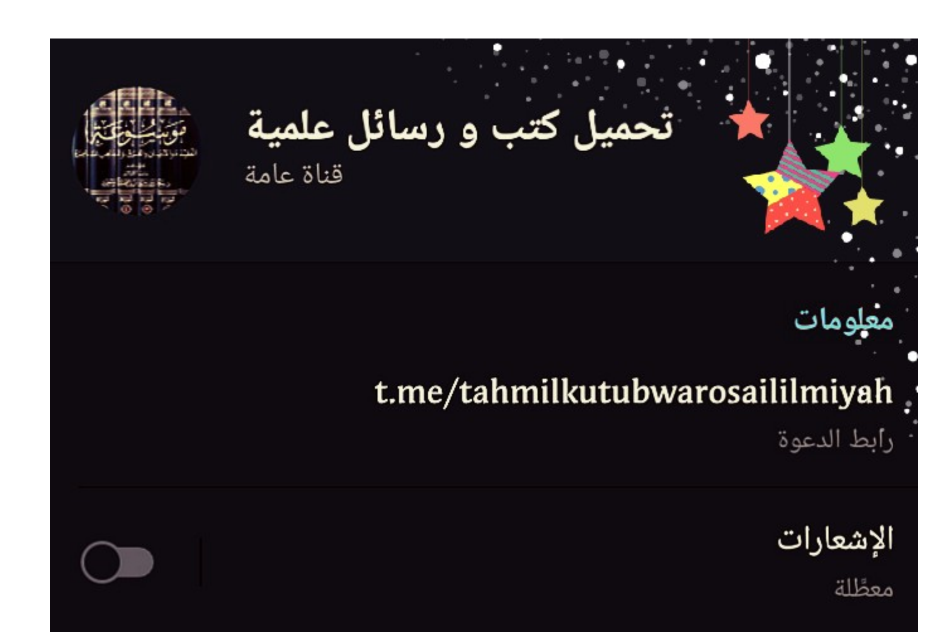
فضيلة الشيخ العلامة

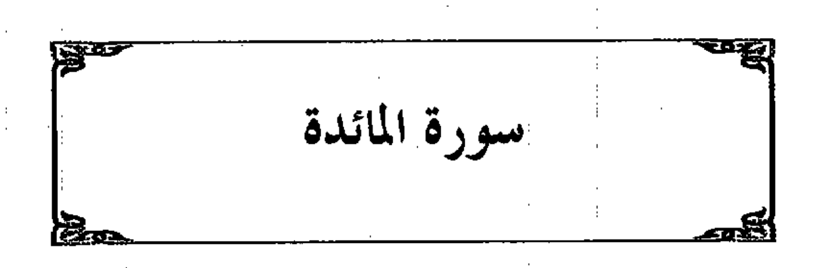
عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً

الجزء الثاني

مكتبة الفرقان


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة



١٠٨- [باب تفسير سورة المائدة]

ش: وشاهد التسمية قوله تعالى: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾.**

وقد روى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال: «آخر سورة أنزلت سورة المائدة والفتح». ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وروى الحاكم في مستدركه عن جبير بن نفير قال: «حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه». ثم قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

وآياتها عشرون ومائة. وحكى القرطبي الإجماع على أنها مدنية. وحكى ابن العربي عن أبي ميسرة قال: في المائدة ثماني عشرة فريضة.

وقال غيره: فيها يا أيها الذين آمنوا في ستة عشر موضعا.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿حرم﴾ واحدها حرام].

ش: هو تفسير أبي عبيدة وأنشد:

«**فقلت لها فيئي إليك فإنني   حرام وإني بعد ذاك لبيب**»

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿يا أيها الذين ءامنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد﴾.**

٢- [﴿فبما نقضهم﴾ بنقضهم].

ش: قاله أبو عبيدة: «وزاد: والعرب تستعمل "ما" في كلامها توكيداً وإن كان الذي قبلها بجر جررت الاسم الذي قبلها، وإن كان مرفوعا رفعت الاسم، وإن كان منصوباً نصبت الاسم كقولهم: ليت من العشب خوصه»اهـ

قلت: والإشارة بهذه الكلمة إلى قوله: **﴿فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ الآية.**

٣- [﴿التي كتب الله﴾ جعل الله].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لكم وقضاه.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿وإذ قال موسى يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين﴾.**

٤- [﴿تبوء﴾ تحمل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إثمي وتفوز به، وله موضع آخر أن تقر به، تقول: بؤت بذنبي، ويقال: قد أبأت الرجل بالرجل أي قتلته، وقد أبأ فلان بفلان إذا قتله بقتيل.قال عمرو بن حني التغلبي:

«**ألا تستحي منا ملوك وتتقي   محارمنا لا يباء الدم بالدم**

ولا يباء الدم بالدم سواء في معناها، ويقال: أبأت بهذا المنزل أي نزلت»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿إني أريد أن تبوأ بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين﴾**.

٥- [**﴿دائرة﴾ دولة**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والدوائر قد تدور وهي الدولة، والدوائل تدول، ويديل الله منه».اهـ

والآية المشار إليها: **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ الآية**.

٦- [**وقال غيره: الإغراء التسليط**].

ش: قلت: لم يتبين لنا من المراد به ولعله أراد غير صاحب التفسير السابق وهو أبو عبيدة. ولم أجده بهذا اللفظ عن أحد.

وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي قال: «هذه الأهواء المختلفة، والتباغض فهو الإغراء».

وتفسير الإغراء بالتسليط يلازم معنى الإغراء؛ لأن حقيقة الإغراء كما قال أبو عبيدة (١/١٥٩): «التهييج والإفساد».

والآية المشار إليها: **﴿فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة﴾**.

٧- [**﴿أجورهن﴾ مهورهن**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس.

والآية المشار إليها: **﴿والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن﴾**.

٨- [**قال سفيان: ما في القرآن آية أشدُّ عليّ من ﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾**].

ش: يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء ومقتضاه أن من أخل ببعض الفرائض فقد أخل بالجميع؛ ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها، ويحتمل أن يكون هذا مما كان على أهل الكتاب من الإصر. قاله الحافظ.

قلت: وسفيان هو سفيان بن سعيد الثوري.

٩- [﴿من أحياها﴾ : يعني من حرم قتلها إلا بحق، حيي الناس منه جميعاً].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾.**

١٠- [﴿شرعة ومنهاجاً﴾ سبيلاً وسنة].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير وقال أبو عبيدة: «**﴿شرعة﴾** أي سنة، **﴿ومنهاجا﴾** سبيلا واضحاً.وقال:

من يك ذا شكٍ فهذا فلج ماءٌ رواء وطريق نهج» اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾.**

١١- [﴿المهيمن﴾ الأمين، القرآن أمينٌ على كل كتابٍ قبله].

ش: قاله ابن عباس كما أخرجه عنه ابن جرير من طريق المثنى، عن عبد الله بن صالح، عن معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس فذكره.

وأخرج عن سعيد بن جبير والحسن نحوه.وهو **أحد** أربعة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى الشهيد وهو قول السدي وقتادة ومجاهد وهو الرواية الثانية

عن ابن عباس.

وثالثها: بمعنى المصدق وبه قال ابن زيد.

ورابعها: أنه محمد ﷺ مؤتمن على القرآن وبه قال مجاهد في الرواية الثانية.

قلت: ولا اختلاف عندي بين الثلاثة الأولى وأما القول الرابع فليس ظاهراً من السياق والله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿**وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**﴾.

١٠٩- [باب ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**﴾.

قوله: ﴿**حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير**﴾.

قال ابن سعدي: «واعلم أن الله تبارك وتعالى، لا يحرم ما يحرم إلا صيانة لعباده، وحماية لهم من الضرر الموجود في المحرمات، وقد يبين للعباد ذلك، وقد لا يبين، فأخبر أنه حرم «الميتة»، والمراد بالميتة ما فقدت حياته بغير ذكاة شرعية، فإنها تحرم لضررها، وهو احتقان الدم في جوفها ولحمها، المضر بأكلها، وكثيراً ما تموت بعلة تكون سبباً لهلاكها، فتضر بالأكل ويستثنى من ذلك ميتة الجراد، والسمك فإنه حلال.

قلت: لحديث: «أحل لنا ميتتان ودمان، أما الميتتان فالسمك والجراد». «والدم» أي المسفوح كما قيد في الآية الأخرى. **قلت**: وهي قوله تعالى من سورة الأنعام: ﴿**قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرم على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً**﴾. ﴿**ولحم الخنزير**﴾ وذلك شامل جميع أجزائه، وإنما نص عليه من بين سائر الخبائث من السباع؛ لأن طائفة من أهل الكتاب من النصارى يزعمون أن الله أحله لهم أي فلا تغتروا بهم، بل هو محرم من جملة الخبائث»اهـ.

قوله: ﴿**وما أهل لغير الله به**﴾.

قال ابن جرير: «فإنه يعني وما ذكر عليه غير اسم الله وأصله من استهلال

الصبي وذلك إذا صاح حين يسقط من بطن أمه، ومنه إهلال المحرم بالحج إذا لبى به ومنه قول ابن أحمر:

يُهل بالفرقد رُكبانها كما يُهل الراكب المعتمر

وإنما عنى بقوله ﴿**وما أهل لغير الله به**﴾ وما ذبح للآلهة وللأوثان يسمى عليه غير اسم الله». اهـ

قوله ﴿**والمنخنقة والموقوذة ـ إلى قوله ـ إلا ما ذكيتم**﴾.

قال الشوكاني: «﴿**والمنخنقة**﴾: هي التي تموت بالخنق، وهو حبس النفس سواء كان ذلك بفعلها كأن تدخل رأسها في حبل أو بين عودين، أو بفعل آدمي أو غيره. وقد كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة فإذا ماتت أكلوها.

﴿**والموقوذة**﴾: هي التي تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية، يقال: وقذه يقذه وقذاً فهو وقيذ. والوقذ شدة الضرب. وفلان وقيذ أي مثخن ضرباً. ـ **قلت**: ومن الوقذ ما يعرف اليوم بالذبح عن طريق الصعق الكهربائي في أوروبا، وأمريكا ـ.

وقوله ﴿**والمتردية**﴾: هي التي تتردى من علو إلى أسفل فتموت من غير فرق بين أن تتردى من جبل أو بئر أو مدفن أو غيرها والتردي مأخوذ من الردى وهو الهلاك وسواء تردت بنفسها أو ردّاها غيرها.

قوله ﴿**والنطيحة**﴾: هي فعيلة بمعنى مفعولة وهي التي تنطحها أخرى فتموت من دون تذكية.

قوله ﴿**وما أكل السبع**﴾: أي ما افترسه ذو ناب كالأسد والنمر والذئب والضبع ونحوها، والمراد هنا ما أكل منه السبع؛ لأن ما أكله السبع كله قد فنى.

قوله ﴿**إلا ما ذكيتم**﴾: في محل نصب على الاستثناء المتصل عند الجمهور، وهو راجع على ما أدركت ذكاته من المذكورات سابقاً، وفيه حياة. وأصل الذكاة في اللغة التمام أي تمام استكمال القوة، والمراد هنا: ما أدركتم ذكاته على

التمام.والتذكية في الشرع عبارة عن انهيار الدم وفري الأوداج في المذبوح والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور، مقرونا بالقصد لله فذكر اسمه عليه)).انتهى محل الغرض.

قوله ﴿**وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق**﴾.

قال ابن كثير: ((قال مجاهد وابن جريج: كانت النصب حجارة حول الكعبة، قال ابن جريج: وهي ثلاثمائة وستون نصباً.وكذا ذكره غير واحد، فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع وحرّم عليهم أكل هذه الذبائح التي ذبحت عند النصب حتى لو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب[1] من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، وينبغي أن يحمل هذا على هذا؛ لأنه قد تقدم تحريم ما أهل به لغير الله.

وقوله:﴿**وأن تستقسموا بالأزلام**﴾ أي حرم عليكم أيها المؤمنون الاستقسام بالأزلام واحدها زِلم وقد تفتح الزاي فيقال زَلم، وقد كانت العرب في جاهليتها يتعاطون ذلك وهي عبارة عن قداح ثلاثة مكتوب على أحدها افعل وعلى الآخر لا تفعل، والثالث غفل ليس عليه شيء.

قوله ﴿**ذلكم فسق**﴾ أي تعاطيه فسق وغي، وضلالة، وجهالة، وشرك، وقد أمر الله المؤمنين إذا ترددوا في أمورهم أن يستخيروه بأن يعبدوه ثم يسألوه الخير في الأمر الذي يريدونه)).انتهى محل الغرض.

وقوله ﴿**اليوم يئس الذين كفروا من دينكم**﴾.

قال البغوي: ((يعني أن ترجعوا إلى دينهم كفاراً، وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم فلما قوي الإسلام أيسوا، ويئس وأيس بمعنى واحد))اهـ.

---

(١) قلت:كذا في الأصل ولعلها ((فإنه من الشرك الذي حرمه الله ورسوله)).

قوله: «﴿**فلا تخشوهم واخشون**﴾» أي لا تخافوهم وخافوني فإني أنا القادر على نصركم ».قاله القرطبي.

قوله «﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾» .

قال ابن سعدي: «اليوم أكملت لكم دينكم بتمام النصر وتكميل الشرائع الظاهرة والباطنة الأصول والفروع، ولهذا كان الكتاب والسنة كافيين كل الكفاية في أحكام الدين وأصوله وفروعه، فكل متكلف يزعم أنه لا بد للناس في معرفة عقائدهم وأحكامهم إلى علوم غير علم الكتاب والسنة، من علم الكلام وغيره فهو جاهل مبطل في دعواه قد زعم أن الدين لا يكمل إلا بما قاله ودعا إليه، وهذا أعظم الظلم والتجهيل لله ولرسوله.

﴿**وأتممت عليكم نعمتي**﴾ الظاهرة والباطنة ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ أي اخترته واصطفيته لكم ديناً كما ارتضيتكم له فقوموا به شكراً لربكم، واحمدوا الذي منّ عليكم بأفضل الأديان وأشرفها وأكملها».اهـ

قوله ﴿**فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم**﴾.

قال القنوجي: «أي من دعته الضرورة في مخمصة أي مجاعة إلى أكل الميتة وما بعدها من المحرمات، والخمص ضمور البطن، ورجل خميص وخمصان، وامرأة خميصة، ومنه أخمص القدم لدقتها وهي صفة محمودة في النساء ويستعمل كثيراً في الجوع، ووقعت هذه الآية هنا وفي البقرة والأنعام والنحل ولم يذكر جواب الشرط إلا في البقرة فيقدر في غيرها وهو: فلا إثم عليه.

﴿**غير متجانف لإثم**﴾ الجنف الميل والإثم الحرام.أي حال كون المضطر في مخمصة غير مائل لإثم وهو بمعنى غير باغ ولا عاد، وكل مائل فهو متجانف وجنف ﴿**فإن الله غفور**﴾ له ﴿**رحيم**﴾ به لا يؤاخذه بما ألجأته إليه الضرورة في الجوع مع عدم ميله بأكل ما حرم عليه إلى الإثم، بأن يكون باغياً على غيره

متعدياً لما دعت إليه الضرورة حسبما تقدم».اهـ

من فقه الآية:

أولاً: عظيم لطف الله بعباده وسعة رحمته بهم ومن ذلك أنه أباح لهم ما ينفعهم وحرم عليهم ما يضرهم.

ثانياً: في إخباره المؤمنين بيأس الكفار من دينهم إرشاد إلى الثبات على دين الإسلام والتمسك به والقوة فيه.

ثالثاً: في قوله ﴿**فلا تخشوهم واخشون**﴾ دليل على بطلان دعوى الحوار بين الأديان والتقريب بينها فإن تلك الدعوى منكر وضلال إذ هي تمييع للإسلام.

رابعاً: إمتنان الله على هذه الأمة بتكميل دينها على لسان رسولها ﷺ .

خامساً: في قوله ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ دليل على أن ما عدى الإسلام من الأديان باطل وفي هذا رد على دعاة وحدة الأديان، إذ أن تلك الدعوى كفر صريح ومصادمة لما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع الأئمة بأنه لا دين سوى الإسلام.

سادساً: نفي الحرج والإثم عن من ألجأته الضرورة إلى أكل المحرمات المذكورة في الآية.

[وقال ابن عباس: ﴿مخمصة﴾ مجاعة].

ش/ أخرجه ابن جرير: ثني المثنى، ثنا أبو صالح، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه عن قتادة والسدي وابن زيد.

١٢٧ـ حدثني محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا سفيان، عن قيس، عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة وإنا والله بعرفة.

قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**قالت اليهود**» في المغازي باب حجة الوداع من طريق الثوري، عن قيس بن مسلم «أن ناساً من اليهود» وفي الإيمان باب زيادة الإيمان من رواية أبي العميس، عن قيس بن مسلم «أن رجلا من اليهود» «هذا الرجل هو كعب الأحبار. بين ذلك مسدد في مسنده والطبري في **تفسيره** والطبراني في **الأوسط** كلهم من طريق رجاء بن أبي سلمة، عن عبادة بن نُسي بضم النون، عن إسحاق بن خرشة، عن قبيصة بن ذؤيب، عن كعب الأحبار» الحديث. فيحمل على أنهم كانوا حين سؤال كعب الأحبار عن ذلك جماعة، وتكلم كعب على لسانهم». حكاه الحافظ.

الثانية: قوله «**لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً**» في زيادة الإيمان ونقصانه قال «لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيداً».

قلت: والعيد اسم لما يعود ويتكرر والمعنى لو كانت تلك الآية نزلت علينا لجعلنا يوم نزولها عيداً نظهر فيه الفرحة والبهجة والسرور كل عام احتفاءً بتلك الآية لعظم شأنها.

الثالثة: قوله «**إني لأعلم حيث أنزلت، وأين نزلت، وأين رسول الله حين**

نزلت» في كتاب الإيمان «قال عمر أي آية؟ قال: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ قال عمر: قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ وهو قائم بعرفة يوم الجمعة».

الرابعة: قوله «**قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾**».

قلت: سفيان هو ابن سعيد الثوري والقائل هو عبد الرحمن بن مهدي، ويزيل الشك ما سبق من البيان وقد جاء الجزم من رواية أبي العميس.

الخامسة: قوله «﴿**اليوم أكملت لكم دينكم**﴾» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير آية الباب.

من فقه الحديث :

أولاً: عظم شأن هذه الآية عند المسلمين.

ثانياً: فقه عمر رضي الله عنه وذلك أنه في مطابقة جواب عمر للسؤال؛ لأنه سأله عن اتخاذه عيداً فأجاب بنزولها بعرفة يوم الجمعة. وفي بعض طرق الحديث قال رضي الله عنه: «**وكلاهما لنا عيد**».

ثالثاً: فيه دليل على أن عرفة عام حجة الوداع كان يوم الجمعة كما في بعض الروايات.

١١٠- [باب قوله ﴿فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاةفاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين، وإن كنتم جنباً فاطهروا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾.

قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا - إلى قوله - إلى الكعبين﴾.

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: «هذه آية عظيمة، قد اشتملت على أحكام كثيرة، نذكر منها، ما يسره الله وسهله.

أحدها: هذه المذكورات في امتثالها والعمل بها من لوازم الإيمان، الذي لا يتم إلا به؛ لأنه صدرها بقوله: ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ إلى آخرها.أي يا أيها الذين آمنوا اعملوا بمقتضى إيمانكم، بما شرعناه لكم.

والثاني: الأمر بالقيام بالصلاة لقوله: ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾.

والثالث: الأمر بالنية للصلاة، لقوله: ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾ أي بقصدها ونيتها.

الرابع: اشتراط الطهارة، لصحة الصلاة؛ لأن الله أمر بها عند القيام إليها، والأصل في الأمر الوجوب.

الخامس: أن الطهارة لا تجب بدخول الوقت، وإنما عند إرادة الصلاة.

السادس: أن كل ما يطلق عليه اسم الصلاة، في الفرض، والنفل، وفرض الكفاية، وصلاة الجنازة، تشترط له الطهارة، حتى السجود المجرد عند كثير من العلماء، كسجود التلاوة، والشكر.

السابع: الأمر بغسل الوجه، وهو ما تحصل به المواجهة، من منابت شعر

الرأس المعتاد، إلى ما انحدر من اللحيين والذقن، طولاً. ومن الأذن إلى الأذن، عرضاً. ويدخل فيه المضمضة والاستنشاق، بالسنة. ويدخل فيه، الشعور التي فيه. لكن إن كانت خفيفة فلا بد من إيصال الماء إلى البشرة. وإن كانت كثيفة اكتفى بظاهرها.

الثامن: الأمر بغسل اليدين، وأن حده إلى المرفقين. و"إلى" كما قال جمهور المفسرين بمعنى "مع" كقوله تعالى: ﴿**ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم**﴾ ولأن الواجب لا يتم إلا بغسل جميع المرفق.

التاسع: الأمر بمسح الرأس.

العاشر: أنه يجب مسح جميعه؛ لأن الباء ليست للتبعيض، وإنما هي للملاصقة وأنه يعم المسح بجميع الرأس.

الحادي عشر: أنه يكفي المسح كيفما كان بيديه أو إحداهما، أو خرقة، أو خشبة، أو نحوها؛ لأن الله أطلق المسح، و لم يقيده بصفة، فدل ذلك على إطلاقه.

الثاني عشر: أن الواجب المسح. فلو غسل رأسه و لم يمر بيده عليه لم يكف؛ لأنه لم يأت بما أمر الله به.

الثالث عشر: الأمر بغسل الرجلين إلى الكعبين، ويقال فيهما ما يقال في اليدين.

الرابع عشر: فيها الرد عل الرافضة على قراءة الجمهور بالنصب. وأنه لا يجوز مسحها ما دامتا مكشوفتين.

الخامس عشر: فيه الإشارة إلى مسح الخفين، على قراءة الجر في ﴿**أرجلكم**﴾. وتكون كل من القراءتين محمول على معنى. فعلى قراءة النصب فيها غسلهما، وإن كانتا مكشوفتين. وعلى قراءة الجر فيهما مسحهما إذا كانتا مستورتين بالخف.

السادس عشر: الأمر بالترتيب في الوضوء؛ لأن الله تعالى ذكرها مرتبة، ولأنه أدخل ممسوحاً ـ وهو الرأس ـ بين مغسولين، ولا يعلم لذلك فائدة غير الترتيب.

السابع عشر: أن الترتيب مخصوص بالأعضاء الأربعة المسميات في هذه الآية، وأما الترتيب بين المضمضة والاستنشاق والوجه، أو بين اليمنى واليسرى من اليدين والرجلين، فإن ذلك غير واجب، بل يستحب تقديم المضمضة على الاستنشاق على غسل الوجه.وتقديم اليمنى على اليسرى من اليدين والرجلين. وتقديم مسح الرأس على مسح الأذنين.

الثامن عشر: الأمر بتجديد الوضوء عند كل صلاة، لتوجد صورة المأمور به)).اهـ

قال مقيده: واعلم أن تجديد الوضوء مندوب وليس بواجب إلا إذا انتقض الوضوء بحدث أو بما هو في حكم الحدث كالنوم فإن الوضوء في هذه الحالة واجب ومن تركه عامداً ذاكراً لذلك الناقض لم تصح صلاته وهذا الحكم قد أفادته السنة المستفيضة عن النبي ﷺ منها ما أخرجه البخاري وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ) وثمت أمران آخران جاءت بهما السنة في الوضوء غير ما تضمنته الآية الكريمة:

أحدهما: بيان لما أجمل في آية الوضوء هذه .

وثانيهما: زيادة على ما فيها وهاك أمثلة لذينك الأمرين:

فمن الأول:

١ ـ ما أخرجه الشيخان، عن حمران مولى عثمان بن عفان أنه رأى عثمان رضي الله عنه دعى بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات ثم أدخل يمينه في الوضوء ثم تمضمض واستنشق واستنثر ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه

إلى المرفقين ثلاثاً ثم مسح برأسه ثم غسل كلتا رجليه ثلاثاً ثم قال: رأيت النبي ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا وقال: (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غفر الله له ما تقدم من ذنبه).

٢ ـ حديث عمرو بن يحيى المازني عن أبيه قال: شهدت عمرو بن أبي الحسن سأل عبدا لله بن زيد عن وضوء رسول الله ﷺ فدعا بتور من ماء فتوضأ لهم وضوء رسول الله ﷺ فأكفأ على يديه من التور فغسل يديه ثلاثاً ثم أدخل يديه في التور فمضمض واستنشق واستنثر ثلاثاً بثلاث غرفات ثم أدخل يده في التور فغسل وجهه ثلاثاً ثم أدخل يده فغسلهما مرتين إلى المرفقين ثم أدخل يديه فمسح بهما رأسه فأقبل بهما وأدبر مرة واحدة ثم غسل رجليه . وفي رواية: بدء بمقدم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه ثم ردهما حتى رجع إلى المكان الذي بدأ منه، وفي رواية أتانا رسول الله ﷺ فأخرجنا له ماء في تور من صفر .

٣ ـ ما رواه مسلم عن نعيم بن عبدا لله المجمر؛ قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ فغسل وجهه فأسبغ الوضوء، ثم غسل يده اليمنى حتى أشرع في العضد، ثم يده اليسرى حتى أشرع في العضد، ثم مسح رأسه،ثم غسل رجله اليمنى حتى أشرع في الساق،ثم غسل رجله اليسرى حتى أشرع في الساق،ثم قال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ، وقال: قال رسول الله ﷺ: أنتم الغر المحجلون يوم القيامة، من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله .

قلت: في هذه الأحاديث الثلاثة كما ترى ثلاثة من أنواع البيان:

أحدها: عدد الغسلات وأنها ثلاث، وهذه إحدى الكيفيات الثابتة عن النبي ﷺ في الوضوء .

ثانيها: كيفية مسح الرأس ومقداره، وأنه مرة واحدة كما في حديث عبدا لله بن زيد وإن قال أحد وهل مسح الرأس مقصور على ما أفاده حديث عبدا لله بن زيد؟ قلنا: قد جاء عن عثمان وغيره من طرق يشد بعضها بعضاً

التثليث في مسح الرأس .

ثالثها: النص الصريح في حديث أبي هريرة على أن: (إلى) في قوله: (إلى المرافق) (إلى الكعبين) بمعنى: مع . ووجه الاستدلال إدخال أبي هريرة رضي الله عنه، غسل المرافق في اليدين وغسل الكعبين في الرجلين.

ومن **الثاني**: حديثا عثمان وعبدالله بن زيد المتقدمان وفيهما: أن رسول الله ﷺ غسل كفيه وتمضمض واستنشق واستنثر .

٢ ـ ما رواه أبو داود عن لقيط بن صبرة قال قال النبي ﷺ: اسبغ الوضوء وخلل بين الأصابع وبالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صائماً .

٣ ـ وعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا توضأ أخذ كفاً من ماء فأدخل تحت حنكه فخلل به لحيته وقال: هكذا أمرني ربي عزوجل .

٤ ـ وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: (يارسول الله كيف الطهور ؟ فدعاء بماء في إناء فغسل كفيه ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل ذراعيه ثلاثاً، ثم مسح برأسه فأدخل إصبعيه السباحتين في أذنيه ومسح بإبهاميه على ظاهر أذنيه وبالسباحتين باطن أذنيه، ثم غسل رجليه ثلاثاً ثلاثاً).الحديث

٥ ـ وعن ربيع بنت معوذ بن عفراء قالت: رأيت رسو الله ﷺ يتوضأ، قالت: فمسح رأسه ومسح ما أقبل منه وما أدبر وصدغيه وأذنيه مرة واحدة .

قال مقيده: فتأمل ما تضمنته هذه الأحاديث الصحيحة من الزيادات:

فأولاً: غسل الكفين والمضمضة والاستنشاق ثلاثاً كما في حديث عثمان وعبدالله بن زيد .

ثانياً: الأمر بتخليل الأصابع، وهذا صريح في حديث لقيط .

ثالثاً: تخليل اللحية وهذا ظاهر من حديث أنس .

ورابعها: مسح الأذنين وكيفية ذلك . وهذا ما نص عليه حديث عمرو بن

شعيب عن أبيه عن جده .

خامسها:مسح الصدغين مع الأذنين وهذا ما روته عنه ﷺ الربيع بنت معوذ.

قوله **﴿وإن كنتم جنباً فاطهروا﴾**.

قال ابن جرير: «يعني بقوله جل ثناؤه **﴿وإن كنتم جنباً﴾** وإن كنتم أصابتكم جنابة قبل أن تقوموا إلى صلاتكم فقمتم إليها فاطهروا، يقول: فتطهروا بالاغتسال منها قبل دخولكم في صلاتكم التي قمتم إليها، ووحد الجنب وهو خبر عن الجميع؛ لأنه اسم خرج مخرج الفعل كما قيل: رجل عدل وقوم عدل، ورجل زور وقوم زور، وما أشبه ذلك لفظ الواحد والجميع والاثنين والذكر والأنثى فيه واحد يقال منه أجنب الرجل وجنب واجتنب والفعل الجنابة والإجناب.وقد سمع في جمعه أجناب وليس ذلك بالمستفيض الفاشي في كلام العرب، بل الفصيح من كلامهم ما جاء به القرآن» .

قلت: ومن أكمل صفات غسل الجنابة ما رواه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا اغتسل من الجنابة غسل يديه، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم يغتسل ثم يخلل بيديه شعره، حتى إذا ظن أنه قد أروى بشرته، أفاض الماء عليه ثلاث مرات، ثم غسل سائر جسده».

قوله **﴿فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه﴾** هذه هي صفة التيمم فالآية كما ترى صريحة في أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين من الصعيد وقد جاء بيان ذلك فيما رواه الشيخان عن عمار رضي الله عنه قال: بعثني النبي ﷺ في حاجة فاجنبت، فلم أجد الماء، فتمرغت في الصعيد كما تمرغ الدابة، ثم أتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: «إنما كان يكفيك أن تقول بيديك هكذا».ثم ضرب بيديه الأرض ضربة واحدة، ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه.

وأما قوله **(منه)** فإن مرجع الهاء هو الصعيد وهل (من) في الآية للتبعيض أو

ابتداء الغاية قولان لأهل العلم:

فالأول: قول أحمد والشافعي.

والثاني: قول مالك.

والفرق بينهما لزوم نقل التراب إلى الأعضاء على القول الأول، وعدم لزومه على القول الثاني.وجعل (من) لابتداء الغاية هو الراجح إن شاء الله؛ لأمرين:

الأول: أن كثيراً من الأرض ليس لترابها غبار.

والثاني: ما صح عن النبي ﷺ أنه تيمم على الحائط.

واعلم أن التيمم له شروط لا يصح إلا بتوفرها وهي:

أولاً: عدم الماء أو العجز عن استعماله.

ثانياً: النية لقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات».

ثالثاً: دخول الوقت ودليله في الآية ﴿**إذا قمتم إلى الصلاة**﴾.

رابعاً: طهارة الصعيد.

قوله ﴿**ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم**﴾.

قال البغوي: «بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم ﴿**من حرج**﴾ ضيق ﴿**ولكن يريد ليطهركم**﴾ من الأحداث والخبائث والذنوب».اهـ

قوله ﴿**وليتم نعمته عليكم**﴾.

قال الشوكاني: «أي بالترخيص لكم في التيمم عند عدم الماء وبما شرعه لكم من الشرائع التي عرّضكم بها للثواب ﴿**لعلكم تشكرون**﴾ نعمته عليكم فتستحقون بالشكر ثواب الشاكرين .

قال مقيده: واعلم أن أركان الشكر ثلاثة:

أحدها: الإقرار بالنعمة باطناً.

وثانيها: التحدث بها ظاهراً.

وثالثها: صرفها في مرضاة مسديها ومو‌ليها وهو الله جل وعلا.

من فقه الآية:

أولاً: الأمر بالوضوء عند كل صلاة وهذا شامل للفريضة والنافلة ولكنه لا يجب إلا بالحدث أو بما هو في حكم الحدث كما دلت السنة الصحيحة على ذلك، فمن الأول حديث: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ».ومن الثاني حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه أن رجلا سأل النبي ﷺ: أنتوضأ من لحم الإبل قال: «نعم» الحديث.

ثانياً: الأمر بالتطهير من الجنابة وهو الغسل وقد تقدمت صفته.

ثالثاً: الأمر بشكر الله على ما من به ويسره من الأحكام في هذه الآية وقد مضت أركان الشكر.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**تيمموا: تعمدوا**].

ش: قاله أبو عبيدة وقد ذكره عند قوله تعالى من سورة النساء ﴿**فتيمموا صعيدا طيباً**﴾ حيث قال: أي فتعمدوا ذاك.وأخرجه ابن جرير بإسناده عن سفيان بلفظ: «تحروا وتعمدوا».

٢- [﴿**آمين**﴾ **: عامدين، أممت وتيممت واحد**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وتقديرها هممت خفيفة، وبعضهم يقول: يممت.وقال:

إني كذاك إذا ما ساءني بلد يممت صدر بعيري غيره بلدا»

والآية المشار إليها: ﴿**ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا**﴾.

٣- [**وقال ابن عباس:** ﴿**لمستم**﴾ **و**﴿**تمسوهن**﴾ **و**﴿**اللاتي دخلتم بهن**﴾ **والإفضاء النكاح**].

ش: أما قوله ﴿لمستم﴾ فروى إسماعيل القاضي في أحكام القرآن من طريق مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿أو لامستم النساء﴾ قال: هو الجماع، وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير بإسناد صحيح، وأخرجه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن ابن عباس قال: هو الجماع ولكن الله يعفو ويكني.

وأما قوله ﴿تمسوهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ما لم تمسوهن﴾ أي تنكحوهن.

وأما قوله ﴿دخلتم بهن﴾ فروى ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿اللاتي دخلتم بهن﴾ قال: الدخول النكاح.

وأما قوله «والإفضاء» فروى ابن أبي حاتم من طريق بكر بن عبد الله المزني عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وقد أفضى بعضكم إلى بعض﴾ قال: الإفضاء الجماع.وروى عبد بن حميد من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: الملامسة والمباشرة.والإفضاء والرفث والغشيان والجماع كله النكاح، ولكن الله يكني.حكاه الحافظ.

١٢٨ـ حدثنا إسماعيل، قال حدثني مالك، عن عبد الرحمن بن القاسم[1]، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش، انقطع عقد لي فأقام رسول الله على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء؟ فجاء أبو

---

(١) هو أبو محمد عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي المدني ثقة جليل كان أفضل أهل زمانه، من السادسة مات سنة ست وعشرين [ومائة] وقيل بعدها.ع.

بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلاّ مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته.

١٢٩ـ حدثنا يحيى بن سليمان[١] قال: حدثني ابن وهب قال: أخبرني عمرو[٢] أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: «سقطت قلادة لي بالبيداء، ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ ونزل فثنى رأسه في حجري راقداً، أقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال حبست الناس في قلادة، فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ، وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾ الآية.فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم.

ش: فيهما تسع عشرة مسألة.

الأولى: قوله «**خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره**» قال ابن عبد البر في التمهيد: والسفر المذكور في هذا الحديث يقال أنه كان في غزاة بني المصطلق والله أعلم.

الثانية: قوله «**حتى إذا كنا بالبيداء، أو بذات الجيش**» **قلت:** البيداء المفازة

---

(١) هو أبو سعيد يحيى بن سليمان بن يحيى بن سعيد الجعفي، الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة سبع أو ثمان وثلاثين [ومائتين]. خ.ت.

(٢) هو أبو أيوب عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولاهم، المصري، ثقة فقيه حافظ، مات قديما قبل الخمسين ومائة. ع.

من الأرض والجمع بيد وهو بين المدينة وخيبر كما جزم به النووي، **قلت**: وما جزم به مخالف لما جزم به ابن التين فإنه قال: البيداء هي ذو الحليفة بالقرب من المدينة من طريق مكة، قال: وذات الجيش وراء ذي الحليفة، وقال أبو عبيد البكري في معجمه: البيداء أدنى إلى مكة من ذي الحليفة، ثم ساق حديث عائشة هذا ثم ساق حديث ابن عمر قال: «بيداؤكم هذه التي تكذبون فيها، ما أهل رسول الله ﷺ إلا من عند المسجد» الحديث.قال: والبيداء هو الشرف الذي قدام ذي الحليفة في طريق مكة، وقال أيضاً: ذات الجيش من المدينة على بريد، قال: وبينها وبين العقيق سبعة أميال، والعقيق من طريق مكة لا من طريق خيبر فاستقام ما قال ابن التين.

ويؤيده ما رواه هشام بن عروة عن أبيه في هذا الحديث فقال فيه: «إن القلادة سقطت يوم الأبواء» والأبواء بين مكة والمدينة.وفي رواية علي بن مسهر في هذا الحديث عن هشام قال: «وكان ذلك المكان يقال له الصلصل» ورواه جعفر الفريابي في كتاب الطهارة له وابن عبد البر من طريقه.والصلصل: بمهملتين مضمومتين ولامين الأولى ساكنة بين الصادين.قال البكري: هو جبل عند ذي الحليفة، كذا ذكره في حرف الصاد المهملة، ووهم مغلطاي في فهم كلامه فزعم أنه ضبطه بالضاد المعجمة، وقلده في ذلك بعض الشراح وتصرف فيه فزاده وهما على وهم، وعرف من تضافر هذه الروايات تصويب ما قال ابن التين.اهـ قاله الحافظ (١/٤٣٢).

الثالثة: قوله «**انقطع عقد لي**» **قلت**: وفي رواية هشام عن أبيه «هلكت قلادة لأسماء» ولا تعارض بين الروايتين فإن إضافتها لها بإشعار استيلائها لمنفعته وإلا فهو لأسماء استعارته منها.

الرابعة: قوله «**فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه**» تعني أن رسول الله ﷺ إحتبس حيث فقد العقد للبحث عنه، واحتبس الناس معه في

ذلك المكان؛ لأنه ﷺ هو إمامهم فمعه يقيمون ومعه يرحلون.وفيه دليل على وجوب طاعة الأمير في العسر واليسر وفيه اعتناء الإمام بحفظ حقوق المسلمين وإن قلّت.

الخامسة: قوله «**وليسوا على ماء، وليس معهم ماء**» فيه دليل على جواز الإقامة في المكان الذي لا ماء فيه.وكذا سلوك الطريق التي لا ماء فيها.

السادسة: قوله «**فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق**» فيه دليل على تسمية أبي بكر بذلك وهذه منقبة عظيمة له رضي الله عنه وبها صحت الأخبار عن النبي ﷺ.

السابعة: قوله «**فقالوا ألا ترى ما صنعت عائشة، أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء، وليس معهم ماء**» الاستفهام للإنكار وفي مقولتهم هذه دليل على شكوى المرأة على أبيها أو وليها وإن كانت ذات زوج، وفيه دليل على نسبة الفعل إلى من تسبب فيه وإن لم يصنعه لقولهم: أقامت وصنعت.

الثامنة: قوله «**فجاء أبو بكر، ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام**» فيه دليل على جواز دخول الرجل على ابنته في بيت زوجها بغير إذنه إذا علم رضاه بذلك كما يفيد ذكر الإنسان بما اشتهر به من اسم أو كنية.

التاسعة: قوله «**فعاتبني أبو بكر.وقال ما شاء الله أن يقول - إلى قوله — في خاصرتي**» فيه دليل على تأديب الرجل ابنته على خطئها بالقول والفعل وإن كان بحضرة زوجها.

العاشرة: قوله «**ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي**» تعني أنه لم يحل بينها وبين الحركة من شدة ما لقيته من طعن أبيها في خاصرتها إلا خوفاً من إزعاج النبي ﷺ وفي هذا دليل على جواز شدة التأديب بالفعل كما أنه يفيد حرص عائشة رضي الله عنها على راحة النبي ﷺ وطمأنينته ولذا صبرت على شدة الضرب على خاصرتها.

الحادية عشرة: قوله «**فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء**» كذا أورده هنا، وأورده في فضل أبي بكر عن قتيبة،عن مالك بلفظ: «فنام حتى أصبح» وهي رواية مسلم في الحيض باب التيمم ورواية الموطأ والمعنى فيهما متقارب؛ لأن كلاً منهما يدل على أن قيامه من نومه كان عند الصبح، وقال بعضهم: ليس المراد بقوله «حين أصبح» بيان غاية النوم إلى الصباح، بل بيان غاية فقد الماء إلى الصباح؛ لأنه قيد قوله «حتى أصبح» بقوله «على غير ماء» أي آل أمره إلى أن أصبح على غير ماء، وأما رواية عمرو بن الحارث فلفظها: «ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح» فإن أعربت الواو حالية كان دليلاً على أن الاستيقاظ وقع حال وجود الصباح وهو الظاهر، واستدل به على الرخصة في ترك التهجد في السفر إن ثبت أن التهجد كان واجباً عليه، وعلى أن طلب الماء لا يجب إلا بعد دخول الوقت لقوله في رواية عمرو بن الحارث بعد قوله: «وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد».

الثانية عشرة: قوله «**فأنزل الله آية التيمم**» هذا هو وجه الشاهد من الحديث وسيأتي بيان المراد من آية التيمم في الرواية الآتية.

الثالثة عشرة: قوله «**فقال أسيد بن حضير**» **قلت:** هو أبو يحيى أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك الأنصاري الأشهلي صحابي جليل مات سنة عشرين أو إحدى وعشرين.أخرج له أصحاب الكتب الستة.وقد قال ما قال؛ لأنه ضمن من بعثهم النبي ﷺ في طلب القلادة.

الرابعة عشرة: قوله «**ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر**» أي بل هي مسبوقة بغيرها من البركات.

الخامسة عشرة: قوله «**فبعثنا البعير الذي كنت عليه فإذا العقد تحته**» ظاهر في أن الذين توجهوا في طلبه أولا لم يجدوه، وفي رواية عروة: «فبعث ناساً من أصحابه في طلبها» ولأبي داود «فبعث أسيد بن حضير وناساً معه» وطريق

الجمع بين هذه الروايات أن أسيداً كان رأس من بعث لذلك فلذلك سمى في بعض الروايات دون غيره، وكذا أسند الفعل إلى واحد منهم وهو أسيد بن حضير. قاله الحافظ.

قلت: وهذا دليل صريح على أن رسول الله ﷺ لا يعلم من أمر الغيب إلا ما علمه الله إذ لو كان يعلم الغيب ما بعث البعث يفتش عن عقد ولما أقام بالمسلمين على ما فيهم من الجهد والمشقة وهذا وحده كافٍ في الرد على العرّافين والكهنة الذين يدّعون الغيب.

السادسة عشرة: قوله «**ونحن داخلون المدينة**» الواو للحال والمعنى أنهم كانوا على مقربة من المدينة حين وقعت تلك الحادثة.

السابعة عشرة: قوله «**فلكزني لكزة شديدة**» اللكز هو الدفع في الصدر بالكف، والمعنى أن أبا بكر رضي الله عنه دفع عائشة رضي الله عنها دفعاً شديداً. وفي الرواية السابقة قالت: «وجعل يطعنني بيده في خاصرتي» فالظاهر أنه جمع لها في تأديبه بين الأمرين.

الثامنة عشرة: قوله «**فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني**» تعني والله أعلم أنها وجدت من شدة لكز أبيها وطعنه لها ما جعلها تستشعر الموت ولكنها صبرت؛ لأن رسول الله ﷺ كان نائماً على فخذها.

التاسعة عشرة: قوله «**فنزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾**» هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وفيه التصريح بأن آية المائدة هذه هي آية التيمم.

١١١- [باب ﴿**فاذهب أنت وربك فقاتلا إنّا ها هنا قاعدون**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون**﴾.

قوله ﴿**قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها**﴾.

قال ابن جرير: «هذا خبر من الله جل ذكره عن قول الملإ من قوم موسى لموسى، إذ رغّبوا في جهاد عدوّهم ووعدوا نصر الله إياهم، إن هم ناهضوهم، ودخلوا عليهم باب مدينتهم أنهم قالوا له ﴿**إنا لن ندخلها أبداً**﴾ ويعنون إنا لن ندخل مدينتهم أبداً والهاء والألف في قوله ﴿**إنا لن ندخلها**﴾ من ذكر المدينة ويعنون بقولهم ﴿**أبداً**﴾ أيام حياتنا ما داموا فيها يعني ما كان الجبارون مقيمين في تلك المدينة التي كتبها، وأمروا بدخولها»

قوله ﴿**فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون**﴾.

قال ابن كثير: «وهذا نكول منهم عن الجهاد ومخالفة لرسولهم، وتخلف عن مقاتلة الأعداء، ويقال أنهم لما نكلوا عن الجهاد وعزموا على الانصراف والرجوع إلى مصر سجد موسى وهارون عليهما السلام قدام ملأ من بني إسرائيل إعظاماً لما هموا به وشق يوشع بن نون وكالب بن يوفنا ثيابهما ولاموا قومهما على ذلك فيقال إنهم رجموهما، وجرى أمر عظيم وخطر جليل».اهـ.

وإن قال أحد من الناس ما السر في مخاطبة الله اليهود المعاصرين لرسول الله ﷺ ببيان هذا وأمثاله من المواقف المخزية والمذاهب المشينة، كيف يوبخون هذا التوبيخ وتلك المواقف والمذاهب من صنيع أسلافهم مع أنبيائهم؟.

قلنا: أجاب الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في تفسيره حيث قال (٦١/١): «واعلم أن الخطاب في هذه الآيات لأمة بني إسرائيل الذين كانوا موجودين وقت نزول القرآن وهذه الأفعال المذكورة خوطبوا بها وهي فعل أسلافهم، ونسبت لهم لفوائد عديدة، منها أنهم كانوا يتمدحون ويذكرون أنفسهم ويزعمون فضلهم

على محمد ومن آمن به، فبين ا لله من أحوال سلفهم التي قد تقررت عندهم، ما يبين به لكل واحد منهم، أنهم ليسوا من أهل الصبر ومكارم الأخلاق ومعالي الأعمال.فإذا كانت هذه حالة سلفهم مع المظنة أنهم أولى وأرفع حالة ممن بعدهم فكيف الظن بالمخاطبين.

ومنها أن نعمة ا لله على المتقدمين منهم نعمة واصلة إلى المتأخرين، والنعمة على الآباء نعمة على الأبناء فخوطبوا بها؛ لأنها نعم تشملهم وتعمهم.

ومنها أن الخطاب لهم بأفعال غيرهم مما يدل على أن الأمة المجتمعة على دين تتكافل وتتساعد على مصالحها؛ حتى كأن متقدمهم ومتأخرهم في وقت واحد وكأن الحادث من بعضهم حادث من الجميع؛ لأن ما يعمله بعضهم من الخير يعود بمصلحة الجميع، وما يعمله من الشر يعود بضرر الجميع.

ومنها أن أفعالهم أكثرهم لم ينكرها، والراضي بالمعصية شريك للعاصي، إلى غير ذلك من الحكم التي لا يعلمها إلا ا لله».اهـ

١٣٠ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا إسرائيل، عن مخارق[١]، عن طارق بن شهاب: سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد (ح) وحدثني حمدان بن عمر[٢]، حدثنا أبو النظر، حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، عن عبد الله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾ ولكن امض ونحن معك، فكأنه سرى عن رسول الله ﷺ .ورواه وكيع، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، أن المقداد قال ذلك للنبي ﷺ .

---

(١) هو أبو سعيد مخارق بن خليفة وقيل ابن عبد الله الأحمسي، الكوفي، ثقة من السادسة.خ.قد.ت.س.

(٢) هو أبو جعفر أحمد بن عمر الحميدي البغدادي، المخرمي، يعرف بحمدان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة ثمان وخمسين [ومائتين].خ.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**شهدت من المقداد**» زاد في المغازي باب قوله تعالى ﴿**إذ تستغيثون ربكم**﴾ «مشهداً لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به».

قلت: والمقداد هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة البهراني ثم الكوفي، ثم الزهري، حالف أبوه كندة وتبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري، فنسب إليه، صحابي مشهور من السابقين، لم يثبت أنه كان ببدر فارس غيره، مات سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن سبعين. ع.

الثانية: قوله «**يا رسول الله إنا لا نقول ـ إلى قوله ـ ونحن معك**» زاد النسائي في تفسير الآية بروايته «جاء المقداد على فرس يوم بدر فقال...» وذكر ابن إسحاق أن هذا الكلام قاله المقداد لما وصل النبي ﷺ إلى الصفراء، وبلغه أن قريشاً قصدت بدراً وأن أبا سفيان نجا بمن معه، فاستشار الناس، فقام أبو بكر فقال فأحسن، ثم قام عمر كذلك، ثم المقداد فذكر نحو ما في حديث الباب وزاد «فقال: والذي بعثك بالحق لو سلكت بنا برك الغماد لجاهدنا معك من دونه قال: فقال أشيروا علي قال: فعرفوا أنه يريد الأنصار، وكان يتخوف أن لا يوافقوه؛ لأنهم لم يبايعوه إلا على نصرته ممن يقصده لا أن يسير بهم إلى العدو. فقال له سعد بن معاذ: امض يا رسول الله لما أمرت به فنحن معك، قال: فسره قوله ونشطه».

قال الحافظ: «وكذا ذكره موسى بن عقبة مبسوطاً، وأخرجه بن عائذ من طريق أبي الأسود عن عروة. وعند ابن أبي شيبة من مرسل علقمة بن وقاص نحو قصة المقداد «فقال سعد بن معاذ لئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى ـ فذكره وفيه ـ ولعلك خرجت لأمر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت. قال: وإنما

خرج يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله له القتال».

وروى ابن أبي حاتم من حديث أبي أيوب قال: «قال لنا رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة: إني أخبرت عن عير أبي سفيان فهل لكم أن تخرجوا إليها لعل الله يغنمناها؟ قلنا نعم...الحديث» حكى ذلك وغيره الحافظ.ثم قال: ويمكن الجمع بأن النبي ﷺ استشارهم في غزوة بدر مرتين: الأولى وهو بالمدينة أول ما بلغه خبر العير مع أبي سفيان، وذلك بين في رواية مسلم ولفظه: «أن النبي ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان».

والثانية: كانت بعد أن خرج.

الثالثة: قوله «**فكأنه سرّى عن رسول الله ﷺ**» أي انكشف عنه ما كان يخشاه ويتخوفه من عدم استعداد أصحابه فحلٍ محل ذلك الفرح والبشر والسرور لما رآه من انشراح صدورهم بلقاء الكفار شداً لأزر نبيهم ﷺ .

وقوله «**رواه وكيع عن سفيان عن مخارق عن طارق...الخ**» يريد بذلك أن صورة سياقه أنه مرسل بخلاف سياق الأشجعي لكن استظهر المصنف لرواية الأشجعي الموصولة برواية إسرائيل التي ذكرها قبل.وطريق وكيع هذا وصلها أحمد وإسحاق في مسنديهما عنه وكذا أخرجها ابن أبي خيثمة من طريقه.قاله في الفتح.

من فقه الحديث:

أولاً: استشارة القائد عسكره حين نزول المعضلة.

ثانياً: شد الصحابة أزر نبيهم ﷺ مع قلة عددهم وعتادهم.

ثالثاً: فضيلة المقداد رضي الله عنه.

رابعاً: الاستبشار بالكلمة الطيبة والسرور بها في المواقف الحرجة.

خامساً: في قول المقداد: «إنا لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون» دليل على أن تلك الآية نزلت قبل وقعة بدر.

١١٢- [باب **﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا - إلى قوله - أو ينفوا من الأرض﴾**].

ش: تمامها **﴿أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**.

قال ابن جرير في تفسيرها: «وهذا بيان من الله عز ذكره عن حكم الفساد في الأرض الذي ذكره في قوله **﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض﴾** أعلم عباده ما الذي يستحق المفسد في الأرض من العقوبة والنكال، فقال تبارك وتعالى: لا جزاء له في الدنيا إلا القتل والصلب، وقطع اليد والرجل من خلاف، أو النفي من الأرض خزياً لهم، وأما في الأخرة إن لم يتب في الدنيا فعذاب عظيم».

من فقه الآية:

والآية الكريمة كما هو صريح وواضح تتضمن أربع عقوبات جزاء المحاربين وهل للإمام أن يعاقب كل محارب بما يستحقه أو هو مخير بفعل ما يشاء.

فالأول: قال به جمهور الأئمة، منهم ابن عباس، والنخعي، وسعيد بن جبير، وقتادة وبه قال أحمد والشافعي، وأبو حنيفة، فقال هؤلاء مع اختلاف في عباراتهم: من أخذ المال قطع، ومن أخذ المال وقتل، قتل وصلب، وإن قتل ولم يأخذ المال قتل، وإن أخاف السبيل فقط وروع الناس نفي من الأرض.

والثاني: قاله ابن عباس والحسن، وإبراهيم النخعي في رواية، ومجاهد، وابن جريج، وسعيد بن المسيب، حكى القولين وأدلة كل منهما الطبري، والقرطبي وابن قدامة وغيرهم.

قلت: وتخيير الإمام أرجح لأمور:

أولاً: أن التخيير هو ظاهر الآية، ولا يعدل عن الظاهر إلى غيره مما يحتاج إلى تقدير إلا بحجة يجب التسليم لها، ولم يرد نص يجب المصير إليه لترجيح ما قاله

الجمهور. وما أخرجه ابن جرير عن أنس من سؤال النبي ﷺ جبريل ماذا يصنع بالمحاربين...الخ الحديث، فضعيف؛ لأن فيه ابن لهيعة، وقد اختلط لاحتراق كتبه.

الأمر الثاني: أن حماية مصالح الناس واستتباب الأمن في البلاد والعباد كثيراً ما يستدعي أقصى العقوبات الرادعة، وهذا موكول إلى نظر إمام المسلمين، وما يراه كفيلاً بذلك، وما أحسن ما قاله الإمام مالك: «إذا قطع الطريق فرآه الإمام جلداً ذا رأي قتله، وإن كان جلداً لا رأي له قطعه، و لم يغير فعله».اهـ

قلت: وما أكثر الجرائم التي تستهدف الدين والأعراض والعقول يخطط لترويجها ذوو رأي وتفكير ودهاء خبيث من أبناء المسلمين في عقر دارهم، يدفعهم عملاء لهم من خارج العالم الإسلامي، من شيوعيين وماسونيين وغيرهم، ومن أعظم تلك الجرائم المخدرات بشتى أنواعها، فلا يردع أولئك المروجين سوى أقصى العقوبات وبلا هوادة.

ثالثاً: ويرجح ما ذهبنا إليه، أنه قول جماعة من الأئمة غير من ذكرناه من أهل القول الثاني، منهم مالك، واختاره القرطبي، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

وقوله «**المحاربة لله: الكفر به**»

ش / هو قول سعيد بن جبير والحسن وصله ابن أبي حاتم عنهما حكاه الحافظ وقال: وفسره الجمهور هنا بالذي يقطع الطريق على الناس مسلماً وكافراً.

قلت: وعندي أن وصف الحرابة بالكفر في هذا الموطن مبني على أمرين:

أولهما: ما رواه ابن جرير عن سعيد بن جبير وعروة والسدي وجرير أن الآية نزلت في العرنيين.

وثانيهما: ما جاء عند مسلم من رواية عبد العزيز بن صهيب وحميد عن أنس في العرنيين قال: «ثم مالوا على الرعاة فقتلوهم، وارتدوا عن الإسلام» وعند المصنف في الوضوء باب أبوال الإبل والدواب من قول أبي قلابة: «فهؤلاء سرقوا

وقتلوا وكفروا بعد إيمانهم، وحاربوا الله ورسوله».

١٣١ـ حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا ابن عون قال: حدثني سلمان أبو رجاء مولى أبي قلابة(١)، عن أبي قلابة(٢) أنه كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا: قد أقادت بها الخلفاء، فالتفت إلى أبي قلابة وهو خلف ظهره فقال: ما تقول يا عبد الله بن زيد ـ أو قال ما تقول يا أبا قلابة؟ قلت: ما علمت نفساً حلّ قتلها في الإسلام إلا رجلٌ زنى بعد إحصان، أو قتل نفساً بغير نفس، أو حارب الله ورسوله ﷺ فقال عنبسة: حدثنا أنس بكذا وكذا.قلت: إياي حدث أنس، قال: قدم قومٌ على النبي ﷺ فكلموه فقالوا: قد استوخمنا هذه الأرض ، فقال ((هذه نعَم لنا تخرج ، فاخرجوا فيها ، فاشربوا من ألبانها وأبوالها)) فخرجوا فيها، فشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطردوا النعم، فما يستبطأ من هؤلاء؟ قتلوا النفس وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ فقال: سبحان الله فقلت: تتهمني؟ قال: حدثنا بهذا أنس قال: وقال يا أهل كذا إنكم لن تزالوا بخير ما أبقى هذا فيكم ومثل هذا».

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**كان جالساً خلف عمر بن عبد العزيز**» **قلت:** هو عمر بن عبد العزيز بن مروان أحد خلفاء بني أمية، ولي الخلافة عام تسعة وتسعين، وكان

(١) هو أبو رجاء سلمان مولى أبي قلابة الجرمي، البصري، صدوق من السادسة له عندهم حديث واحد، خ.م.د.س.

(٢) هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر البصري، ثقة فاضل كثير الإرسال قال العجلي: فيه نصب يسير، من الثالثة، مات بالشام هارباً من القضاء سنة أربع ومائة، وقيل بعدها.ع.

مشهوداً له بالصلاح والتقوى حتى قالوا: إنه يشبه جده من قبل أمه عمر بن الخطاب، مات في رجب سنة إحدى ومائة وله أربعون سنة، وكانت وفاته في دير سمعان.

وفي الديات باب القسامة من رواية الحجاج بن أبي عثمان عن أبي رجاء عن أبي قلابة أن عمر بن عبد العزيز أبرز سريره يوماً للناس ثم أذن لهم فدخلوا.

الثانية: قوله «**فذكروا وذكروا**» أي القسامة وشأنها، يوضحه قوله في الديات: «فقال: ما تقولون في القسامة».

الثالثة: قوله «**فقالوا وقالوا**» يوضحه في الرواية المتقدمة «تقول القسامة القود بها حق، وقد أقادت بها الخلفاء».

الرابعة: قوله «**ما تقول يا عبد الله بن زيد أو قال ما تقول يا أبا قلابة**» الشك من الراوي، والمعنى ما جوابك في هذا الأمر الذي دار الحوار فيه، وزاد في الديات «فقلت يا أمير المؤمنين عندك رؤوس الأجناد وأشراف العرب أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل محصن بدمشق أنه قد زنى، ولم يروه، أكنت ترجمه قال: لا. **قلت:** أرأيت لو أن خمسين منهم شهدوا على رجل بحمص أنه سرق أكنت تقطعه ولم يروه؟ قال: لا. **قلت:** فوالله ما قتل رسول الله ﷺ أحداً قط إلا في إحدى ثلاث خصال: رجل قتل بجريرة نفسه فقتل، أو رجل زنى بعد إحصان، أو رجل حارب الله ورسوله، أو ارتد عن الإسلام».

قلت: وهذا دليل على أن أبا قلابة رحمه الله كان لا يرى القسامة وقد بنى رأيه ذلك على ما علمه من سنة النبي ﷺ وقد صح القضاء في القسامة عن النبي ﷺ ففي الصحيحين عن سهل بن أبي حثمة رضي الله عنه عن رجال من كبراء قومه أن عبد الله بن سَهَل ومحيصة بن مسعود خرجا إلى خيبر من جهد أصابهم، فأتى محيصة فأخبر أن عبد الله بن سهل قد قتل وطرح في عين، فأتى يهود فقال أنتم والله قتلتموه، قالوا والله ما قتلناه، فأقبل هو وأخوه حويصة وعبد الرحمن بن

سهل فذهب محيصة ليتكلم فقال رسول الله ﷺ: «كبر كبر» يريد السن فتكلم حويصة، ثم تكلم محيصة فقال رسول الله ﷺ: «إما أن يدوا صاحبكم وإما أن يأذنوا بحرب» فكتب إليهم في ذلك، فكتبوا: إنا والله ما قتلناه، فقال لحويصة، ومحيصة، وعبد الرحمن بن سهل: «أتحلفون وتستحقون دم صاحبكم» قالوا: لا قال: «فيحلف لكم يهود؟» قالوا: ليسوا مسلمين، فوداه رسول الله ﷺ من عنده، فبعث إليهم مائة ناقة، قال سهل: فلقد ركضتني منها ناقة حمراء.

قال مقيده: وإليك فائدتين في القسامة:

الأولى: في معناها: وهي **لغة**: اسمٌ من القسم أقيم مقام المصدر من قولهم:اقسم إقساماً وقسامة.**وشرعاً**: أيمان مكررة في دعوى قتل معصوم عمداً.

الثانية: في شروط الحكم في القسامة وهي ثمانية شروط:

الأول: اللوث وهو العداوة الظاهرة كالقبائل التي يطلب بعضها بعضاً بالثأر وكما بين البغاة وأهل العدل.

الثاني: تكليف مدعى عليه القتل وذلك بأن يكون بالغاً عاقلاً.

الثالث: إمكان القتل منه.

الرابع: وصف القتل في الدعوى.

الخامس: طلب جميع الورثة القود.

السادس: اتفاقهم على دعوى القتل.

السابع: اتفاقهم على عين القاتل.

الثامن: أن يكون فيهم ذكور مكلفون.

الخامسة: قوله «**فقال عنبسة**» هو عنبسة بن سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي.

السادسة: قوله «**كذا وكذا**» ترد هذه الكلمة على ثلاثة أوجه:

أحدها: أن تكون كلمتين باقيتين على أصلهما وهما كاف التشبيه، وذا

الإشارة.

الثاني: أن تكون كلمة واحدة مركبة من كلمتين مكنياً بها عن غير عدد.

الثالث: أن تكون كلمة واحدة مركبة مكنياً بها عن عدد. قاله ابن هشام في المغني.

قلت: والمراد به ها هنا حديث العرنيين.

السابعة: قوله «**قدم قوم على النبي ﷺ**» وللمصنف في المحاربين من كتاب الحدود عن قتيبة عن حماد: «أن رهطاً من عكل أو قال من عرينة ولا أعلمه إلا قال من عكل» وله في الجهاد باب إذا حرق المشرك المسلم عن أيوب: «أن رهطاً من عكل» ولم يشك، وكذا في المحاربين عن يحيى بن أبي كثير، وفي الديات عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة، وله في الزكاة عن شعبة عن قتادة عن أنس: «أن ناساً من عرينة» ولم يشك أيضاً.وكذا لمسلم في القسامة باب حكم المحاربين والمرتدين من رواية معاوية بن قرة عن أنس، وفي المغازي باب قصة عكل وعرينة عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة: «أن ناساً من عكل وعرينة» بالواو العاطفة وهو الصواب، ويؤيده ما رواه أبو عوانة والطبري من طريق سعد بن بشير عن قتادة عن أنس قال: «كانوا أربعة من عرينة وثلاثة من عكل» ولا يخالف هذا ما عند المصنف في الجهاد من طريق وهيب عن أيوب، وفي الديات من طريق حجاج الصواف عن أبي رجاء كلاهما عن أبي قلابة عن أنس: «أن رهطاً من عكل ثمانية» لاحتمال أن يكون الثامن من غير القبيلتين وكان من أتباعهم فلم ينسب.وغفل من نسب عدتهم ثمانية لرواية أبي يعلى وهي عند البخاري وكذا عند مسلم.

قال الحافظ: «وزعم ابن التين تبعاً للداودي أن عرينة هي عكل، وهو غلط، بل هما قبيلتان متغايرتان، عكل من عدنان، وعرينة من قحطان.وعُكل بضم المهملة، وإسكان الكاف قبيلة من تيم الرباب، وعرينة بالعين والراء

المهملتين والنون مصغراً حي من قضاعة وحي من بجيلة والمراد هنا الثاني».

الثامنة: قوله «**فكلموه**» يعني بعدما بايعوه على الإسلام.ذكروا له أنهم استوخموا المدينة فشاوروه في الخروج منها كما في الديات «أنهم استوخموا الأرض فسقمت أجسامهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ» وجاء في المحاربين من طريق وهيب عن أيوب أنهم كانوا في الصفة قبل أن يطلبوا الخروج إلى الإبل.

التاسعة: قوله «**فقالوا: قد استوخمنا**» قال في المصباح: وخم البلد بالضم وخامة فهو وخيم، وأرض وخمة، ووخيمة ووخام وزان سلام، ومرعى وخيم مستوبل ورجل وخيم ووخِم أي ثقيل واستوخمت البلد وهو وخم ووخم بالكسر والسكون أيضاً إذا كان غير موافق في السكن.ومنه اشتقاق التخمة وأصلها الواو؛ لأن الطعام يثقل على المعدة فتضعف عن هضمه فيحدث منه الداء.

العاشرة: قوله «**فخرجوا فيها، فشربوا من أبوالها وألبانها**» في الكلام محذوف يفسره ما جاء عند المصنف في الطب من رواية قتادة: «فأمر لهم رسول الله ﷺ بذود وبراع، وأمرهم أن يخرجوا فيه» وفي الوضوء «فأمرهم النبي ﷺ بلقاح» يعني أمر لهم أو أمرهم أن يلحقوا بلقاح.

الحادية عشرة: قوله «**واستصحوا**» في السياق حذف تقديره فشربوا من أبوالها وألبانها فلما صحوا.وقد ثبت ذلك في رواية أبي رجاء، وزاد في رواية وهيب «وسمنوا».قال الحافظ: وللإسماعيلي من رواية ثابت «ورجعت إليهم ألوانهم».

الثانية عشرة: قوله «**ومالوا على الراعي فقتلوه**» يعني أنهم رجعوا بعد أن استصحوا إلى راعي النبي ﷺ فقتلوه.

قال الحافظ: «واسم راعي النبي ﷺ المقتول يسار بياء تحتانية ثم مهملة خفيفة، كذا ذكره ابن إسحاق في المغازي».

الثالثة عشرة: قوله «**واطردوا النعم**» في الوضوء «واستاقوا» وهما بمعنى السير العنيف.

الرابعة عشرة: قوله «**فمما يستبطأ هؤلاء**» بضم أوله وسكون المهملة وبعد الفوقية موحدة ساكنة فطاء مهملة فهمزة مبنياً للمفعول.استفعال من البطء الذي هو نقيض السرعة أي شيء يستبطأ بهم.

الخامسة عشرة: قوله «**قتلوا النفس، وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ**» هذا هو بيان الموجب للإسراع في إقامة الحد على هؤلاء وقد قاله أبو قلابة استنباطاً والمعنى أنهم قتلوا نفساً بغير نفس وسرقوا الإبل من حرز مثلها وكان صنيعهم ذلك مخوفاً ومروعاً إذ لم يتوقع منهم ذلك.

السادسة عشرة: قوله «**فقال سبحان الله**» اسم مصدر على وزن فعلان كشكران وغفران.وفعله سبح وأصله تنزيه الله عز وجل.وقيلت في هذا المقام على سبيل التعجب والاستنكار والقائل هو عنبسة.

السابعة عشرة: قوله «**فقلت: تتهمني**» أي أتظنني أكذب فيما حدثتكم؛ لأنه خالف حديثك.والقائل هو أبو قلابة.

الثامنة عشرة: قوله «**قال حدثنا بهذا أنس**» برهان لصدقه وبعد التهمة عنه والإشارة بقوله "**هذا**" إلى ما سبق من سياق الحديث عن العرنيين.

التاسعة عشرة: قوله «**يا أهل كذا إنكم لن تزالوا...الخ**» في رواية أبي رجاء عن أبي قلابة عند مسلم في القسامة: «لن تزالوا بخير يا أهل الشام ما دام فيكم هذا».

قلت: فهذا اعتراف من عنبسة بفضل أبي قلابة وجلالة قدره.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع عمر بن عبد العزيز.

ثانياً: استشارة الإمام أهل العلم والفقه في النوازل وما يشكل عليه وجه الصواب فيه.

ثالثاً: في قوله «فشربوا من أبوالها وألبانها» طهارة بول البعير وجواز التداوي به.

١١٣- [باب ﴿**والجروح قصاص**﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾.

قوله ﴿**وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس ـ إلى قوله ـ والجروح قصاص**﴾ يخبر جل شأنه أنه كتب على اليهود في التوراة يعني فرض عليهم فيها.ثم فسر ذلك المكتوب بقوله ﴿**أن النفس بالنفس**﴾ وما بعده والمعنى أن من أحكام الله التي أعرض عنها أولئك وهي عندهم في التوراة أنه من قتل نفسا عمداً وعدواناً فجزاؤه القتل وكذا الحكم في العين والأنف والأذن والسن، وهذه هي عين المساواة بين عباد الله لا فرق فيها بينهم فالشريف والوضيع على حد سواء عدلٌ من الله بين عباده.فمن فقأ عيناً فقئت عينه، ومن جدع أنفاً جدع أنفه، ومن قطع أذناً قطع أذنه، ومن كسر سناً أو قلعه فجزاؤه مثل ما صنع، ومن جرح غيره جرحاً غير ما ذكر فهو مقتص منه مثل الجرح الذي جرحه، وقد حكى الله سبحانه وتعالى هذه الأحكام المنصوص عليها في التوراة توبيخاً لليهود وتقريعاً وبيان أنهم قد بدلوا وغيروا إعراضاً وعناداً واستنكافاً عن حكم الله.

قوله «﴿**فمن تصدق به فهو كفارة له**﴾» اختلف أهل التفسير في المراد بهذا المتصدق على قولين:

الأول: أنه المجروح، وولي القتيل، وهو قول عبد الله بن عمرو والنخعي، وابن الصامت، والحسن، وقتادة، والشعبي.

والثاني: أنه الجارح نفسه وقالوا معنى الآية فمن تصدق بما وجب له من قود أو قصاص على من وجب ذلك له عليه فعفا عنه فعفوه ذلك عن الجاني كفارة لذنب الجاني المجرم، كما القصاص منه كفارة له.

قالوا: فأما أجر العافي المتصدق فعلى الله.وهذا قول ابن عباس ومجاهد،

والشعبي في رواية، والنخعي في رواية، وزيد بن أسلم.

حكى القولين كليهما ابن جرير واختار أولهما قائلاً:

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال عنى به فمن تصدق به فهو كفارة له المجروح؛ فلأن تكون "الهاء" في قوله "له" عائدة على "من" أولى من أن تكون "من" ذكر من لم يجد له ذكر إلا بالمعنى دون التصريح وأحرى، إذ الصدقة هي المكفرة ذنب صاحبها دون المتصدق عليه في سائر الصدقات غير هذه فالواجب أن يكون سبيل هذه سبيل غيرها من الصدقات.

قال مقيده: وهذا هو الصواب إن شاء الله؛ لأدلة كثيرة منها:

أولاً: أنه هو الموافق لظاهر النص، وهذا هو الذي يتحتم المصير إليه ما لم يصرفه عنه دليل شرعي، وذلك الدليل إما نص أو إجماع.

ثانياً: قوله تعالى ﴿**فمن عفى وأصلح فأجره على الله**﴾.

وقوله ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون**﴾.

قال ابن عباس: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق، فهو ظلم كبير، عند استحلاله، وعظيمة كبيرة عند فعله غير مستحل له.

من فقه الآية:

أولاً: شرع من قبلنا شرع لنا إذا سيق مقرراً و لم ينسخ.

ثانياً: ترغيب المجني عليه أو وليه في العفو عن الجاني.

ثالثاً: وصف الحاكم بغير ما أنزل الله بالظلم وهل ذلك الظلم كفر ناقل عن الملة موجب للردة بعد الإيمان أم في ذلك تفصيل عند أهل التحقيق من العلماء والأئمة، وحتى تظهر الحجة وتستبين المحجة أمام طالب الحق وسلوك مسلك أهل السنة والجماعة ننقل تفصيل القول في هذا الباب عن أهل العلم.

١ـ قال **الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله** في شرحه هذه الآية وما بعدها «﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون**﴾ وما قبلها ﴿**ومن لم**

يحكم بما أنزل ا لله فأولئك هم الكافرون﴾ واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مراداً به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى، ومن لم يحكم بما أنزل ا لله، معارضة للرسل وإبطالا لأحكام ا لله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة، **ومن لم يحكم بما أنزل ا لله معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعلاً قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة**، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين، والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب، وتحقيق أحكام الكل هو ما رأيت، والعلم عند ا لله تعالى».انظر الجزء الثاني من أضواء البيان صفحة تسعين.

٢ـ وقال **سماحة الوالد الشيخ عبد العزيز بن باز** مفتي المملكة العربية السعودية حفظه ا لله:

«**ومن حكم بغير ما أنزل ا لله فلا يخرج عن أربعة أمور:**

١ـ من قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه **أفضل** من الشريعة الإسلامية فهذا كافر كفر أكبر.

٢ـ ومن قال أنا أحكم بهذا؛ لأنه مثل الشريعة الإسلامية، فالحكم بهذا جائز وبالشريعة جائز فهو كافر كفراً أكبر.

٣ـ ومن قال أنا أحكم بهذا والحكم بالشريعة الإسلامية أفضل؛ لكن الحكم بغير ما أنزل ا لله جائز فهو كافر كفراً أكبر.

٤ـ ومن قال أنا أحكم بهذا وهو يعتقد أن الحكم بغير ما أنزل ا لله لا يجوز ويقول الحكم بالشريعة الإسلامية أفضل ولا يجوز الحكم بغيرها؛ **ولكنه متساهل** أو يفعل هذا لأمر صادر من حكامه فهو كافر كفراً أصغر لا يخرج من الملة ويعتبر من أكبر الكبائر»

٣ـ وقال الشيخ **محمد بن صالح بن عثيمين** حفظه ا لله في (ص٨٧ من

القواعد المثلى):

«فإن قال قائل: **هل تكفرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟**

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله تعالى ورسوله ﷺ فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنة فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه. والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي. ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه؛ لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله تعالى في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالماً منه ففي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كفر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما». وفي رواية: «إن كان كما قال وإلا رجعت إليه». وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه».

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل المعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع.

ومن أهم الشروط أن يكون عالماً بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافراً أو فاسقاً لقوله تعالى ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾ وقوله ﴿**وما كان**

ا لله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن ا لله بكل شيء عليم إن ا لله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون ا لله من ولي ولا نصير﴾.

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له.

ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور:

منها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئناناً به فلا يكفر حينئذ لقوله تعالى **﴿من كفر با لله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من ا لله ولهم عذاب عظيم﴾**.

ومنها: أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك.

ودليله ما ثبت في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي ا لله عنه قال: قال رسول ا لله ﷺ: «لَلّهُ أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك.أخطأ من شدة الفرح».اهـ

٤ـ وقال الإمام **أبو عبد ا لله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي المعروف بابن القيم رحمه ا لله** في كتاب الصلاة (ص٥٣):«...فالكفر والإيمان متقابلان إذا زال أحدهما خلفه الآخر.ولما كان الإيمان أصلاً له شعب متعددة، وكل شعبة منها تسمى إيماناً، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصيام، والأعمال الباطنة كالحياء، والتوكل، والخشية من ا لله، والإنابة إليه حتى تنتهي هذه الشعب

إلى إماطة الأذى عن الطريق، فإنه شعبة من شعب الإيمان، وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذى عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتاً عظيماً، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذى، ويكون إليها أقرب.

وكذلك الكفر ذو أصل وشعب، فكما أن شعب الإيمان إيمان، فشعب الكفر كفر، والحياء شعبة من الإيمان، وقلة الحياء شعبة من شعب الكفر، والصدق شعبة من شعب الإيمان، والكذب شعبة من شعب الكفر، والصلاة والزكاة والحج والصيام من شعب الإيمان، وتركها من شعب الكفر، والحكم بما أنزل الله من شعب الإيمان، والحكم بغير ما أنزل الله من شعب الكفر، والمعاصي كلها من شعب الكفر، كما أن الطاعات كلها من شعب الإيمان.

وشعب الإيمان قسمان: قولية وفعلية، وكذلك شعب الكفر نوعان: قولية وفعلية.ومن شعب الإيمان القولية: شعبة يوجب زوالها زوال الإيمان، فكذلك من شعبه الفعلية ما يوجب زوال الإيمان.وكذلك شعب الكفر القولية والفعلية، فكما يكفر بالإتيان بكلمة الكفر اختياراً، وهي شعبة من شعب الكفر، فكذلك يكفر بفعل شعبة من شعبه كالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، فهذا أصل.

وها هنا أصل آخر، وهو أن حقيقة الإيمان مركبة من قول وعمل.

والقول قسمان: قول القلب، وهو الاعتقاد، وقول اللسان، وهو التكلم بكلمة الإسلام.

والعمل قسمان: عمل القلب، وهو نيته وإخلاصه، وعمل الجوارح، فإذا زالت هذه الأربعة، زال الإيمان بكماله، وإذا زال تصديق القلب، لم تنفع بقية الأجزاء، فإن تصديق القلب شرط في اعتقادها وكونها نافعة ــ إلى أن قال (ص ٥٥):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الكفر نوعان: كفر عمل، وكفر جحود

وعناد.فكفر الجحود: أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحوداً وعناداً من أسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه، وهذا الكفر يضادُّ الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل، فينقسم إلى ما يضاد الإيمان، وإلى ما لايضاده، فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان.وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة، فهو من الكفر العملي قطعاً، ولا يمكن أن ينفى عنه اسم الكفر بعد أن أطلقه الله ورسوله عليه، فالحاكم بغير ما أنزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله ﷺ ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله - سبحانه - الحاكم بغير ما أنزل الله كافراً، ويسمي رسول الله ﷺ تارك الصلاة كافراً، ولا يطلق عليهما اسم الكفر، وقد نفى رسول الله ﷺ الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر، وعمن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا نفي عنه اسم الإيمان، فهو كافر من جهة العمل، وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض».فهذا كفر عمل، وكذلك قوله: «من أتي كاهناً فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد».وقوله: «إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر.فقد باء بها أحدهما» - إلى أن قال (ص٥٦):

وهذا التفصيل هو قول الصحابة الذين هم أعلم الأمة بكتاب الله، وبالإسلام والكفر ولوازمهما، فلا تتلقى هذه المسائل إلا عنهم، فإن المتأخرين لم يفهموا مرادهم، فانقسموا فريقين: فريقاً أخرجوا من الملة بالكبائر، وقضوا على أصحابها بالخلود في النار، وفريقاً جعلوهم مؤمنين كاملي الإيمان، فهؤلاء غلوا، وهؤلاء جفوا، وهدى الله أهل السنة للطريقة المثلى، والقول الوسط الذي هو في المذاهب كالإسلام في الملل، فها هنا كفر دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك، وفسوق دون فسوق، وظلم دون ظلم. . . إلى أن قال (ص٥٨): كذلك الشرك شركان: شرك ينقل عن الملة، وهو الشرك الأكبر، وشرك لا ينقل

عن الملة، وهو الشرك الأصغر، وهو شرك العمل كالرياء، وقال تعالى في الشرك الأكبر ﴿**إنه من يشرك با لله فقد حرم ا لله عليه الجنة، ومأواه النار**﴾ وقال ﴿**ومن يشرك با لله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق**﴾ وفي شرك الرياء ﴿**فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾ ومن هذا الشرك الأصغر قوله ﷺ: «من حلف بغير ا لله فقد أشرك». رواه أبو داود وغيره، ومعلوم أن حلفه بغير ا لله لا يخرجه عن الملة، ولا يوجب له حكم الكفار.ـ إلى أن قال (ص٦٠):

وها هنا أصل آخر، وهو أن الرجل قد يجتمع فيه كفر وإيمان، وشرك وتوحيد، وتقوى وفجور، ونفاق وإيمان، وهذا من أعظم أصول أهل السنة، وخالفهم فيه غيرهم من أهل البدع كالخوارج والمعتزلة والقدرية، ومسألة خروج أهل الكبائر من النار وتخليدهم فيها مبنية على هذا الأصل، وقد دل عليه القرآن والسنة والفطرة وإجماع الصحابة. . . إلى أن قال (ص٦١):

وها هنا أصل آخر، وهو أنه لا يلزم من قيام شعبة من شعب الإيمان بالعبد أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً، وإن كان ما قام به كفراً، كما أنه لا يلزم من قيام جزء من أجزاء العلم به أن يسمى عالماً، ولا من معرفة بعض مسائل الفقه والطب أن يسمى فقيهاً ولا طبيباً، ولا يمتنع كذلك أن تسمى شعبة الإيمان إيماناً، وشعبة النفاق نفاقاً، وشعبة الكفر كفراً.

٥ـ وقال شيخه **الإمام أبو العباس ابن تيمية رحمه ا لله** (ص١٨٠ ج ١٢ مجموع الفتاوى لابن القاسم):

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد ﷺ وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر، ومن اتبع هواه وقصر في

طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب، ثم قد يكون فاسقاً وقد يكون له حسنات ترجح على شيئاته».اهـ

وقال في (ص٢٢٩ ج ٣) من المجموع المذكور في كلام له: «هذا مع أني دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى».

وقال **رحمه الله** في (ص١٦٥ ج٣٥) من مجموع الفتاوى:

«وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع يقال هي كفر قولاً يطلق كما دل على ذلك الدلائل الشرعية فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس ذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم، ولا يجب أن يحكم كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال: إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلاماً أنكره و لم يعتقد أنه من القرآن ولا أنه من أحاديث رسول الله ﷺ كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى يثبت عنده أن رسول الله ﷺ قالها.

وقال: فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال تعالى ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان».اهـ كلامه.

٦ـ وقال **الإمام ابن الجوزي رحمه الله**: «وفصل الخطاب أن من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً له وهو يعلم أن الله أنزله كما فعلت اليهود فهو كافر، ومن لم يحكم بما أنزل الله ميلاً إلى الهوى من غير جحود فهو ظالم وفاسق، وقد روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقر به و لم يحكم به فهو ظالم فاسق».اهـ (زاد المسير ٢/٣٦٦).

٧ـ وقال **الإمام أبو جعفر الطحاوي** رحمه الله: «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله». (ص٣١٦).

٨ـ وقال شارحه **الإمام ابن أبي العز الحنفي** رحمه الله (ص٣٢٣): «وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفراً ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة، أو صغيرة، ويكون كفراً إما مجازياً وإما كفراً أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم؛ فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص ويسمى كافراً كفراً مجازياً أو كفراً أصغر».

قال مقيده: عليك بما قاله هؤلاء العلماء فالزمه فإن أهل السنة من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم مجمعون عليه، واعلم أنك إن خالفته وقعت في نهج الخوارج.

١٣٢ـ حدثني محمد بن سلام، أخبرنا الفزاري[1]، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: كسرت الربيع وهي عمة أنس بن مالك ثنية جارية من الأنصار فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النظر، عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر سنها يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس كتاب الله القصاص». فرضي القوم وقبلوا الأرش

---

(١) هو أبو عبد الله مروان بن معاوية بن الحارث بن أسماء الفزاري الكوفي، نزيل مكة ودمشق، ثقة حافظ وكان يدلس أسماء الشيوخ، من الثامنة، مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة]. ع.

فقال رسول ا لله ﷺ: «إن من عباد ا لله من لو أقسم على ا لله لأبره».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**كسرت الربيع وهي عمة أنس**» في الديات باب السن بالسن: «لطمت جارية فكسرت ثنيتها» والربيع هي الربيع بنت النظر الأنصارية الخزرجية عمة أنس بن مالك، صحابية روى عنها أنس في الجهاد من صحيح مسلم، و لم يذكرها المزي.أخرج لها مسلم.

الثانية: قوله «**تنية جارية من الأنصار**» الثنية مفرد ثنايا وهي ما يلي الرباعية من الأسنان في وسط الفم وفي رواية معتمر «امرأة» بدل جارية وهو يوضح أن المراد بالجارية المرأة الشابة لا الأمة الرقيقة.و لم أقف على اسم تلك الجارية.

الثالثة: قوله «**فطلب القوم القصاص**» في الديات «فأتوا النبي ﷺ» زاد في الصلح باب الصلح في الدين، ومثله لابن ماجه في الديات والنسائي في تفسير الآية من وجه آخر عن أنس: «فطلبوا إليهم العفو فأبوا، فعرضوا عليهم الأرش فأبوا» أي طلب أهل الربيع إلى أهل التي كسرت تنيتها أن يعفوا عن الكسر المذكور مجاناً أو على مال فامتنعوا.

الرابعة: قوله «**فأمر النبي ﷺ بالقصاص**» أي بأن يقتص من الربيع بكسر سنها لقاء كسرها سن الجارية.

الخامسة: قوله «**فقال أنس بن النظر**» هو أنس بن النظر الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك صحابي استشهد يوم أحد سنة ثلاث من الهجرة.

السادسة: قوله «**لا وا لله لا تكسر سنها يا رسول ا لله**» ليس هذا القسم من أنس رداً لحكم ا لله ولا اعتراضاً عليه؛ ولكنه قال ذلك طمعاً في عدم وقوعه لما كان له عند ا لله من القرب والثقة بفضل ا لله تعالى ولطفه أنه لا يخيبه بل

يلهمهم العفو.

السابعة: قوله «**كتاب ا لله القصاص**» أي فريضة ا لله في هذا القصاص ولا بد من تقييده بعدم العفو والمطالبة من المجني عليه أو وليه كما قال تعالى: ﴿**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان**﴾ فالآية دليل على أنه بالعفو يسقط القصاص.

الثامنة: قوله «**فرضي القوم وقبلوا الأرش**» يعني عفى أهل الجارية عن القصاص ورضوا بدية السن.

التاسعة: قوله «**إن من عباد ا لله من لو أقسم على ا لله لأبره**» أي لأبر قسمه. ووقع في رواية خالد الطحان عن حميد عن أنس في هذا الحديث عند ابن أبي عاصم: «كم من رجل لو أقسم على ا لله لأبره» ووجه تعجبه أن أنس بن النظر أقسم على نفي فعل غيره مع إصرار ذلك الغير على إيقاع ذلك الفعل فكان قضية ذلك في العادة أن يحنث في يمينه فألهم ا لله الغير العفو فبر قسم أنس.وأشار بقوله «إن من عباد ا لله» أي أن هذا الإتفاق إنما وقع إكراماً من ا لله لأنس ليبر يمينه وأنه من جملة عباد ا لله الذين يجيب دعاءهم ويعطيهم أربهم. حكاه الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: وجوب القصاص إذا لم يكن عفو من المجني عليه أو وليه.

ثانياً: فضيلة أنس بن النظر رضي ا لله عنه.

فائدة:

يذكر الفقهاء شروطاً لوجوب القصاص وأخرى لاستفاءه وسنذكر كـ ۛ من الصنفين على حدة فنقول وبا لله التوفيق:

أولاً: شروط وجوب القصاص وهي أربعة:

أحدها:عصمة المقتول فلو قتل مسلم حربياً أو مرتداً لم يضمنه بقصاص ولا دية.

الثاني: التكليف فلا قصاص على صغير ولا مجنون.

الثالث: المكافأة بأن يساويه في الدين والحرية والرق فلا يقتل مسلم بكافر ولا حر بعبد وعكسه يقتل، ويقتل الذكر بالأنثى والأنثى بالذكر.

الرابع: عدم الولادة فلا يقتل أحد الأبوين وإن علا بالولد وإن سفل ويقتل الولد بكلٍ منهما.

ثانياً: شروط استيفاء القصاص وهي ثلاثة:

(**أ**): كون مستحقه مكلفاً فإن كان صبياً أو مجنوناً لم يستوفى وحبس الجاني إلى البلوغ والإفاقة.

(**ب**):إتفاق الأولياء المشتركين فيه، على استيفائه وليس لبعضهم أن ينفرد به وإن كان بقي غائباً أو صبياً أو مجنوناً انتظر القدوم والبلوغ والعقل.

(**ج**): أن يؤمن في الاستيفاء أن يتعدى الجاني فإذا وجب على حامل أو حائل فحملت لم تقتل حتى تضع الولد وتسقيه اللباء ثم إن وجد من يرضعه وإلا تركت حتى تفطمه ولا يقتص منها في الطرف حتى تضع والحد في ذلك كالقصاص.

١١٤- [باب ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾].

ش: تمامها ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾.

قوله ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخاطباً عبده ورسوله محمد ﷺ باسم الرسالة وآمراً له بإبلاغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل عليه أفضل الصلاة والسلام ذلك وقام به أتم القيام.

قوله ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ يعني إذا لم تمتثل هذا الأمر الذي أمرك به ربك فإنك لم تكن مبلغاً الرسالة التي بعثك الله بها هداية للناس وإخراجاً لهم من الظلمات إلى النور»اهـ.

قوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

قال ابن جرير: «ويعني بقوله ﴿والله يعصمك من الناس﴾ يمنعك من أن ينالوك بسوء، وأصله من عصام القربة، وهو ما توكأ به من سير وخيط ومنه قول الشاعر:

وقلت عليكم مالكاً إن مالكاً

سيعصمكم إن كان في الناس عاصم

يعني يمنعكم».

قوله ﴿**إن ا لله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ يعني جل وعلا بذلك نفي هداية التوفيق والقبول عمن سبق في علم ا لله عليه الكفر عليه، لا هداية البيان والإرشاد فإنها شاملة كل من بلغته الرسالة، وبها قامت عليهم الحجة وأمثال هذا النفي في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿**فبهت الذي كفر وا لله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ وقوله: ﴿**لا يقدرون على شيء مما كسبوا وا لله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

١٣٣ـ حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي ا لله عنها قالت: من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب وا لله يقول ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك﴾.

ش: سيأتي بتمامه في سورة **النجم** ضمن الباب السابع والثلاثين بعد الثلاث مائة وهناك يأتي شرحه كاملاً إن شاء ا لله.

١١٥- [باب ﴿لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم﴾].

ش: تمامها ﴿**ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين ا لله لكم آياته لعلكم تشكرون**﴾.

قوله ﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ .

قال البغوي في سبب نزولها: قال ابن عباس رضي ا لله عنهما: لما نزلت ﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل ا لله لكم**﴾ قالوا يا رسول ا لله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها، وكانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه، فأنزل ا لله ﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم**﴾.

قلت: ونظيره من سورة البقرة ﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم**﴾.

قال الشوكاني في تفسيرها: «﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم**﴾ واللغو مصدر لغا يلغو لغواً.ولغى يلغى لغياً.إذا أتى بما لا يحتاج إليه في الكلام أو بما لا خير فيه، وهو الساقط الذي لا يعتد به، فاللغو من اليمين هو الساقط الذي لا يعتد به، ومنه اللغو في الدية وهو الساقط الذي لا يعتد به من أولاد الإبل.قال جرير:

ويذهب بينها المرئ لغواً كما ألغيت في الدية الحوارا

وقال آخر:

ورب أسراب حجيج كظيم عن اللغا ورفث التكلم

أي لا يتكلمن بالساقط والرفث، ومعنى الآية لا يعاقبكم ا لله بالساقط من

أيمانكم ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته بالقصد إليه، وهي اليمين المعقودة.ومثله قوله تعالى:﴿**ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان**﴾ ومثله قول الشاعر:

ولست بمأخوذ يلغو بقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقد اختلف أهل العلم في تفسير اللغو، فذهب ابن عباس وعائشة وجمهور العلماء أيضاً أنه قول الرجل "لا وا لله" و"بلى وا لله" في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين، ولا مريد له.

قال المروزي: «هذا معنى لغو اليمين الذي اتفق عليه عامة العلماء» .

وقال أبو هريرة وجماعة من السلف: «هو أن يحلف الرجل على شيء لا يظن إلا أنه إياه فإذا ليس هو ما ظنه، وإلى هذا ذهبت الحنفية والزيدية وبه قال مالك في الموطأ.ثم ذكر أقوالاً أخرى وقال: والراجح القول الأول لمطابقته للمعنى اللغوي، ولدلالة الأدلة عليه».اهـ

قوله ﴿فكفارته إطعام عشرة مساكين ـ إلى قوله ـ فصيام ثلاثة أيام﴾.

قلت: الكفارة من كفر ا لله عنه الذنب أي محاه، ومنه الكفارة؛ لأنها تكفر الذنب، وكفر عن يمينه إذا فعل الكفارة وأما معنى الآية فقال ابن كثير: «قوله ﴿**عشرة مساكين**﴾ يعني محاويج من الفقراء ومن لا يجد ما يكفيه، وقوله ﴿**من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾ قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة: أي من أعدل ما تطعمون أهليكم.

وقال عطاء الخرساني: «من أمثل ما تطعمون أهليكم...واختار ابن جرير أن المراد بقوله ﴿**من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾ أي في القلة والكثرة...»

وقوله تعالى ﴿**أو كسوتهم**﴾ قال الشافعي رحمه ا لله: «لو دفع إلى كل واحد من العشرة ما يصدق عليه اسم الكسوة من قميص أو سراويل أو إزار أو عمامة أو مقنعة أجزأه ذلك» .

وقوله ﴿أو تحرير رقبة﴾ أخذ أبو حنيفة بإطلاقها فقال: تجزي الكافرة كما تجزي المؤمنة، وقال الشافعي وآخرون: لا بد أن تكون مؤمنة وأخذ تقييدها بالإيمان من كفارة القتل لإتحاد الموجب وإن اختلف السبب ومن حديث معاوية بن الحكم السلمي الذي هو في موطأ مالك ومسند الشافعي وصحيح مسلم: أنه ذكر أن عليه عتق رقبة وجاء معه بجارية سوداء فقال لها رسول الله: أين الله.قالت: في السماء قال: من أنا. قالت: رسول الله.قال: اعتقها فإنها مؤمنة.الحديث بطوله.فهذه خصال ثلاث في كفارة اليمين أيها فعل الحانث أجزأ عنه بالإجماع وقد بدأ بالأسهل فالأسهل، فالإطعام إسهل وأيسر من الكسوة، كما أن الكسوة أيسر من العتق، فترقى فيها من الأدنى إلى الأعلى فإن لم يقدر المكلف على واحدة من هذه الخصال الثلاث كفر بصيام ثلاثة أيام كما قال تعالى ﴿فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام﴾.

قوله ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ يعني المتقدم ذكره من الخصال على ما سبق شرحه مكفرٌ للأيمان.

وقوله ﴿إذا حلفتم﴾ يعني إذا حلفتم فحنثتم بترك ما حلفتم على فعله أو فعل ما حلفتم على تركه»اهـ.

قوله ﴿واحفظوا أيمانكم﴾ الخ الآية قال ابن جرير: «واحفظوا أيها الذين آمنوا أيمانكم أن تحنثوا فيها ثم تصنعوا الكفارة فيها بما وصفته لكم ﴿كذلك يبين الله لكم آياته﴾ كما بين لكم كفارة أيمانكم كذلك يبين الله لكم جميع آياته يعني أعلام دينه، فيوضحها لكم لئلا يقول المضيع المفرط فيما ألزمه الله: لم أعلم حكم الله في ذلك ﴿لعلكم تشكرون﴾ يقول لتشكروا الله على هدايته إياكم وتوفيقه لكم»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: لا كفارة في لغو الأيمان.

ثانياً: وجوب الكفارة في اليمين المنعقد.

ثالثاً: الأمر بحفظ اليمين وصيانتها.

رابعاً: شكر الله على ما أولى من نعمه ومن ذلك شرعية الكفارة في اليمين.

١٣٤- حدثنا علي بن سلمة[1]، حدثنا مالك بن سعير[2]، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: أنزلت هذه الآية ﴿لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ في قول الرجل "لا والله" و"بلى والله".

١٣٥- حدثنا أحمد بن أبي رجاء[3]، حدثنا النضر[4]، عن هشام قال: أخبرني أبي، عن عائشة رضي الله عنها: أن أباها كان لا يحنث في يمين حتى أنزل الله كفارة اليمين قال أبو بكر: لا أرى يميناً أرى غيرها خيراً منها إلا قبلت رخصة الله، وفعلت الذي هو خير.

ش: فيهما أربع مسائل:

---

(١) هو علي بن سلمة بن عقبة القرشي اللبقي، النيسابوري، صدوق من كبار الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائتين.خ.ق.

(٢) مالك بن سعير بالتصغير وآخره راء بن الخمس بكسر المعجمة، لا بأس به من التاسعة، مات على رأس المائتين.خ.م.ت.س.ق.

(٣) هو أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أيوب الهروي، ثقة من العاشرة مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.خ.

(٤) هو أبو الحسن النضر بن شميل المازني النحوي البصري، نزيل مرو، ثقة ثبت من كبار التاسعة، مات سنة أربع ومائتين وله اثنتان وثمانون.ع.

الأولى: قوله «**لا وا لله وبلى وا لله**» فيه دليل على ما ذهب إليه الجمهور أن لغو اليمين قول الرجل لا وا لله وبلى وا لله في حديثه وكلامه غير معتقد لليمين ولا مريد لها.والظاهر أن الخبر موقوف على عائشة رضي ا لله عنها، وهو الذي رجحه أبو داود بعد إخراجه من طريق إبراهيم الصائغ عن عطاء عن عائشة أن رسول ا لله ﷺ قال: «هو كلام الرجل في بيته لا وا لله وبلى وا لله» فقال: كان إبراهيم الصائغ رجلاً صالحاً قتله أبو مسلم بعرندس قال: وكان إذا رفع المطرقة فسمع النداء سيبها.قال أبو داود: «روى هذا الحديث داود بن أبي الفرات عن إبراهيم الصائغ موقوفاً على عائشة، وكذلك رواه الزهري وعبد الملك بن أبي سليمان ومالك بن مغول وكلهم عن عطاء عن عائشة موقوفا».اهـ

قلت: وعندي أن هذا وأمثاله مما ليس فيه مجال للإجتهاد فله حكم المرفوع.

الثانية: قوله «**أن أباها كان لا يحنث في يمين**» أخرجه ابن حبان من طريق محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول ا لله ﷺ إذا حلف على يمين لم يحنث» الحديث.والمحفوظ ما وقع في الصحيحين أن ذلك فعل أبي بكر وقوله.وا لله أعلم.

وحكى ابن التين عن الداودي أن الحديث الثاني يفسر الأول، وتعقبه والحق أن الأول في تفسير لغو اليمين، والثاني في تفسير عقد اليمين.قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**قال أبو بكر: لا أُرى يميناً غيرها خيراً منها**» بفتح الهمزة في الموضعين من الرؤية بمعنى الاعتقاد، وفي الثاني بالضم بمعنى الظن.وقد أخرجه في أول الأيمان والنذور قول ا لله تعالى ﴿**لا يؤاخذكم ا لله باللغو في أيمانكم**﴾ من رواية عبد ا لله بن المبارك عن هشام بلفظ: «لا أحلف على يمين فرأيت غيرها خيراً منها».

الرابعة: قوله «**إلا قبلت رخصة ا لله**»أي في كفارة اليمين.وفي رواية ابن

المبارك «إلا أتيت الذي هو خير منه».

من فقه الحديثين:

أولاً: في تمسك أبي بكر رضي الله عنه بإمضاء يمينه وحرصه عليه حتى نزول الكفارة مثنة من فقهه رضي الله عنه إذ كان يدور مع الدليل.

ثانياً: جواز المضي في اليمين وإنفاذه ما لم يكن في ذلك معصية كقطيعة الرحم وعلى هذا قام الدليل.

ثالثاً: أن التكفير عن اليمين وفعل ما حلف على تركه أو ترك ما حلف على فعله مندوب إليه إذا كان أتقى لله فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف على يمين ثم رأى اتقى لله منها فليأت التقوى». رواه مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: إني والله ـ إن شاء الله ـ لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها، إلا أتيت الذي هو خير منها، وتحللتها. أخرجاه.

١١٦- [باب قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾].

ش: تمامها ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾

قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم ﷺ أنه حق من عند الله ﴿**لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم**﴾ يعني بالطيبات اللذيذات التي تشتهيها النفوس، وتميل إليها القلوب، فتمنعوها إياها. كالذي فعله القسيسون والرهبان، فحرموا على أنفسهم النساء والمطاعم الطيبة، والمشارب اللذيذة، وحبس في الصوامع بعضهم أنفسهم وساح في الأرض بعضهم يقول تعالى ذكره: فلا تفعلوا أيها المؤمنون كما فعل أولئك.

قوله ﴿**ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين**﴾.

قال ابن كثير: «يحتمل أن يكون المراد منه ولا تبالغوا في التضييق على أنفسكم بتحريم المباحات عليكم كما قاله من قاله من السلف. ويحتمل أن يكون المراد كما لا تحرموا الحلال فلا تعتدوا في تناول الحلال بل خذوا منه بقدر كفايتكم وحاجتكم ولا تجاوزوا الحد فيه كما قال تعالى ﴿**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا**﴾ الآية. وقال ﴿**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً**﴾ فشرع الله عدل بين الغالي فيه والجافي عنه، لا إفراط ولا تفريط». اهـ

من فقه الآية:

أولاً: النهي عن تحريم ما أحل الله لما فيه من التضييق والحرج على النفوس، بل هو من تزيين الشياطين كما روى مسلم في صحيحه عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني، يومي هذا. كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وأنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم، عن دينهم، وحرمت

عليهم ما أحللت لهم).

ثانياً: النهي عن الاعتداء وهو شامل لتحريم الحلال وتحليل الحرام.

ثالثاً: أن التحليل والتحريم محض حق الله لا يشركه فيه أحد.

١٣٦ـ حدثنا عمرو بن عون(١)، حدثنا خالد(٢)، عن إسماعيل، عن قيس(٣)، عن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع النبي ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم﴾.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**كنا نغزوا مع النبي ﷺ وليس معنا نساء**» فيه بيان أن الحامل لهم على طلبهم الآتي شدة العزوبة عليهم.

الثانية: قوله «**ألا نختصي؟**» وفي باب ما يكره من التبتل من كتاب النكاح من رواية ابن جريج «ألا نستختصي» ولا تنافي بينهما فالأولى استئذان لفعلهم الاختصاء والثانية استئذان في طلب من يفعله بهم.

الثالثة: قوله «**فنهانا عن ذلك**» قال أهل العلم: هو نهي تحريم بلا خلاف في بني آدم، وفيه أيضاً من المفاسد تعذيب النفس والتشويه مع إدخال الضرر الذي قد يفضي إلى الهلاك، وفيه إبطال معنى الرجولية وتغيير خلق الله وكفر

---

(١) هو أبو عثمان عمرو بن عون بن أوسط الواسطي البزاز البصري، ثقة من العاشرة مات سنة خمس وعشرين [ومائتين]. ع.

(٢) هو خالد بن عبد الله بن عبد الرحمن الطحان الواسطي المزي مولاهم، ثقة ثبت، من الثامنة مات سنة اثنتين وثمانين ومائة وكان مولده سنة عشر ومائة. ع.

(٣) هو أبو عبد الله قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي ثقة من الثانية مخضرم، مات بعد التسعين أو قبلها وقد جاز المائة وتغير. ع.

النعمة؛ لأن خلق الشخص رجلاً من النعم العظيمة فإذا أزال ذلك فقد تشبه بالمرأة واختار النقص على الكمال، وفيه من المفاسد قطع النسل الذي هو من أعظم منافع النكاح.

الرابعة: قوله «**فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب**» يعني وغيره مما يتم عليه التراضي وفيه إرشاد إلى تخفيف المهر وتقليله.

الخامسة: قوله «**ثم قرأ**» وقع في رواية ابن بشر عند مسلم في النكاح باب نكاح المتعة «ثم قرأ عبد الله».

السادسة: قوله «**﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ الآية**» وظاهر استشهاد ابن مسعود بهذه الآية هنا يشعر بأنه كان يرى جواز المتعة فقال القرطبي: لعله لم يكن حينئذ بلغه الناسخ، ثم بلغه فرجع بعد.

قلت: يؤيده ما ذكره الإسماعيلي أنه وقع في رواية أبي معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد «ففعله ثم ترك بعد» قال: وفي رواية لابن عيينة عن إسماعيل «ثم جاء تحريمها بعد» وفي رواية معمر عن إسماعيل «ثم نسخ» حكاه الحافظ.

١١٧- [باب قوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان﴾].

ش: قلت الآية: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾.**

الغريب:

١- **الخمر**: يجمع الخمر على خمور مثل فلس وفلوس، ويقال هي اسم لكل مسكر خامر العقل أي غطاه.

٢- **الميسر**: قال في الصحاح: «الميسر قمار العرب بالأزلام، والياسر اللاعب بالقداح» اهـ.

وقال محمد بن كعب القرظي: «كانوا يشترون الجزور فيجعلونها أجزاء، ثم يأخذون القداح فيلقونها وينادى يا ياسر الجزور، يا ياسر الجزور، فمن خرج قدحه أخذ جزءً بغير شيء، ومن لم يخرج قدحه غرم، ولم يأخذ شيئاً».

٣- **الأنصاب**: «النصب بضمتين حجر نصب وعبد من دون الله، وجمعه أنصاب.وقيل النصب جمعها، واحدها نصاب.قيل هي الأصنام وقيل غيرها فإن الأصنام مصورة منقوشة». قاله في المصباح.

٤- **الأزلام**: الـزَلم بفتح اللام، وتضم الزاي وتفتح.القدح وجمعه أزلام.وكانت العرب في الجاهلية تكتب عليها الأمر والنهي وتضعها في وعاء فإذا أراد أحدهم أمراً أدخل يده وأخرج قدحاً فإن خرج ما فيه الأمر مضى لقصده، وإن خرج ما فيه النهي كف.قاله في المصباح.

٥- **الرجس**: «هو الشيء القذر.يقال: رجل رجس، ورجال أرجاس.والرجس يكون على أربعة أوجه، إما من حيث الطبع، وإما من جهة العقل، وإما من كل ذلك.كالميتة فإن الميتة تعاف طبعاً وعقلاً وشرعاً، والرجس من جهة الشرع الخمر والميسر».قاله الراغب في المفردات.

ومعنى الآية: يـا أيهـا الذين آمنـوا . صدقـوا الله ورسـوله، إن الخمـر الـتي تشربونها، والميسر الذي تتياسرونه، والأنصاب التي تذبحون عندها، والأزلام الـتي تستقسمون بها ﴿**رجس**﴾ يقول: إثم ونتن، سخطه الله وكرهه لكم ﴿**من عمـل الشـيطان**﴾ يقـول: شـربكم الخمـر وقمـاركم علـى الجـزر وذبحكـم للأنصـاب واستقسامكم بالأزلام من تزيين الشيطان لكم لامـن الأعمـال الـتي ندبكـم إليهـا ربكم ولا مما يرضاه لكم بل هو مما يسخطه لكم، ﴿**فاجتنبوه**﴾ يقـول: فـاتركوه وارفضوه ولا تعملوه ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ يقول: «لكي تنجحوا فتدركوا الفـلاح عند ربكم بترككم ذلك».قاله ابن جرير.

قال مقيده: وإذا ضممت هذه الآية إلى ما بعدها وهي ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضـاء في الخمـر والميسـر ويصدكـم عـن ذكـر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون**﴾ ظهر لك أعظم المفاسد التي من أجلهـا حرمـت الخمر وهي:

أولاً: إيقاع العداوة والبغضاء.

ثانياً: الصد عن ذكر الله.

ثالثاً: الصد عن الصلاة، وذلك ما يريده الشيطان من أهـل الإسـلام بـتزيين الخمر وسائر المسكرات لهم.

من فقه الآيتين:

أولاً: تحريم الخمر وسائر المذكورات بعده.

ثانياً: أنها من تزيين الشيطان.

ثالثاً: الوعد بالفلاح لمن ترك المذكورات في الآية.

رابعاً: يجب على أهل الإسلام سد مداخل الشيطان ومكائده.

خامساً: في الخمر وسائر المسكرات فساد العقل والعرض والدين.

شرح جملة من الكلمات:

١- [وقال ابن عباس: الأزلام القداح يقتسمون بها في الأمور. والنصب أنصاب يذبحون عليها].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق الحسن بن محمد الصباح، عن حجاج بن محمد، عن ابن جريج وعثمان بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عباس فذكره.

٢- [وقال غيره: الزلم القدح لا ريش له. وهو واحد الأزلام].

ش: قال أبو عبيدة: «واحد الأزلام زَلَم بفتحتين، وزُلَم بضم أوله وفتح ثانيه لغتان وهو القِدْح بكسر القاف وسكون الدال».

٣- [والاستقسام: «أن يجيل القداح فإن نهته انتهى، وإن أمرته فعل ما تأمره، وقد أعلموا القداح أعلاماً، بضروب يستقسمون بها، وفعلت منه قسمت، والقسوم المصدر. يجيل: يدير].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو من استفعلت من قسمت أمري بأن أجيل القداح لتقسم لي أمري، أأسافر أم أقيم، أم أغزو أو لا أغزو، ونحو ذلك. فتكون هي التي تأمرني وتنهاني، ولكل ذلك قدح معروف. وقال: و لم أقسم فتربثني القسوم. ويقال ريثه يريثه ريثاً إذا حبسه».

١٣٧- حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا محمد بن بشر[1]، حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[2] قال: حدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزل تحريم الخمر، وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن بشر العبدي، الكوفي، ثقة حافظ من التاسعة، مات سنة ثلاث ومائتين. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، المدني نزيل الكوفة، صدوق يخطيء من السابعة، مات في حدود الخمسين[ومائة]. ع.

شراب العنب.

١٣٨- حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن علية، حدثنا عبد العزيز بن صهيب قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ، فإني لقائم أسقي أبا طلحة، وفلاناً، وفلاناً إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر. قالوا: اهرق هذه القلال يا أنس. قال: فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

١٣٩- حدثنا صدقة بن الفضل، أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال: صبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء، وذلك قبل تحريمها.

١٤٠- حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، أخبرنا عيسى[1] وابن إدريس[2]، عن ابي حيان[3]، عن الشعبي، عن ابن عمر قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي ﷺ يقول: أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل.

ش: فيها ثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**نزل تحريم الخمر**» يعني به قوله تعالى ﴿**إنما الخمر والميسر**﴾ الآية فإنها هي النص القاطع بتحريمها إذ هي آخر ما نزل في ذلك.

---

(١) هو عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أخو إسرائيل، كوفي نزل الشام مرابطاً، ثقة مأمون، من الثامنة، مات سنة سبع وثمانين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن إدريس بن يزيد الأودي، الكوفي، ثقة فقيه عابد، من الثامنة، مات سنة اثنتين وتسعين [ومائة] وله بضع وسبعون سنة. ع.

(٣) هو يحيى بن سعيد بن حيان التيمي الكوفي، ثقة عابد، من السادسة، مات سنة خمس وأربعين [ومائة]. ع.

الثانية: قوله «**وإن في المدينة يومئذ لخمسة أشربة**» **قلت:** وهي الزبيب والتمر والحنطة والشعير والعسل، وقد جاء بيانها في الأشربة باب الخمر من العنب من رواية الشعبي، عن ابن عمر، عن أبيه.

الثالثة: قوله «**الفضيخ**» قال أهل العلم: بفتح الفاء وكسر الضاد وبالخاء المعجمتين هو شراب يتخذ من البسر وحده من غير أن تمسه النار، والفضخ الكسر؛ لأن البسر يشرخ ويترك في وعاء حتى يغلي.

الرابعة: قوله «**أسقي أبا طلحة، وفلاناً وفلاناً**» وقع تسميتهم في الأشربة باب نزول تحريم الخمر من رواية إسحاق وهم أبو عبيدة، وأبي بن كعب، وأبو طلحة، وزاد مسلم في الأشربة باب تحريم الخمر من رواية قتادة معاذ بن جبل وأبا دجانة وسهيل بن بيضاء.

الخامسة: قوله «**إذ جاء رجل**» لم نقف له على تسمية.

السادسة: قوله «**حرمت الخمر**» يعني حرمها الله بما أنزله على نبيه ﷺ في كتابه في سورة المائدة.

السابعة: قوله «**اهرق هذه القلال**» أمر بالإراقة وهي الصب والنثر، والقلال جمع قلة، وهي الجرة العظيمة، وهذا دليل على كثرتها في الدار حينئذ.

الثامنة: قوله «**فما سألوا عنها، ولا راجعوها بعد خبر الرجل**». **قلت:** فيه دليل على سرعة استجابة القوم لأمر الله ورسوله كما أن فيه النص على قبول خبر الواحد، وهذه إحدى الوقائع الكثيرة التي اشتهر فيها عن الصحابة قبول خبر الواحد من غير تردد.

التاسعة: قوله «**صبح أناس غداة أحد الخمر**» سمى جابر منهم فيما رواه وهب بن كيسان عنه: «أباه عبد الله بن عمرو» أخرجه الحاكم في «الإكليل» قاله الحافظ في شرحه لهذا الحديث في غزوة أحد.

العاشرة: قوله «**فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء**» وعند الإسماعيلي من طريق

القواريري عن سفيان: «اصطبح قوم الخمر أول النهار، وقتلوا آخر النهار شهداء» حكاه القسطلاني.

الحادية عشرة: قوله «**وذلك قبل تحريمها**» فيه دليل على أن الخمر لم تكن محرمة حينئذ، وقد تقدم أن غزوة أحد كانت سنة ثلاث.

الثانية عشرة: قوله «**والخمر ما خامر العقل**» فيه التنبيه إلى أن اسم الخمر شامل، وليس مقصور على ما كان معهوداً حين تحريمها، وهذا دليل على فقه عمر رضي الله عنه، ومصداقه في الحديث الصحيح «كل مسكر خمر، وكل خمر حرام».

قلت: فقد دخل في هذا العموم جميع المسكرات سواء منها ما كان مشروباً أو مأكولاً أو مشموماً ما دام يخامر العقل.

تنبيه على ما كان يتخذ منه الخمر حين تحريمها:

فإن قلت: روى أحمد من رواية المختار بن فلفل قال: سألت أنساً عن الأوعية.الحديث.وفيه الخمر من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة، وفي رواية أبي يعلى الموصلي: «وحرمت الخمر وهي من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير والذرة» وفي رواية أبي هريرة عن النبي ﷺ «الخمر من هاتين الشجرتين النخلة والعنب» رواه مسلم.

قلت: لا تعارض بين هذه الأحاديث؛ لأن كل واحد من الرواة روى ما حفظ من الأصناف، وأيضاً فإن مفهوم العدد ليس بحجة على الصحيح وعليه الجمهور.

فإن قلت: حديث أبي هريرة يدل على الحصر.

قلت: لا نسلم ذلك؛ لأن الحصر إنما يكون إذا كان المبتدأ والخبر معرفتين كقولك: الله ربنا.ونحوه.قاله العيني في شرحه لحديث ابن عمر في أول الباب.

فائدة في الأطوار التي مر بها ذكر الخمر في القرآن:

اعلم هديت إلى الصواب وسداد الأقوال والأعمال أن الخمر في القرآن مرت بأربعة أطوار:

الأول: الإباحة وذلك في قوله ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً**﴾ ووجه الاستدلال أنها ذكرت ضمن ما امتن الله به على عباده.

قال ابن كثير: «ولما ذكر اللبن وأنه تعالى جعله شراباً للناس سائغاً ثنى بذكر ما يتخذه الناس من الأشربة من ثمرات النخيل والأعناب، وما كانوا يصنعون من النبيذ المسكر قبل تحريمه، ولهذا امتن به عليهم فقال: ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً**﴾ دلّ على إباحته شرعاً قبل تحريمه، ودلّ على التسوية بين السكر المتخذ من النخل والمتخذ من العنب كما هو مذهب مالك والشافعي وأحمد وجمهور العلماء»اهـ.

الثاني: التعريض وهو أن ضررها أكثر من نفعها كما أفاده قوله تعالى: ﴿**يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس، وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾.

الثالث: نهي من كان سكران عن قربان الصلاة، حتى يكون على وعي، وإدراك مما يقوله في صلاته، ويفعله فيها كما أفاده قوله تعالى ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**﴾.

الرابع: التحريم البتة كما أفادته آيتا المائدة أول الباب.

قال مقيده: وها هنا أمران يجب التنبه إليهما ووعيهما وعي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:

الأمر الأول: فيما تواتر من السنة الصحيحة عن النبي ﷺ في ذم الخمر وسائر

المسكرات، والوعيد بالعقوبات الشديدة عليها وهو مفيد قطعاً تحريمها وإليك من تلك السنة أربعة أحاديث:

الحديث الأول: عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثة لا يدخلون الجنة العاق لوالديه، والمدمن على الخمر، والمنان بما أعطى) رواه النسائي في الزكاة باب: المنان بما أعطى، وقال فيه الألباني حفظه الله: حديث حسن صحيح.

الحديث الثاني: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:(كل مسكر خمر وكل مسكر حرام، ومن شرب الخمر في الدنيا ومات وهو يدمنها لم يتب منها لم يشربها في الآخرة) متفق عليه .

الحديث الثالث: وعن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (كل مخمر خمر، وكل مسكر حرام، ومن شرب مسكراً بخست صلاته أربعين صباحاً، فإن تاب تاب الله عليه، فإن عاد الرابعة كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال، قيل وما طينة الخبال يارسول الله؟ قال: صديد أهل النار) . قال أبو السعادات في جامعه: «أخرجه أبو داود . قال محققه: وفي سنده إبراهيم بن عمر اليماني، أبو إسحاق الصنعاني وهو مستور . أقول: وللحديث شواهد بمعناه يقوى بها»اهـ .

الحديث الرابع: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (لعن رسول الله ﷺ في الخمر عشرة عاصرها ومعتصرها وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة إليه، وبائعها ومبتاعها وواهبها وآكل ثمنها) أخرجه الترمذي، وقال الأرنؤط ورواه أيضاً ابن ماجة رقم (٣٣٨١) في الأشربة باب لعنة الخمر على عشرة أوجه، وهو حديث حسن .

الأمر الثاني: ويتضمن فائدة في ذكر مفاسد المسكرات والمخدرات ومضارها:

أكل المسكر الطاهر كالحشيشة والأفيون والشيكران بفتح الشين المعجمة وهو البنج وكالعنبر والزعفران وجوزة الطيب، فهذه كلها مسكرة كما صرح به النووي في بعضها وغيره في باقيها، ومرادهم بالإسكار هنا تغطية العقل لا مع الشدة المطربة لأنها من خصوصيات المسكر المائع، وبما قررته في معنى الإسكار في هذه المذكورات علم أنه لا ينافي أنها تسمى مخدرة، وإذا ثبت أن هذه كلها مسكرة أو مخدرة فاستعمالها كبيرة وفسق كالخمر، فكل ما جاء في وعيد شاربها يأتي في مستعمل شئ من هذه المذكورات لا شتراكهما في إزالة العقل المقصود للشارع بقاؤه لأنه الآلة للفهم عن الله تعالى وعن رسوله والمتميز به الإنسان عن الحيوان والوسيلة إلى إيثار الكمالات عن النقائص فكان في تعاطي ما يزيله وعيد الخمر.

ولا بد من ذكر خلاصة ذلك هنا فنقول: الأصل في تحريم كل ذلك ما رواه أحمد في مسنده وأبو داود في سننه: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر. قال العلماء: المفتر: كل ما يورث الفتور والخدر في الأطراف، وهذه المذكورات كلها تسكر وتخدر وتفتر.

وحكى القرافي وابن تيمية الإجماع على تحريم الحشيشة، قال: ومن استحلها فقد كفر. قال: وإنما لم يتكلم فيها الإئمة الأربعة لأنها لم تكن في زمنهم، وإنما ظهرت في آخر المائة السادسة وأول المائة السابعة حين ظهرت دولة التتار.

وذكر الماوردي قولاً أن النبات الذي فيه شدة مطربة يجب فيه الحد.

قال بعض العلماء: «وفي أكلها مائة وعشرون مضرة دينية ودنيوية. منها أنها تورث الفكرة الرديئة، وتجفف الرطوبات الغريزية وتعرض البدن لحدوث الأمراض، وتورث النسيان، وتصدع الرأس وتقطع النسل، وتجفف المني، وتورث موت الفجأة واختلال العقل وفساده، والدق، والسل والاستسقاء، وفساد الفكر، ونسيان الذكر، وإفشاء السر، وإنشاء الشر، وذهاب الحياء، وكثرة المراء، وعدم المروءة، ونقض المودة، وكشف العورة، وعدم الغيرة، واتلاف الكيس، ومجالسة إبليس، وترك الصلوات، والوقوع في المحرمات، والبرص، والجذام، وتوالي الأسقام، والرعشة على الدوام، وثقب الكبد، واحتراق الدم والبخر، ونتن الفم، وفساد الأسنان، وسقوط شعر الأجفان، وصفرة الأسنان، وعشاء العين والفشل وكثرة النوم والكسل، وتجعل الأسد كالعجل، وتعيد العزيز ذليلاً والصحيح عليلا والشجاع جباناً والكريم مهاناً، إن أكل لا يشبع وإن أعطى لا يقنع، وإن كلم لا يسمع، تجعل الفيّح أبكم والذكي أبلم، وتذهب الفطنة، وتحدث البطنة، وتورث العنة واللعنة والبعد عن الجنة.

ومن قبائحها أنها تنسي الشهادتين عند الموت، بل قيل إن هذا أدنى قبائحها.

وهذه القبائح كلها موجودة في الأفيون وغيره مما سبق، بل يزيد الأفيون ونحوه بأن فيه مسخاً للخلقة كما يشاهد من أحوال آكليه وعجيب ثم عجيب ممن يشاهد من أحوال آكليه تلك القبائح التي هي مسخ البدن والعقل وصيرورتهم إلى أخس حالة وأرث هيئة وأقذر وصف وأفظع مصاب لا يتأهلون لخطاب ولا يميلون قط إلى صواب ولا يهتدون إلا إلى خوارم المروءات وهو أذم الكمالات وفواحش الضلالات، ثم مع هذه العظائم التي نشاهدها منهم يحب الجاهل أن يندرج في زمرتهم الخاسرة وفرقتهم الضالة الحائرة متعامياً عما على

وجوههم من الغبرة وما يعتريها من القترة ذلك يخشى عليه أن يكون من الكفرة الفجرة، فمن اتضحت له فيهم هذه المثالث وبان عنده ما اشتملوا عليه من كثير المعايب ثم نحا نحوهم وحذا حذوهم فهو المفتون المغبون الذي بلغ الشيطان فيه غاية أمله بعد أن كان يتربص به ريب المنون، لأنه لعنه الله إذا أحل عبداً في هذه الورطة لعب به كما يلعب الصبي بالكرة إذ ما يريد منه حينئذ شيئاً إلا وسابقه إلى فعله لأن العقل الذي هو آلة الكمال زال عن محله فصار كالأنعام بل هو أضل سبيلاً ومن أهل النيران، فبئس ما رضيه لنفسه مبيتاً ومقيلاً وأف لمن باع نعيم الدنيا والآخرة بتلك الصفقة الخاسرة، وفقنا الله لطاعته وحمانا من مخالفته». آمين انتهى من (**الزواجر**) مع شيئ من الاختصار والتصرف وراجع إن شئت هذا الكتاب من (ص ٢١٢- ٢١٥) .

قال أبو عبدالعزيز: فلا تستغربن ياذوي الحجا أن تكون عقوبة مروجي المخدرات، في بلادنا ــ المملكة العربية السعودية ــ القتل تعزيراً، فإن أولئك داخلون في عموم قوله تعالى: ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم**﴾.

١١٨- [باب **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾**].

ش: تمامها: **﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا وا لله يحب المحسنين﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للقوم الذين قالوا إذ أنزل ا لله تحريم الخمر بقوله **﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾**: كيف بمن هلك من إخواننا وهم يشربونها، وبنا وقد كنا نشربها؟ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات منكم حرج فيما شربوا من ذلك في الحال التي لم يكن ا لله تعالى حرمه عليهم، **﴿إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات﴾** يقول: إذا ما اتقوا ا لله الأحياء منهم، فخافوه وراقبوه في اجتنابهم ما حرم عليهم منه، وصدقوا ا لله ورسوله فيما أمراهم ونهياهم، فأطاعوهما في ذلك كله، وعملوا الصالحات.يقول واكتسبوا من الأعمال ما يرضاه ا لله في ذلك مما كلفهم بذلك ربهم.**﴿ثم اتقوا وآمنوا﴾** يقول: ثم خافوا ا لله وراقبوه باجتنابهم محارمه بعد ذلك التكليف أيضاً فثبتوا على اتقاء ا لله في ذلك، والإيمان به ولم يغيروا ولم يبدلوا **﴿ثم اتقوا وأحسنوا﴾** يقول: ثم خافوا ا لله فدعاهم خوفهم ا لله إلى الإحسان، وذلك الإحسان هو العمل بما لم يفرضه عليهم من الأعمال ولكنه نوافل تقربوا بها إلى ربهم طلب رضاه، وهربا من عقابه.**﴿وا لله يحب المحسنين﴾** يقول: وا لله يحب المتقربين إليه بنوافل الأعمال التي يرضاها.فالإتقاء الأول هو الإتقاء بتلقي أمر ا لله بالقبول والتصديق والدينونة به والعمل، والإتقاء الثاني الإتقاء بالثبات على التصديق، وترك التبديل والتغيير، والإتقاء الثالث هو الإتقاء بالإحسان والتقرب بنوافل الأعمال».اهـ

من فقه الآية:

أولاً: عفو ا لله عما سلف من شرب الخمر قبل تحريمها.

ثانياً: الأمر بتقوى ا لله عز وجل.قال بعض أهل العلم: وحقيقة التقوى أن تعمل بطاعة ا لله على نور من ا لله ترجو ثواب ا لله وأن تدع معصية ا لله على نور من ا لله تخشى عقابه.

ثالثاً: الحث على التزود من صالح الأعمال، ولا يكون العمل صالحاً حتى يتحقق فيه شرطان هما: تجريد الإخلاص لله وحده، وتجريد المتابعة لرسوله ﷺ.

رابعاً: إثبات صفة المحبة لله على الوجه اللائق به جل جلاله.

١٤١ـ حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد[1]، حدثنا ثابت[2]، عن أنس رضي ا لله عنه: إن الخمر التي أهريقت الفضيخ.وزادني محمد ، عن أبي النعمان قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر منادياً فنادى فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت، قال: فخرجت فقلت: هذا مناد ينادي ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فاهرقها، قال: فجرت في سكك المدينة قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ.فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم قال: فأنزل ا لله ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**وزادني محمد البيكندي عن أبي النعمان**» كذا ثبت لأبي ذر وسقط لغيره البيكندي.ومراده أن البيكندي سمعه من شيخه أبي النعمان بالإسناد المذكور، فزاده فيه زيادة، والحاصل أن البخاري سمع الحديث من أبي النعمان مختصراً ومن محمد بن سلام البيكندي عن أبي النعمان مطولاً.

(١) هو أبو إسماعيل حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، البصري، ثقة ثبت فقيه، من كبار الثامنة، مات سنة تسع وسبعين [ومائة] وله إحدى وثمانون سنة.ع.

(٢) هو أبو محمد ثابت بن أسلم البناني، البصري، ثقة عابد من الرابعة، مات سنة بضع وعشرين [ومائة] وله ست وثمانون.ع.

الثانية: قوله «**فأمر منادياً فنادى...**» الآمر بذلك هو النبي ﷺ والمنادي لم أر التصريح باسمه، والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة: إنما أنتم عبيد لأبي.وحديث جابر يرد عليه - يعني المتقدم في الباب قبله - والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان. حكاه وما قبله الحافظ في الفتح.

الثالثة: قوله «**فقال بعض القوم...**» وعند النسائي والبيهقي من طريق ابن عباس قال: نزل تحريم الخمر في ناس شربوا فلما ثملوا عبثوا فلما صحوا جعل بعضهم يرى الأثر في وجه الآخر فنزلت، فقال ناس من المتكلفين.وعند البزار إن الذين قالوا ذلك كانوا من اليهود، وأفاد في الفتح أن في رواية الإسماعيلي عن أبي ناجية، عن أحمد بن عبدة ومحمد بن موسى، عن حماد في آخر هذا الحديث قال حماد: فلا أدري هذا يعني قوله فقال بعض القوم...الخ في حديث أبي عن أنس، أو قاله ثابت مرسلاً.قاله في إرشاد الساري.

الرابعة: قوله «**قتل قوم وهي في بطونهم**» **قلت:** قد ذكرنا من وقفنا على تسميته في المسألة التاسعة من الباب قبله.وجملة "وهي في بطونهم" حالية والمعنى: أن أولئك القوم كانوا حين قتلوا حديثي عهد بشرب الخمر.

الخامسة: قوله «**فأنزل ا لله ﴿ليس على الذين آمنوا...﴾**» هذه الجملة هي وجه الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحها أول الباب.

١١٩- [باب ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾].

ش: **قلت:** الآية ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا ا لله عنها وا لله غفور حليم**﴾.

قوله ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم**﴾.

قال ابن كثير: «هذا تأديب من ا لله تعالى لعباده المؤمنين ونهي لهم عن أن يسألوا عن أشياء مما لا فائدة لهم في السؤال والتنقيب عنها؛ لأنها إن أظهرت لهم تلك الأمور ربما ساءتهم وشق عليهم سماعها كما جاء في الحديث أن رسول ا لله ﷺ قال: «لا يبلغني أحد عن أحد شيئاً إني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»»اهـ.

قوله ﴿**وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن ـ إلى قوله ـ وا لله غفور حليم**﴾.

قال ابن جرير: «ولكنكم إن سألتم عنها بعد نزول القرآن بها، وبعد ابتدائكم شأن أمرها في كتابي إلى رسولي إليكم أبين لكم ما أنزلته إليه من إتيان كتابي، وتأويل تنزيلي ووحيي...إلى أن قال: وأما قوله: ﴿**عفا ا لله عنها**﴾؛ فإنه يعني به عفا ا لله لكم عن مسألتكم عن الأشياء التي سألتم عنها رسول ا لله ﷺ الذي كره ا لله لكم مسألتكم إياه عنها، أن يؤاخذكم بها، ويعاقبكم عليها، إن عرف منها توبتكم وإنابتكم ﴿**وا لله غفور**﴾ يقول: وا لله ساتر ذنوب من تاب منها، فتارك أن يفضحه في الآخرة ﴿**حليم**﴾ أن يعاقبه بها لتغمده التائب منها برحمته وعفوه، عن عقوبته عليها»اهـ.

١٤٢ـ حدثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي[1]، حدثنا

---

(١) المنذر بن الوليد بن عبد الرحمن العبدي الجارودي، البصري، ثقة من صغار

أبي[١]، حدثنا شعبة، عن موسى بن أنس[٢]، عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خنين فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان. فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾.

رواه النضر وروح بن عبادة[٣]، عن شعبة.

١٤٣ـ حدثنا الفضل بن سهل[٤]، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا أبو الجويرية[٥]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾ حتى فرغ من الآية كلها.

ش: فيهما تسع مسائل:

الأولى: قوله «**خطب النبي ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط**» وقع عند مسلم في الفضائل باب توقيره ﷺ وترك سؤاله من طريق النضر بن شميل، عن شعبة في

العاشرة. خ.د.

(١) الوليد بن عبد الرحمن بن حبيب الجارودي، البصري، ثقة من كبار العاشرة، مات سنة اثنتين وثمانين [ومائتين]. خ.

(٢) موسى بن أنس بن مالك الأنصاري، قاضي البصرة، ثقة، من الرابعة، مات بعد أخيه النضر. ع.

(٣) هو أبو محمد روح بن عبادة بن العلاء بن حسان القيسي البصري، ثقة فاضل له تصانيف، من التاسعة، مات سنة خمس أو سبع ومائتين. ع.

(٤) الفضل بن سهل بن إبراهيم الأعرج البغدادي، أصله من خراسان صدوق، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين ومائتين وقد جاوز السبعين. خ.م.د.ت.س.

(٥) حطان بن خفاف مشهور بكنيته، ثقة، من الثالثة. خ.د.س.

أوله زيادة يظهر منها سبب الخطبة ولفظه: «بلغ النبي ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: عرضت عليّ الجنة، والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم».

الثانية: قوله «**لو تعلمون ما أعلم**» يعني من هول ما عرض عليه من أحوال الجنة والنار.

الثالثة: قوله «**لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً قال فغطى . . . الخ**» في رواية النضر بن شميل قال: «**فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم كان أشد من ذلك غطوا رؤوسهم**».

الرابعة: قوله «**لهم حنين**» بالحاء المهملة للأكثر، وللكشميهني بالخاء المعجمة،والأول الصوت الذي يرتفع بالبكاء من الصدر، والثاني من الأنف، قال الخطابي: الحنين بكاء دون الانتحاب، وقد يجعلون الحنين والخنين واحداً إلا أن الحنين من الصدر أي بالمهملة والخنين من الأنف بالمعجمة.حكاه في الفتح.

الخامسة: قوله «**فقال رجل: من أبي، قال: فلان**» **قلت:** في باب من برك على ركبتيه عند الإمام أو المحدث من كتاب العلم برواية الزهري، عن أنس «أن رسول الله ﷺ خرج، فقام عبد الله بن حذافة فقال: من أبي؟ فقال: أبوك حذافة».قال الحافظ: وفي رواية للعسكري: «نزلت في قيس بن حذافة».والأول أشهر وكلهم له صحبة.

السادسة: قوله «**فنزلت هذه الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾**». **قلت:** هذا هو وجه مطابقة الحديث للباب وقد مضى شرحها.

السابعة: قوله «**كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء**» يعني تهكماً وسخرية منه ﷺ وما أظن ذلك يصدر إلا من المنافقين إذ يستحيل من مثل عبد

الله بن حذافة أن يستهزىء برسول الله ﷺ وقد عرفوا أن الاستهزاء به من الكفر بعد الإيمان.

الثامنة: قوله «**فيقول الرجل: من أبي ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي**» يعني من أولئك المستهزئين الساخرين به ﷺ.

التاسعة: قوله «**فأنزل الله فيهم هذه الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا ...﴾ الآية**» يعني في المستهزئين بسؤالهم النبي ﷺ والجملة هي وجه الشاهد من الحديث.

تنبيه:

قد يقول قائل: بين الحديثين تعارض إذ في كل منهما خبر يغاير الآخر في سبب نزول الآية.

قلنا: لا تعارض؛ لأن الآية نزلت في النهي عن كثرة المسائل إما على سبيل الاستهزاء والامتحان، وإما على سبيل التعنت في الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة.

١٢٠- [باب **﴿ما جعل ا لله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾**].

ش: تمامها: **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾**.

قوله **﴿ما جعل ا لله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام﴾**.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ما بحر ا لله بحيرة، ولا سيب سائبة، ولا وصل وصيلة، ولا حمى حامياً، ولكنكم الذين فعلتم ذلك أيها الكفرة، فحرمتموه افتراءً على ربكم» اهـ.

قوله **﴿ولكن الذين كفروا يفترون على ا لله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾** أي ما شرع ا لله هذه الأشياء ولا هي عنده قربة ولكن المشركين افتروا ذلك وجعلوه شرعاً لهم وقربة يتقربون بها إليه وليس ذلك بحاصل لهم بل هو وبال عليهم. قاله ابن كثير.

تفسير جملة من الآثار الكلمات:

١- [﴿وإذ قال ا لله﴾ يقول: قال ا لله، وإذ ها هنا صلة].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه وقال ا لله يا عيسى "وإذ" من حروف الزوائد وكذلك وإذ علمتك الكتاب والحكمة. أي علمتك» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وإذ قال ا لله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون ا لله﴾**.

٢- [المائدة: أصلها مفعولة، كعيشة راضية، وتطليقة بائنة، والمعنى ميد بها صاحبها من خير، يقال مادني يميدني].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «قال رؤبة: إلى أمير المؤمنين الممتاد.

أي المستعطى المسؤول به امتدتك ومدتني أنت» اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء﴾**.

٣- **[وقال ابن عباس: ﴿متوفيك﴾ مميتك].**

ش: قال الحافظ: «هكذا ثبت هذا هنا، وهذه اللفظة إنما هي في سورة آل عمران فكأن بعض الرواة ضنها من سورة المائدة فكتبها فيها، أو ذكرها المصنف هنا لمناسبة قوله في هذه السورة ﴿**فلما توفيتني كنت أنت الرقيب**﴾» اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي**﴾ الآية.

قلت: وما أخرجه المصنف عن ابن عباس رواه عنه ابن أبي حاتم وابن جرير موصولاً من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

١٤٤- حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء.

قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب، والوصيلة الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحاميَ.

وقال لي أبو اليمان: أخبرنا شعيب عن الزهري: سمعت سعيداً قال: يخبره بهذا قال: وقال أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ نحوه.

ورواه ابن الهاد[1]، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ.

١٤٥ـ حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبد الله الكرماني[2]، حدثنا حسان بن إبراهيم[3]، حدثنا يونس[4]، عن الزهري، عن عروة، أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً، ورأيت عمراً يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب».

ش: فيهما ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**البحيرة التي يمنع درها للطواغيت...**» هذا تفسير للأربع المذكورات في الآية، وما من واحدة منها إلا وفي معناها عدة أقوال للمفسرين ذكرها ابن كثير في تفسيره، والحافظ في الفتح فراجع تلك الأقوال إن شئت.

الثانية: قوله «**قال: قال أبو هريرة...**» قال الحافظ هكذا وقع في هذه الرواية إيراد القدر المرفوع من الحديث في أثناء الموقوف ـ إلى أن قال ـ هكذا أورده متصلاً بالحديث المرفوع، وهو يوهم أنه من جملة المرفوع، وليس كذلك بل هو بقية تفسير سعيد بن المسيب، والمرفوع من الحديث إنما هو ذكر عمرو بن عامر فقط.وتفسير البحيرة وسائر الأربعة المذكورة في الآية عن سعيد بن المسيب

---

(١) هو يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي، أبو عبد الله المدني، ثقة مكثر، من الخامسة، مات سنة تسع وثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن منصور بن أبي يعقوب الكرماني، نزيل البصرة، ثقة من العاشرة، مات سنة أربع وأربعين [ومائتين]. خ.

(٣) هو أبو هشام حسان بن إبراهيم بن عبد الله الكرماني العنزي، قاضي كرمان، صدوق يخطيء من الثامنة، مات سنة سَت وثمانين [ومائة] وله مائة سنة خ.م.د.

(٤) هو أبو يزيد يونس بن يزيد بن أبي النجار الأيلي مولى آل أبي سفيان ثقة إلا أن في روايته عن الزهري وهماً قليلاً، وفي غير الزهري خطأً، من كبار السابعة، مات سنة تسع وخمسين [ومائة] على الصحيح وقيل سنة ستين. ع.

ووقع في رواية الإسماعيلي من طريق يعقوب بن إبراهيم بن سعد عن أبيه بهذا الإسناد مثل رواية الباب، إلا أنه بعد إيراد المرفوع قال: وقال ابن المسيب: والوصيلة الناقة...فأوضح أن التفسير جميعه موقوف. وهذ هو المعتمد وهكذا أخرجه ابن مردويه من طريق يحيى بن سعيد وعبيد الله بن زياد عن ابن شهاب موصولاً» اهـ.

الثالثة: قوله «**رأيت ...الخ**» وقع في أبواب العمل في الصلاة باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة من رواية عبد الله بن يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: خسفت الشمس فقام النبي ﷺ فقرأ سورة طويلة...الحديث.وفيه: «ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضاً» فذكره.فدل ذلك على أن هذه الرؤية حصلت له ﷺ حين كان يصلي صلاة الكسوف.

الرابعة: قوله «**جهنم**» وهي لفظة أعجمية وهو اسم لنار الآخرة وقيل هي عربية، وسميت بها لبعد قعرها، ومنه ركية جهنام بكسر الجيم والهاء والتشديد أي بعيدة القعر، وقيل تعريب كهنام بالعبراني. قاله ابن الأثير.

الخامسة: قوله «**يحطم بعضها بعضاً**» يعني يكسر بعضها بعضاً، والحطم الكسر ومنه سميت نار جهنم الحطمة؛ لأنها تحطم ما يلقى فيها.

السادسة: قوله «**عمراً**» **قلت:** هو عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد بن الغوث الخزاعي.

السابعة: قوله «**قصبه**» القصب بالضم المعي وجمعه أقصاب، وقيل القصب اسم للأمعاء كلها، وقيل هو ما كان أسفل البطن من الأمعاء. قاله ابن الأثير.

الثامنة: قوله «**وهو أول من سيب السوائب**» **قلت:** هذا من إحداثه في الناس وهو أول من غير الملة.

قال ابن هشام: «حدثني بعض أهل العلم أن عمرو بن لحي خرج من مكة

إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء، وبها يومئذ العماليق ـ وهم ولد عملاق، ويقال عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح ـ رآهم يعبدون الأصنام، فقال لهم: ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون؟ قالوا له: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه؟ فأعطوه صنماً يقال له هبل فقدم به إلى مكة، فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه)).اهـ.

قلت: وكان الرجل ذا ثراء وكرم فأكبره الناس حتى صار أمره فيهم كالشرع.

١٢١- [باب **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿ما قلت هم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**.

قوله **﴿ما قلت هم إلا ما أمرتني به ـ إلى قوله ـ ما دمت فيهم﴾**.

قال ابن كثير: «ما قلت لهم إلا ما أمرتني بإبلاغه **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** أي ما دعوتهم إلا إلى الذي أرسلتني به وأمرتني بإبلاغه، **﴿أن اعبدوا الله ربي وربكم﴾** أي هذا هو الذي قلت لهم وقوله **﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم﴾** أي كنت أشهد على أعمالهم حين كنت بين أظهرهم»اهـ.

قوله **﴿فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**.

قال ابن جرير: «يقول فلما قبضتني إليك **﴿كنت أنت الرقيب عليهم﴾** يقول: كنت أنت الحفيظ عليهم دوني؛ لأني إنما شهدت من أعمالهم ما عملوه وأنا بين أظهرهم.وفي هذا تبيان أن الله تعالى إنما عرفه أفعال القوم ومقالتهم بعد ما قبضه إليه وتوفاه بقوله **﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ـ إلى قوله ـ وأنت على كل شيء شهيد﴾** يقول: وأنت تشهد على كل شيء؛ لأنه لا يخفى عليك شيء، وأما أنا؛ فإنما شهدت بعض الأشياء، وذلك ما عاينت وأنا مقيم بين أظهر القوم، فإنما أنا أشهد على ذلك الذي عاينت ورأيت وشهدت»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: كفر النصارى باتخاذهم المسيح إلآها من دون الله.

ثانياً: برآءة المسيح ﷺ من هذا الصنيع وإثبات نبوته.

١٤٦ـ حدثنا أبو الوليد[1]، حدثنا شعبة، أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين﴾ إلى آخر الآية.ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم.

ش: فيه إثنتا عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قام فينا النبي ﷺ يخطب**» وقع لمسلم في صفة الجنة بدل قوله يخطب «بموعظة» أخرجه عن محمد بن بشار شيخ البخاري فيه ومحمد بن المثنى قال واللفظ لابن المثنى قالا حدثنا محمد بن جعفر بسنده المذكور هنا، وكذا أخرجه أحمد عن محمد بن جعفر.

الثانية: قوله «**فقال إنكم**» زاد ابن المثنى «يا أيها الناس إنكم».

الثالثة: قوله «**محشورون**» في الرقاق باب الحشر برواية غندر عن شعبة «تحشرون» ولا تعارض بينهما في المعنى.

الرابعة: قوله «**حفاة**» جمع حافي وهو من ليس عليه نعل.

الخامسة: قوله «**عراة**» جمع عاري يقابل المكسي.

قال البيهقي: «وقع في حديث أبي سعيد يعني الذي أخرجه أبو داود

---

(١) هو هشام بن عبد الملك الباهلي، مولاهم الطيالسي، البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة سبع وعشرين [ومائتين] وله أربع وتسعون.ع.

وصححه ابن حبان» .

قلت: وصححه الشيخ ناصر برقم (١٦٧١) أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد فلبسها وقال: سمعت النبي ﷺ يقول: (إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها» ويجمع بينهما بأن بعضهم يحشر عارياً وبعضهم كاسياً، أو يحشرون كلهم عراة ثم يكسى الأنبياء، فأول من يكسى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أو يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة ثم يكون أول من يكسى إبراهيم، وحمل بعضهم حديث أبي سعيد على الشهداء؛ لأنهم الذين أمر أن يزملوا في ثيابهم ويدفنوا فيها، فيحتمل أن يكون أبو سعيد سمعه في الشهيد فحمله على العموم، وممن حمله على عمومه معاذ بن جبل فأخرج ابن أبي الدنيا بسند حسن عن عمرو بن الأسود قال: دفنا أم معاذ بن جبل فأمر بها فكفنت في ثياب جدد وقال: «أحسنوا أكفان موتاكم فإنهم يحشرون فيها» قال: وحمله بعض أهل العلم على العمل، وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ على أحد الأقوال وهو قول قتادة. قال: معناه وعملك فأخلصه ويؤكد ذلك حديث جابر رفعه «يبعث كل عبد على ما مات عليه» أخرجه مسلم، وحديث فضالة بن عبيد «من مات على مرتبة من هذه المراتب بعث عليها يوم القيامة» الحديث أخرجه أحمد، ورجح القرطبي الحمل على ظاهر الخبر، ويتأيد بقوله تعالى: ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ وقوله تعالى: ﴿**كما بدأكم تعودون**﴾» . حكاه الحافظ .

قال مقيده: وظاهر الخبر هو الذي يتحتم المصير إليه إذ لا حجة على أحد إلا بنص الكتاب وصحيح الخبر عن المعصوم ﷺ وأعدل الوجوه التي ذكرها الحافظ عندي هو الثالث لموافقته ظاهر الخبر.

السادسة: قوله «**غرلاً**» بضم المعجمة وسكون الراء جمع أغرل وهو الأقلف

وزنه ومعناه وهو من بقيت غرلته وهي الجلدة التي يقطعها الخاتن من الذكر.قال الحافظ: قال أبو هلال العسكري: لا تلتقي اللام مع الراء في كلمة إلا في أربع: أرل اسم جبل، وورل اسم حيوان معروف، وحرل ضرب من الحجارة، والغرلة.واستدرك عليه كلمتان هرل ولد الزوجة وبرل الديك الذي يستدير بعنقه والستة حوشية إلا الغرلة.قال ابن عبد البر: يحشر الآدمي عارياً ولكل من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع منه شيء يرد حتى الأقلف.

السابعة: قوله «﴿**كما بدأنا أول خلق نعيده**﴾ **الآية**».

قال ابن كثير: «يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقاً جديداً كما بدأهم هو القادر على إعادتهم وذلك واجب الوقوع؛ لأنه من جملة وعد الله الذي لا يخلف ولا يبدل وهو القادر على على ذلك ولهذا قال: ﴿**إنا كنا فاعلين**﴾.ومنه ﴿**ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة**﴾ ووقع في حديث أم سلمة عند ابن أبي الدنيا «يحشر الناس حفاة عراة كما بدؤا»اهـ.

الثامنة: قوله «**ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم**».

قال القرطبي في شرح مسلم: «يجوز أن يراد بالخلائق من عدا نبينا ﷺ فلم يدخل هو في عموم خطاب نفسه، وتعقبه تلميذه القرطبي أيضاً في التذكرة فقال: هذا حسن لولا ما جاء من حديث علي يعني الذي أخرجه ابن المبارك في الزهد من طريق عبد الله بن الحارث عن علي قال: (أول من يكسى يوم القيامة خليل الله عليه السلام قبطيتين، ثم يكسى محمد ﷺ حلة حبرة عن يمين العرش»)اهـ.

قلت: «كذا أورده مختصراً موقوفاً، وأخرجه أبو يعلى مطولاً مرفوعاً، وأخرج البيهقي من طريق ابن عباس نحو حديث الباب وزاد (وأول من يكسى من الجنة إبراهيم، يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش، ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر، ثم يؤتى بكرسي فيطرح على ساق العرش وهو عن يمين العرش»).حكاه الحافظ.

قال مقيده عفى الله عنه: وما ناله إبراهيم من أولوية الكسى يوم القيامة لا يعارض خصائص نبينا ﷺ فكل نبي اختص بما لم يختص به غيره.وتفضيل نبينا ﷺ على سائر الأنبياء ثابت بالنص والإجماع، ومن ذلك إمامته بالأنبياء ليلة الإسراء في بيت المقدس، ونيله مقام الشفاعة العظمى التي يعتذر عنها أولوا العزم من الرسل يوم القيامة.

التاسعة: قوله «**ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال**» أي إلى جهة النار، ووقع ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة في آخر باب صفة النار من طريق عطاء بن يسار عنه ولفظه: (فإذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال: هلم، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النار) الحديث.وبين في حديث أنس الموضع ولفظه: (ليردن عليّ ناس من أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني) الحديث.وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم).

العاشرة: قوله «**فأقول: يا رب أصيحابي**» وفي الرقاق «أصحابي».وفي رواية أحمد «فلأقولن» وفي أحاديث الأنبياء باب ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ «أصيحابي» بالتصغير وكذا هو في حديث أنس وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره هؤلاء.

وقوله «**فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» وفي الرقاق «فيقول الله» وفي حديث أبي هريرة المذكور «إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى» وزاد في رواية سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أيضاً «فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً» أي بعداً بعداً والتأكيد للمبالغة.وفي حديث أبي سعيد في باب صفة النار أيضاً « فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدي» وزاد في رواية عطاء بن يسار «فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم».

الحادية عشرة: قوله «**فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾**» في رواية غندر في الرقاق بلفظ: **﴿وكنت عليهم شهيد ـ إلى قوله ـ الحكيم﴾**.

قلت: هذا هو شاهد الترجمة من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الثانية عشرة: قوله «**فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم**» وقع في رواية الكشميهني «لن يزالوا».

قال الخطابي: «لم يرتد من الصحابة أحد وإنما ارتد قوم من جفاة الأعراب ممن لا نصرة له في الدين، وذلك لا يوجب قدحاً في الصحابة المشهورين. ويدل قوله «أصيحابي» بالتصغير على قلة عددهم». حكاه الحافظ.

وقيل: هم قوم من جفاة الأعراب دخلوا في الإسلام رغبة ورهبة.

وقال النووي: «قيل هم المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل لكونهم من جملة الأمة فيناديهم من أجل السيما التي عليهم فيقال إنهم بدلوا بعدك، أي لم يموتوا على ظاهر ما فارقتهم عليه».

قال عياض وغيره: «وعلى هذا فيذهب عنهم الغرة والتحجيل ويطفأ نورهم».

من فقه الحديث:

أولاً: وجوب الإيمان باليوم الآخر وما فيه من البعث والجزاء.

ثانياً: فضل الخليل ﷺ.

ثالثاً: إثبات صفة الكلام لله.

رابعاً: الإيمان بحوض النبي ﷺ وأنه يكون في عرصات القيامة.

خامساً: وجوب التمسك بالسنة.

سادساً: التحذير من التبديل في الدين.

سابعا: لا يرد الحوض ويشرب منه إلا أهل الإعتقاد الصحيح والتمسك بالسنة.

ثامناً: معرفة النبي ﷺ أمته يوم القيامة.

١٢٢- [باب قوله ﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن تعذب هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة بإماتتك إياهم عليها، فإنهم عبادك مستسلمون لك، لا يمتنعون مما أردت بهم، ولا يدفعون عن أنفسهم ضراً ولا أمراً تنالهم به، وإن تغفر لهم بهدايتك إياهم إلى التوبة منها، فتستر عليهم، فإنك أنت العزيز في انتقامه ممن أراد الانتقام منه، لا يقدر أحد يدفعه عنه، الحكيم في هدايته من هدى من خلقه إلى التوبة، وتوفيقه من وفّق منهم لسبيل النجاة من العقاب».

من فقه الآية:

قال ابن كثير: «هذا الكلام يتضمن:

١- رد المشيئة إلى الله عز وجل؛ فإنه الفعال لما يشاء الذي لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

٢- ويتضمن التبري من النصارى الذين كذبوا على الله وعلى رسوله وجعلوا لله نداً وصاحبة وولداً تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

٣- وهذه الآية لها شأن عظيم ونبأ عجيب وقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قام بها ليلة حتى الصباح يرددها» اهـ.

١٤٧- حدثنا محمد بن كثير[1]، حدثنا سفيان، حدثنا المغيرة بن النعمان قال: حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: إنكم محشورون، وإن ناساً يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول كما قال العبد الصالح: «﴿وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم - إلى قوله - العزيز الحكيم﴾».

ش: سبق شرحه في الباب الذي قبله.

آخر تفسير سورة المائدة والحمد لله.

---

(١) هو محمد بن كثير العبدي، البصري، ثقة لم يصب من ضعفه، من كبار العاشرة، مات سنة ثلاث وعشرين [ومائتين]، وله تسعون سنة. ع.

سورة الأنعام

١٢٣- [باب تفسير سورة الأنعام].

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا...**﴾ الآية.

وأخرج الحاكم في المستدرك والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما قال: لما نزلت سورة الأنعام سبح رسول الله ﷺ ثم قال: «لقد شيع هذه السورة من الملائكة ما يسد الأفق».

وآياتها خمس وستون ومائة، وهي مكية في قول الأكثرين. قال ابن عباس وقتادة: هي مكية كلها إلا آيتين منها نزلتا بالمدينة قوله تعالى ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ وقوله ﴿**وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس: ﴿ثم لم تكن فتنتهم﴾ «معذرتهم»].

ش: وصله ابن أبي حاتم فقال: أخبرني إبراهيم بن موسى عن هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وهو قول قتادة، وهو **أحد** قولين حكاهما ابن جرير في الآية.

وثانيهما: بمعنى قولهم، وهو قول قتادة وابن عباس في الرواية الثانية عنهما.

٢- [معروشات ما يعرش من الكرم وغير ذلك].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

قلت: وأخرجه أيضاً من هذا الطريق عن ابن عباس ابن جرير كما أخرجه موصولاً عن السدي.

والآية المشار إليها: **﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾** الآية.

٣- [حمولة: ما يحمل عليها].

ش: قال أبو عبيدة: «أي ما حملوا عليها».

وروى ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح، حدثنا معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: فأما الحمولة فالإبل والخيل والبغال والحمير وكل شيء يحمل عليه.

والآية المشار إليها: **﴿ومن الأنعام حمولة وفرشاً﴾**.

٤- [﴿وللبسنا﴾ لشبهنا].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: لشبهنا عليهم. كما أخرجه موصولاً عن شقيق.

والآية المشار إليها: **﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما**

يلبسون﴾.

٥- [**﴿ينأون﴾ يتباعدون**].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد:

«**فأبلغ عامراً عني رسولا وزرعة إن دنوت وإن نأيت**

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ينأون عنه يتباعدون عنه».

والآية المشار إليها: **﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون﴾**.

٦- [**﴿تبسل﴾ تفضح**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني تبسل أن تفضح.

ورواه من هذا الوجه ابن جرير وهو **أحد** أربعة أقوال:

ثانيها: بمعنى أن تسلم وبه قال عكرمة والحسن ومجاهد.

وثالثها: بمعنى أن تحبس وهو قول قتادة وابن زيد.

ورابعها: بمعنى أن تجزى وبه قال الكلبي.

وليس بين هذه الأقوال تعارض وا لله أعلم.

والآية المشار إليها: **﴿وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون ا لله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون﴾**.

٧- [**﴿أبسلوا﴾ أفضحوا**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني فضحوا.

وهذه الجملة من الآية السابقة.

٨- [﴿باسطوا أيديهم﴾ البسط الضرب].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: والملائكة باسطوا أيديهم قال: هذا عند الموت والبسط الضرب يضربون وجوههم وأدبارهم.

وأخرجه أيضاً من هذا الوجه ابن جرير وأخرجه عن السدي مختصراً وهو أحد قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: أنه بمعنى العذاب وبه قال الضحاك وأبو صالح.

والآية المشار إليها: **﴿ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم اخرجوا أنفسكم﴾**.

٩- [﴿استكثرتم من الإنس﴾ أضللتم كثيراً].

ش: وصله ابن جرير من طريق المثنى عن عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني أضللتم منهم كثيراً.

ثم أخرجه عن قتادة ومجاهد والحسن.

والآية هي قوله تعالى: **﴿ويوم يحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس﴾**.

١٠- [﴿مما ذرأ من الحرث﴾ جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً وللشيطان والأوثان نصيباً].

ش: وصله ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيباً، وللشيطان والأوثان نصيباً فإن سقط من ثمرة ما جعلوه لله في نصيب الشيطان تركوه، وإن سقط مما جعلوا للشيطان في نصيب الله لقطوه وحفظوه وردوه إلى نصيب الشيطان، وإن انفجر من سقي ما جعلوه لله في نصيب

الشيطان تركوه، وإن انفجر من سقي ما جعلوه للشيطان في نصيب الله سدّوه فهذا ما جعلوا من الحروث وسقي الماء.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون﴾**.

١١- [**﴿أما اشتملت﴾ يعني هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فلِم تحرِّمون بعضاً وتحلّون بعضاً**].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: يعني هل تشتمل الرحم إلا على ذكر أو أنثى فهم يحرمون بعضاً ويحلون بعضاً.

والآية المشار إليها قوله تعالى: **﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آالذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين﴾**.

١٢- [**﴿مسفوحاً﴾ مهراقاً**].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله: إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً يعني مهراقاً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿قل لا أجد فيما أوحي إليّ محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾**.

١٣- [**﴿صدف﴾ أعرض**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وصدف عنها﴾** يقول: أعرض عنها وأخرجه ابن جرير أيضاً عن قتادة ومجاهد.

والإشارة إلى قوله تعالى: **﴿فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها**

سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون﴾.

١٤- [**﴿أبلسوا﴾ أويسوا**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿أبلسوا﴾** يقول: أيسوا.

قلت: والآية المشار إليها هي قوله: **﴿فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون﴾.**

١٥- [**﴿وأبسلوا﴾ أسلِموا**].

ش: تقدم في الأثر رقم ستة.

١٦- [**﴿سرمداً﴾ دائماً**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله سرمداً يقول: دائماً.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿قل أرءيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون﴾**

وهذه هي الآية الحادية والسبعون من سورة القصص ومناسبة ذكرها ها هنا ما قاله الكرماني: كأنه ذكرها ها هنا لمناسبة قوله تعالى في هذه السورة **﴿وجاعل الليل سكناً﴾.**

١٧- [**﴿استهوته﴾ أضلته**].

ش: رواه ابن جرير من طريق محمد بن عبد الأعلى قال: ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة **﴿استهوته الشياطين في الأرض﴾** قال: أضلته في الأرض حيران.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى**

وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾.

١٨- [**﴿تمترون﴾ تشكون**].

ش: أخرجه ابن جرير موصولاً عن السدي وابن زيد ورواه ابن أبي حاتم من طريق أحمد بن عثمان بن حكيم عن أحمد بن مفضل عن أسباط عن السدي قوله **﴿ثم أنتم تمترون﴾** تشكون.وكذا قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها قوله تعالى: **﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون﴾**.

١٩- [**﴿وَقراً﴾ صمماً وأما الوِقر فإنه الحمل**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن محمد بن المفضل عن أسباط عن السدي: **﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾** أما أكنة: فالغطاء، أكن قلوبهم لا يفقهون الحق، وفي آذانهم وقراً قال: صمم.

وقال أبو عبيدة:«وفي آذانهم وقراً.مفتوح. ومجازه: الثقل والصمم، وإن كانوا يسمعون، ولكنهم صم عن الحق والخير والهدى، والوقر هو الحمل إذا كسرته»اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: **﴿ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾** الآية.

٢٠- [**﴿أساطير﴾ واحدها أُسطُورة، وإسْطارة وهي الترهات**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: البسابس ليس له نظام، وليس بشيء.

وأشار المصنف إلى قوله تعالى: **﴿حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين﴾**.

٢١- [**﴿البأساء﴾ من البأس ويكون من البؤس**].

ش: قال أبو عبيدة: «هي البأس من الخوف والشر والبؤس».

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: **﴿ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**

فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون﴾.

٢٢- [**﴿جهرة﴾ معاينة**].

ش: أخرج ابن جرير من طريق محمد بن عمرو عن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿جهرة﴾** قال: وهم ينظرون.

وقال أبو عبيدة: أو جهرة: أي أو علانية وهم ينظرون.

قلت: والآية المشار إليها: **﴿قل أرءيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون﴾.**

٢٣- [**﴿الصور﴾ جماعة صورة كقوله سُورة وسُوَر**].

ش: قال أبو عبيدة: «يقال أنها جمع صورة تنفخ فيها روحها فتحيا، بمنزلة قولهم سور المدينة واحدتها سورة، وكذلك كل ما علا وارتفع.

قال النابغة:

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب.

وقال العجاج:

فرب ذي سرادق محجور سرت إليه في أعالي السور.

ومنها سورة المجد أعاليه. وقال جرير:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع».

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: **﴿قوله الحق، وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير﴾.**

٢٤- [**﴿ملكوت﴾ ملك، مثل: رهبوت خير من رحموت، ويقول: تُرْهب خير من أن تُرْحم**].

ش: قال أبو عبيدة: **﴿ملكوت السموات﴾** أي ملك السموات خرجت مخرج قولهم في المثل: رهبوت خير من رحموت: أي رهبة خير من رحمة.

قلت: وأشار المصنف إلى قوله تعالى: **﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت**

السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾.

٢٥- [**﴿وإن تعدل﴾ تقسط، لا يقبل منها في ذلك اليوم**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: لأنها التوبة في الحياة.

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر السابع.

٢٦- [**﴿جن﴾ أظلم**].

ش: قال أبو عبيدة: «**﴿فلما جن عليه الليل﴾** أي غطى عليه وأظلم عليه، ومصدره جن عليه الليل جنوناً.

قال دريد بن الصمّة:

ولولا جنون الليـــل أدرك ركـــضنا

بذي الرمث والأرض عياض بن ناشب.

وبعضهم ينشده:

ولولا جنان الليل - أي غطاؤه وسواده -

وما جنك من شيء فهو جـــنان لك.

وقال سلامة بن جندل:

ولولا جنان الليل مـــا آب عـــامر

إلى جـــعفر ســـرباله لم يـــمزق»انتهى.

والآية المشار إليها: **﴿فلما جن عليه الليل رءا كوكباً قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الأفلين﴾.**

٢٧- [**﴿تعالى﴾ علا**].

ش: وقع في مستخرج أبي نعيم: تعالى الله: علا الله، وكذا في رواية النسفي.حكاه العيني.

قلت: وأشار أبو عبد الله إلى قوله تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم، وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾.**

٢٨- [**يقال: على الله حسبانه أي حسابه، ويقال حسباناً.مرامي ورجوماً للشياطين**].

ش: قال أبو عبيدة: «﴿**والشمس والقمر حسباناً**﴾ وهو جميع حساب فخرج مخرج شهاب والجمع شهبان»اهـ.

قلت: ويشير المصنف إلى قوله تعالى: ﴿**وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسباناً**﴾.

٢٩- [**﴿مستقر﴾ في الصلب**]

٣٠- [**﴿ومستودع﴾ في الرحم**].

ش: قال أبو عبيدة: «مستقر في صلب الأب ومستودع في رحم الأم»

وفي الآية خمسة أقوال لأهل العلم بالتأويل حكاها ابن جرير

أحدها: أنها بمعنى مستقر في الرحم ومستودع في القبر وهو قول ابن مسعود، وإبراهيم النخعي، ومقسم.

وثانيها: أن المستودع ما كان في أصلاب الأباء والمستقر ما كان في بطون النساء وبطون الأرض وعلى ظهورها وبه قال سعيد بن جبير وابن عباس.

وثالثها: أن المستقر في الأرض على ظهرها ومستودع عند الله وهو قول ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير في الرواية الثانية عنهم.

ورابعها: أن المستقر في الرحم والمستودع في الصلب وبه قال عكرمة ومجاهد وعطاء والضحاك وابن عباس وسعيد بن جبير في الرواية الثالثة عنهم.

وخامسها: أن المستقر في القبر والمستودع في الدنيا وهو قول الحسن.

قلت: فهذه الأقوال كلها داخلة تحت عموم الآية ولا تنافي بينها.

والآية المشار إليها: ﴿**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع**﴾

٣١ـ [(القنو) : العذق، والإثنان قنوان ، والجماعة أيضاً قنوان ، مثل صنو، وصنوان]

ش/قال أبوعبيدة : القنو هو العذق والاثنان قنوان ، النون مكسورة والجميع قنوان ، على تقدير لفظ الاثنين ، غير أن نون الاثنين مجرورة في موضع الرفع والنصب والجر ، ونو ن الجميع يدخله الرفع والجر والنصب ، ولم نجد مثله غير قولهم صنو وصنوان . أهـ

والآية المشار إليها :**﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به نبات كلِّ شيئ فأخرجنا منه خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات ..﴾** الآية

٣٢ـ [﴿ أكنّة ﴾ : واحدها كنان]

ش/ قاله أبوعبيدة وزاد ، ومجازها : غطاء ، قال عمر ابن أبي ربيعة:

أينا بات ليلة بين غصنين يُوبل

تحت عين كنانها ظل برد مرحّل .أهـ

والآية المشار إليها :**﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً ﴾**

١٢٤- [باب ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾].

ش: تمامها: ﴿**ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾.

قوله ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو**﴾.

قال الشوكاني: «المفاتيح جمع مفتح بالفتح وهو المخزن.أي عنده مخازن الغيب، جعل للأمور الغيبية مفاتح يتوصل بها إلى ما في المخازن منها على طريق الاستعارة أيضاً ويؤيده أنها جمع مفتح بالكسر قراءة ابن السميفع (**وعنده مفاتيح الغيب**) فإن المفاتيح جمع مفتاح، والمعنى أن عنده سبحانه خاصة مخازن الغيب، أو المفاتح التي يتوصل بها إلى المخازن.

وقوله ﴿**لا يعلمها إلا هو**﴾ جملة مؤكدة لمضمون الجملة الأولى وأنه لا علم لأحد من خلقه بشيء من الأمور الغيبية التي استأثر ا لله بعلمها.

ويندرج تحت هذه الآية علم ما يستعجله الكفار من العذاب كما يرشد إليه السياق اندراجاً أولياً.

وفي هذه الآية الشريفة ما يدفع أباطيل الكهان والمنجمين والرمليين وغيرهم من المدعين ما ليس من شأنهم ولا يدخل تحت قدرتهم ولا يحيط به علمهم، ولقد ابتلى الإسلام وأهله بقوم سوء من هذه الأجناس الضالة والأنواع المخذولة، ولم يربحوا من أكاذيبهم وأباطيلهم بغير خطة السوء المذكورة في قول الصادق المصدوق ﷺ: (من أتى كاهنا أو منجماً فقد كفر بما أنزل على محمد)»اهـ

قوله ﴿**ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾.

قال ابن كثير: «أي يحيط علمه الكريم بجميع الموجودات بريّها وبحريّها لا يخفى عليه من ذلك شيء ولا مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، وما أحسن ما قال الصرصري:

فلا يخفى عليه الذر إما ... تراءى للنواظر أو تواري.

وقوله ﴿**وما تسقط من ورقة إلا يعلمها**﴾ أي ويعلم الحركات حتى من الجمادات فما ظنك بالحيوانات ولا سيما المكلفون منهم من جنهم وإنسهم كما قال تعالى ﴿**يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾»اهـ

قوله ﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾.

قال الشيخ ابن سعدي: «﴿**ولا حبة في ظلمات الأرض**﴾ من حبوب الثمار والزروع وحبوب البذور التي يبذرها الخلق، وبذور النباتات البرية التي منها أصناف النباتات ﴿**ولا رطب ولا يابس**﴾ هذا عموم بعد خصوص ﴿**إلا في كتاب مبين**﴾ هو اللوح المحفوظ، قد حواها واشتمل عليها، وبعض هذا المذكور يبهر عقول العقلاء، ويذهل أفئدة النبلاء، فدل هذا على عظمة الرب العظيم وسعته في أوصافه كلها، وأن الخلق من أولهم وآخرهم، لو اجتمعوا على أن يحيطوا ببعض صفاته لم يكن لهم قدرة، ولا وسع في ذلك فتبارك الرب العظيم الواسع العليم، الحميد المجيد، الشهيد المحيط، وجل من إله لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده فهذه الآية دلت على علمه بجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الحوادث» انتهى

من فقه الآية:

أولاً: سعة علم الله وإحاطته بجميع الكائنات.

ثانياً: اختصاص الرب جلّ وعلا بعلم الغيب.

ثالثاً: في قوله ﴿**ويعلم ما في البر والبحر**﴾ دليل على إحصاء الرب جل وعلا أعمال العباد صغيرها وكبيرها ودقيقها وجليلها وظاهرها وخفيها ومجازاتهم عليها.

رابعاً: في قوله ﴿**كل في كتاب مبين**﴾ دليل على وجوب الإيمان باللوح المحفوظ وأن الله كتب فيه مقادير الأشياء وهذا يستلزم علمه بها قبل حدوثها.

فائدة:

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: «هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلا لعلمه المحيط، وأنه شامل للغيوب كلها التي يطلع منها ما شاء من خلقه وكثير منها طوى علمه عن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين فضلاً عن غيرهم من العالمين»اهـ

١٤٨ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمس: إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، إن الله عليم خبير».

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**مفاتح الغيب**» هذا هو شاهد الترجمة وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

الثانية: قوله «**إن الله عنده علم الساعة...الخ**» بيان لما أجمل في الآية من مفاتح الغيب وسيأتي الحديث في تفسير سورة إبراهيم ضمن الباب السادس والثمانين بعد المائة، وفي تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين.

١٢٥- [باب ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم**﴾].

ش: تمامها: ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون**﴾.

قوله ﴿**قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء العادلين بربهم غيره من الأصنام والأوثان يا محمد: إن الذي ينجيكم من ظلمات البر والبحر ومن كل كرب ثم تعودون للإشراك به هو القادر على أن يرسل عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم لشرككم به، وادعائكم معه إلها آخر غيره، وكفرانكم نعمه، مع إسباغه عليكم آلاءه ومننه».اهـ

قوله ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾.

قال البغوي: «وقال الضحاك: ﴿**أو يلبسكم شيعاً**﴾ أي يخلطكم فرقاً ويبث فيكم الأهواء المختلفة ﴿**ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾ يعني السيوف المختلفة يقتل بعضكم بعضاً»اهـ

وقال ابن عطية في محرره: «وشيعاً منصوب على الحال وقد قال الشاعر:

لبست أناساً فأفنيتهم

فهذه عبارة عن الخلطة والمقاساة، والبأس: القتل وما أشبهه من المكاره و﴿يذيق﴾ استعارة إذ هي من أجل حواس الاختيار، وهي استعارة مستعملة في كثير من كلام العرب وفي القرآن، وقرأ الأعمش ﴿**ونذيق**﴾ بنون الجماعة، وهي نون العظمة في جهة الله عز وجل.

وتقول: أذقت فلاناً العلقم تريد كراهية شيء صنعته به ونحو هذا»اهـ

قوله ﴿**انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون**﴾.

قال ابـن كثـير: «أي نبينهـا ونوضحهـا ونفسـرها. ﴿**لعلهـم يفقهـون**﴾ أي يفهمون ويتدبرون عن الله آياته وحججه وبراهينه».

من فقه الآية:

أولاً: إثبات اسم من أسماء الرب تعالى وهو القادر.

ثانياً: التحذير من شدة بطش الله وأليم عقابه.

ثالثاً: إن الهدى والنور فيما أنزله جل علاه على رسوله ﷺ من آي الكتـاب الكريم.

شرح جملة من الآثار الكلمات:

١- [**﴿يلبسكم﴾ يخلطكم من الإلتباس**].

ش: قال أبو عبيدة: «يخلطكم وهو من الإلتباس».

قلت: وأخرج البغوي عن الضحاك: «أي يخلطكم فرقاً».

٢- [**﴿يلبسوا﴾ يخلطوا**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة حدثني عطاء عن سعيد بن جبير قوله ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ يقول لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

قلت: وأشار الشيخ لقوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسـوا إيمـانهم بظلـم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

٣- [**﴿شيعاً﴾ فرقاً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحدتها شيعة.

١٤٩- حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قل هـو القـادر علـى أن يبعـث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال: «أعـوذ بوجهـك». ﴿أو يلبسـكم شـيعاً ويذيـق بعضكـم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون أو هذا أيسر».

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم...﴾ الآية**» هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه.

الثانية: قوله «**أعوذ**» أي ألوذ وألتجئ وأعتصم فالاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والاعتصام به من كل مكروه.

الثالثة: قوله «**بوجهك**» زاد الإسماعيلي من طريق حماد بن زيد عن عمرو «**الكريم**» في الموضعين.قاله الحافظ.

قلت:وفيه دليل علىإثبات صفة الوجه لله عز وجل علىالوجه اللائق بجلاله

الرابعة: قوله «**هذا أهون أو هذا أيسر**» هو شك من الراوي، والضمير يعود على الكلام الأخير.

قال القسطلاني: «لأن الفتن بين المخلوقين وعذابهم أهون من عذاب الله فابتليت هذه الأمة بالفتن ليكفر بها عنهم»اهـ

ووقع في الإعتصام باب كل شيء هالك إلا وجهه: «**هاتان أهون أو أيسر**» أي خصلة الإلتباس وخصلة إذاقة بعضهم بأس بعض.

قال الحافظ: «وقد روى ابن مردويه من حديث ابن عباس ما يفسر به الثنتين: دعوت الله أن يرفع عنهم الرجم من السماء والخسف من الأرض، وألاّ يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض، فرفع الله عنهم الخسف والرجم وأبى أن يرفع عنهم الأخريين، فيستفاد من هذه الرواية المراد بقوله ﴿**من فوقكم أومن تحت أرجلكم**﴾ - إلى أن قال - وروى ابن أبي حاتم من طريق السدي عن شيوخه أيضاً أن المراد بالعذاب من فوق الرجم ومن تحت الخسف، وأخرج من طريق ابن عباس أن المراد بالفوق أئمة السوء، وبالتحت خدم السوء.

وقيل المراد بالفوق حبس المطر، وبالتحت منع الثمرات والأول هو المعتمد»اهـ

من فقه الحديث:

أولاً: جواز التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته.

ثانياً: شفقة النبي ﷺ ورحمته بأمته.

١٢٦- [باب ﴿**ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

قوله ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾ فيه قولان لأهل التأويل.

الأول: وهو قول احمد وابن إسحاق وابن زيد أن هذا فصل القضاء من الله بين إبراهيم خليله عليه السلام وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، إذ قال لهم إبراهيم: وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون.فقال الله تعالى فاصلا بينه وبينهم: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادةولم يخلطوا عبادتهم إياه وتصديقهم له بظلم يعني بشرك.

والثاني: هذا جواب من قوم إبراهيم ﷺ لإبراهيم حين قال لهم أي الفريقين أحق بالأمن؟ فقالوا له: الذين آمنوا بالله فوحدوه أحق بالأمن إذ لم يلبسوا إيمانهم بظلم.وبه قال ابن جريج.حكى القولين جميعاً ابن جرير واختار القول الأول، وهو اختيار سديد.

قوله ﴿**أولئك لهم الأمن وهم مهتدون**﴾.

قال ابن كثير: «أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئاً هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة».اهـ

قلت: واعلم أن الأمن أمنان:

أحدهما: أمن تام وهذا في حق من مات موحداً غير مرتكب كبيرة.

وثانيهما: أمن ناقص وهذا في حق من مات على التوحيد مرتكب كبيرة دون توبة فالأول آمن من دخول النار، والثاني آمن من الخلود فيها.

١٥٠ـ حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي[١]، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

ش: الشاهد منه **﴿ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** وسيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة لقمان ضمن الباب الثامن والستين بعد المائتين وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

(١) هو أبو عمرو محمد بن إبراهيم بن أبي عدي وقد ينسب لجده، وقيل هو إبراهيم.البصري، ثقة، من التاسعة مات ، سنة أربع وتسعين [ومائة] على الصحيح.

١٢٧- [باب ﴿**ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وهديت أيضاً من ذرية نوح إسماعيل، وهو إسماعيل بن إبراهيم، واليسع وهو اليسع بن أخطوب بن العجوز، واختلف القراء في قراءة اسمه، فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق ﴿**واليسع**﴾ بلام واحدة مخففة، وقد زعم قوم أنه يفعل من قول القائل وسع يسع، ولا تكاد العرب تدخل الألف واللام على اسم يكون على هذه الصورة أعني على يفعل لايقولون: رأيت اليزيد، ولا أتاني النجيب، ولا مررت باليشكر، إلا في ضرورة الشعر، وذلك أيضاً إذا تحرى به المدح كما قال بعضهم:

وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاً شديداً بأعباء الخلافة كاهله

فأدخل في اليزيد الألف واللام وذلك لإدخاله إياهما في الوليد فأتبعه اليزيد بمثل لفظه.

وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفيين ﴿**والليسع**﴾ بلامين وبالتشديد وقالوا: إذا قريء كذلك كان أنسبه بأسماء العجم، وأنكروا التخفيف وقالوا: لا نعرف في كلام العرب اسماً على يفعل فيه ألف ولام.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأ بلام واحدة مخفف لإجماع أهل الأخبار على أن ذلك هو المعروف من اسمه دون تشديد مع أنه اسم أعجمي فتنطق به على ما هو به، وإنما لا يستقيم دخول الألف واللام فيما جاء من أسماء العرب على يفعل، وأما الاسم الذي يكون أعجمياً فإنما ينطق به على ما سمو به، فإن غير منه شيء إذا تكلمت العرب به فإنما يغير بتقويم حرف منه من غير حذف ولا زيادة فيه ولا نقصان ـ إلى أن قال ــ ﴿**ويونس**﴾ هو يونس بن متى، ولوطاً وكلا فضلنا من ذرية نوح، ونوح لهم بينا الحق ووفقناهم له، وفضلنا

جميعهم على العالمين يعني على عالم أزمانهم»اهـ

١٥١ـ حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن مهدي، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية قال حدثني ابن عم نبيكم يعني ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

١٥٢ـ حدثنا آدم بن أبي إياس، حدثنا شعبة، أخبرنا سعد بن إبراهيم قال سمعت حميد بن عبد الرحمن بن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى».

ش: تقدم شرحهما في تفسير سورة النساء ضمن الباب السادس بعد المائة.

١٢٨- [باب قوله ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾].

ش: تمامها: ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين**﴾

قال البغوي: ﴿**أولئك الذين هدى الله**﴾ أي هداهم الله ﴿**فبهداهم**﴾ فبسنتهم وسيرتهم ﴿**اقتده**﴾ الهاء فيها هاء وقف، وحذف حمزة والكسائي ويعقوب الهاء في الوصل والباقون بإثباتها وصلاً ووقفاً، وقرأ ابن عامر ﴿**اقتده**﴾ بإشباع الهاء كسراً ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إن هو**﴾ ما هو ﴿**إلا ذكرى**﴾ أي تذكرة وموعضة ﴿**للعالمين**﴾.

وقال الشوكاني: «وتقديم بهداهم على الفعل يفيد تخصيص هداهم بالإقتداء، والاقتداء طلب موافقة الغير في فعله، وقيل المعنى: اصبر كما صبروا، وقيل اقتد بهم في التوحيد، وإن كانت جزئيات الشرائع مختلفة، وفيها دلالة على أنه ﷺ مأمور بالاقتداء بمن قبله من الأنبياء فيما لم يرد عليه فيه نص. قوله ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً**﴾ أمره الله بأن يخبرهم بأنه لا يسألهم أجراً على القرآن، وأن يقول لهم ما هو إلا ذكرى يعني القرآن ﴿**للعالمين**﴾ أي موعظة وتذكير للخلق كافة الموجودين عند نزوله ومن سيوجد من بعد.

من فقه الآية:

أولاً: في أمر النبي ﷺ بالإقتداء بالمذكورين في الآية قبلها دليل على أن دين الأنبياء هو الإسلام.

ثانياً: عموم رسالته ﷺ للناس كافة.

١٥٣- حدثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم قال: أخبرني سليمان الأحول[1]، أن مجاهداً أخبره أنه سأل ابن عباس: أفي ص سجدة؟ فقال: نعم.ثم تلا: ووهبنا له إسحاق ويعقوب ـ إلى قوله ـ فبهداهم

---

(١) هو سليمان بن أبي مسلم المكي الأحول خال ابن أبي نجيح، قيل اسم أبيه عبد الله، ثقة ثقة قاله أحمد، من الخامسة.ع.

اقتده.ثم قال: هو منهم.

زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد[١] وسهل بن يوسف[٢] عن العوام، عن مجاهد: قلت لابن عباس فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**ثم تلا**» يعني ابن عباس رضي الله عنهما.

الثانية: قوله «**ووهبنا له إسحاق - إلى قوله - فبهداهم اقتده**» **قلت:** ما بينهما: ﴿**كلا هدينا ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين* وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين * وإسماعيل واليسع ويونس ولوطاً وكلا فضلنا على العالمين * ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم * ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون * أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين * أولئك الذين هدى الله**﴾.

الثالثة: قوله «**زاد يزيد بن هارون**» وصلها الإسماعيلي.ذكره الحافظ.

الرابعة: قوله «**ومحمد بن عبيد**» وصلها المصنف في تفسير سورة "ص".

الخامسة: قوله «**وسهل بن يوسف**» وصلها المصنف أيضاً في باب ﴿**واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب**﴾ من كتاب الأنبياء.

وسيأتي الخبر في أول تفسير سورة (ص) وهناك يستوفى شرحه إن شاء الله.

---

(١) هو محمد بن عبيد بغير إضافة ابن أبي أمية الطنافسي الكوفي الأحدب، ثقة يحفظ.من الحادية عشرة، مات سنة أربع ومائتين.ع.

(٢) هو سهل بن يوسف الأنماطي، البصري، ثقة رمي بالقدر، من كبار التاسعة، مات سنة تسعين ومائة.بخ.٤.

١٢٩- [باب ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾].

ش: تمامها: ﴿إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.

قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وحرمنا على اليهود كل ذي ظفر وهو من البهائم والطير ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والأنعام والأوز والبط».اهـ

قوله ﴿ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما﴾.

قال السدي: «يعني الثرب وشحم الكليتين وكانت اليهود تقول أنه حرمه إسرائيل فنحن نحرمه وكذا قال ابن زيد.وقال قتادة: الثرب كل شحم كان كذلك ليس في عظم».حكاه ابن كثير.

قوله ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إلا ما حملت ظهورهما﴾ يعني ما علق بالظهر من الشحوم.وقال السدي وأبو صالح الإلية مما حملت ظهورهما».حكاه ابن كثير.

قوله ﴿أو الحوايا﴾.

قال ابن جرير: «والحوايا جمع واحدها حاويا وحاوية وحوية وهي ما تحوي من البطن فاجتمع واستدار وهي بنات اللبن وهي المباعر وتسمى المرابط وفيها الأمعاء ومعنى الكلام ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو ما حملت الحوايا، فالحوايا رفع عطفاً على الظهور و"ما" التي بعد "إلا" نصب على الاستثناء من الشحوم».اهـ

قوله ﴿أو ما اختلط بعظم﴾.

أخرج ابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن عباس ﴿أو ما اختلط بعظم﴾ قال الإلية اختلط شحم الإلية بالعصعص فهو حلال وكل شحم القوائم والجنب

والرأس والعين والأذن يقولون قد اختلط ذلك بعظم فهو حلال لهم.انتهى محل الغرض قاله الشوكاني.

قوله ﴿ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون﴾.

قال ابن كثير: «أي هذا التضييق إنما فعلناه بهم وألزمناهم به مجازاة على بغيهم ومخالفتهم أوامرنا.كما قال تعالى: ﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً﴾ وقوله ﴿وإنا لصادقون﴾ أي وإنا لعادلون فيما جزيناهم به».

وقال ابن جرير: «وإنا لصادقون فيما أخبرناك به يا محمد من تحريمنا ذلك عليهم لا كما زعموا من أن إسرائيل هو الذي حرمه على نفسه».

تفسير جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال ابن عباس: كل ذي ظفر: البعير والنعامة].

ش: رواه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾ وهو البعير والنعامة.وأخرجه أيضاً عن مجاهد.

٢- [﴿الحوايا﴾ المباعر].

ش: **قلت:** أخرجه ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه أيضاً ابن جرير عن مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي.

٣- [وقال غيره: هادوا: صاروا يهوداً].

ش: قوله وقال غيره: أي غير ابن عباس.

٤- [وأما قوله ﴿هدنا﴾ (الأعراف) تبنا هائد تائب].

ش: قال أبو عبيدة: أي الذين تابوا ممن تهود أي هدنا إلى ربنا.

وأخرجه ابن جرير موصولاً عن ابن عباس وسعيد بن جبير وإبراهيم التيمي

وغيرهم.

والآية المشار إليها هي السادسة والخمسون بعد المائة من سورة الأعراف وهي قوله: ﴿**واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك**﴾ الآية.

١٥٤ـ حدثنا عمرو بن خالد ثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب[1] قال عطاء سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما سمعت النبي ﷺ قال: قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها جملوها ثم باعوها فأكلوها.

قال أبو عاصم[2]: حدثنا عبد بن حميد[3] حدثنا يزيد كتب إليّ عطاء سمعت جابراً عن النبي ﷺ.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**قاتل الله اليهود**» أي قتلهم الله وقيل لعنهم وقيل عاداهم، وقد تكررت في الحديث ولا تخرج عن احد هذه المعاني.قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «**لما حرم الله عليهم شحومها**» يعني به قوله ﴿**ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم**﴾.

الثالثة: قوله «**جملوها**» جملت الشحم وأجملته أي إذا أذبته واستخرجت دهنه وجملت أفصح من أجملت. قاله ابن الأثير.

الرابعة: قوله «**ثم باعوها فأكلوها**» **قلت:** وفي باب بيع الميتة والأصنام من

---

(١) هو أبو رجاء يزيد بن أبي حبيب المصري واسم أبيه سويد واختلف في ولائه، ثقة فقيه وكان يرسل من الخامسة، مات سنة [مائة وثمان وعشرين] وقد قارب الثمانين.ع.

(٢) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم الشيباني النبيل البصري، ثقة ثبت من التاسعة، مات سنة [مائتين واثني عشر].ع.

(٣) هو عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم بن رافع الأنصاري، صدوق، رمي بالقدر وربما وهم من السادسة، مات سنة [مائة وثلاث وخمسين].خت.م.٤.

١٣٢- [باب **﴿لا ينفع نفساً إيمانها﴾**].

ش: **قلت:** الآية **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً قل انتظروا إنا منتظرون﴾**.

قوله **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾**.

قال ابن كثير: «يقول تعالى متوعداً للكافرين والمخالفين لرسله والمكذبين بآياته والصادين عن سبيله **﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك﴾** وذلك كائن يوم القيامة».اهـ

قوله **﴿أو يأتي بعض آيات ربك ـ إلى قوله ـ خيراً﴾**.

قال ابن جرير: «يقول أو أن يأتيهم بعض آيات ربك وذلك فيما قال أهل التأويل طلوع الشمس من مغربها...ثم أخرج هذا القول عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة وابن جريج.ثم قال في بقية الآية.

يقول تعالى ذكره يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع من كان قبل ذلك مشركاً با لله أن يؤمن بعد مجيء تلك الآية ـ إلى أن قال ـ وأما قوله **﴿أو كسبت في إيمانها خيراً﴾** فإنه يعني أو عملت في تصديقها با لله خيراً من عمل صالح تصدق قبله، وتحققه قبل طلوع الشمس من مغربها، لا ينفع كافراً لم يكن آمن با لله قبل طلوعها، كذلك إيمان با لله إن آمن وصدق با لله ورسله؛ لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار با لله العظيم للهول الوارد عليهم من أمر ا لله، فحكم إيمانها كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية ا لله لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتذار، ولا ينفع من كان با لله وبرسله مصدقاً ولفرائض ا لله مضيعاً غير مكتسب بجوارحه لله طاعة إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب، لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك».اهـ

١٣٠- [باب قوله ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾].

ش: **قلت:** الآية ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾.

قوله «﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان والأصنام الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرموه من حروثهم وأنعامهم على ما ذكرت لك في تنزيلي عليك: تعالوا أيها القوم أقرأ عليكم ما حرم ربكم حقاً يقيناً لا الباطل تخرصاً كتخرصكم على الله الكذب والفرية ظناً ولكن وحياً من الله أوحاه إليّ وتنزيلا أنزله عليّ». قاله ابن جرير.

قوله ﴿**ألا تشركوا به شيئاً**﴾.

قال ابن سعدي: «أن لا تشركوا بالله شيئاً أي لا قليلاً ولا كثيراً وحقيقة الشرك بالله أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية والإلهية، وإذا ترك العبد الشرك كله صار موحداً مخلصاً لله في جميع أحواله. فهذا حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا»اهـ.

قوله ﴿**وبالوالدين إحساناً**﴾.

قال ابن كثير: «أي وأوصاكم وأمركم بالوالدين إحسانا أي أن تحسنوا إليهم كما قال تعالى ﴿**وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا**﴾ وقرأ بعضهم ﴿**ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه والوالدين إحساناً**﴾ أي احسنوا إليهم. والله تعالى كثيراً ما يقرن بين طاعته وبر الوالدين كما قال ﴿**أن اشكر لي ولوالديك إليّ المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا**

كتاب البيوع برواية قتيبة «ثم باعوه فأكلوا ثمنه» قال ابن دقيق العيد: وقوله عليه السلام: قاتل الله اليهود...الخ. تنبيه على تعليل تحريم بيع هذه الأشياء فإن العلة تحريمها فإنه وجه اللوم على اليهود في تحريم أكل الثمن بتحريم أكل الشحوم، واستدل المالكية بهذا على تحريم الذرائع من حيث أن اليهود توجه عليهم اللوم بتحريم أكل الثمن من جهة تحريم أكل الأصل.وأكل الثمن ليس هو أكل الأصل بعينه؛ لكنه لما كان سبباً إلى أكل الأصل بطريق المعنى استحقوا اللوم.

قلت: وهذا دليل على أن ما حرم أكله حرم بيعه وثمنه.ويؤيد ذلك سياق الحديث في البيوع عند المصنف من رواية قتيبة المذكورة قريباً ولفظه: «إن الله ورسوله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام.فقيل يا رسول الله أرأيت شحوم الميتة فإنه يطلى بها السفن، ويدهن بها الجلود ويستصبح بها الناس فقال: لا هو حرام.فذكره»اهـ

وقوله «**وقال أبو عاصم حدثنا عبد الحميد**» هو ابن جعفر، وهذه الطريق وصلها أحمد عن أبي عاصم وأخرجها مسلم عن أبي موسى عن أبي عاصم ولم يسق لفظه بل قال مثل حديث الليث، والظاهر أنه أراد أصل الحديث، وإلا ففي سياقه بعض مخالفة، قال أحمد: حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد عن عبد الحميد بن جعفر أخبرني يزيد بن أبي حبيب ولفظه: «يقول عام الفتح: إن الله حرم بيع الخنازير وبيع الميتة وبيع الخمر وبيع الأصنام.قال رجل: يا رسول الله فما ترى في بيع شحوم الميتة؟ فإنها تدهن بها السفن والجلود ويستصبح بها فقال: قاتل الله اليهود» الحديث.انتهى من الفتح.

في خفاء لا تجاهرون به، فإن كل ذلك حرام.وقد قيل إنما قيل لا تقربوا ما ظهر من الفواحش وما بطن؛ لأنهم كانوا يستقبحون من معاني الزنا بعضاً وليس ما قالوا من ذلك بمرفوع غير أن دليل الظاهر من التنزيل على النهي عن ظاهر كل فاحشة وباطنها ولا خبر يقطع العذر بأنه عنى به بعضاً دون الجميع وغير جائز إحالة ظاهر كتاب الله إلى باطن إلا بحجة يجب التسليم لها»اهـ.

قوله ﴿**ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾.

قال الشوكاني: «اللام في النفس للجنس و ﴿**التي حرم الله**﴾ صفة للنفس أي لا تقتلوا شيئاً من الأنفس التي حرمها الله ﴿**إلا بالحق**﴾ أي إلا بما يوجبه الحق، والاستثناء مفرغ. أي لا تقتلوه في حال من الأحوال إلا في حال الحق، أو لا تقتلوها بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق، ومن الحق قتلها قصاصاً,وقتلها بسبب زنا المحصن، وقتلها بسبب الردة، ونحو ذلك من الأسباب التي ورد الشرع بها»اهـ.

قوله ﴿**ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون**﴾.

قال ابن جرير: «يعني هذه الأمور التي عهد إلينا فيها ربنا أن لا نأتيها، وأن ندعها هي الأمور التي أوصانا والكافرين بها أن نعمل جميعاً به ﴿**لعلكم تعقلون**﴾ يقول: وصاكم بذلك لعلكم تعقلون ما وصاكم به ربكم»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب إخلاص العبادة لله وحده.

ثانياً: تحريم الشرك بالله وأنه أعظم الذنوب ولذلك بدأ الله به في الآية.

ثالثاً: وجوب الإحسان إلى الوالدين وأنه يأتي في المرتبة الثانية بعد حق الله.

رابعاً: وجوب الإيمان بالقضاء والقدر.

خامساً: في الآية دليل على أن فهم الأوامر والنواهي عون على الإمتثال.

تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾ فأمر بالإحسان إليهما وإن كانا مشركين بحسبهما وقال تعالى **﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا﴾** الآية، والآيات في هذا كثيرة.

قوله **﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم﴾.**

قال ابن عطية: «الآية نهي عن عادة العرب في وأد البنات، والولد يعم الذكر والأنثى من البنين، والإملاق الفقر وعدم المال. قاله ابن عباس وغيره.

يقال أملق الرجل إذا افتقر. ويشبه أن يكون معناه أملق أي لم يبق له إلا الملق كما قالوا أترب إذا لم يبق له إلا التراب، وأرمل إذا لم يبق له إلا الرمل، والملق الحجارة السود واحدته ملقة، وذكر منذر بن سعيد أن الإملاق الإنفاق ويقال أملق ماله بمعنى أنفقه، وذكر أن علياً قال لامرأة: أملقي من مالك ما شئت.

وذكر النقاش عن مؤرخ أنه قال: الإملاق الجوع بلغة لخم»اهـ.

وقال ابن كثير: «وقوله تعالى: **﴿من إملاق﴾** قال ابن عباس وقتادة والسدي وغيره هو الفقر أي تقتلوهم من فقركم الحاصل.

وقال في سورة الإسراء: **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾** أي لا تقتلوهم خوفاً من الفقر في الآجل ولهذا قال هناك **﴿نحن نرزقهم وإياكم﴾** فبدأ برزقهم للإهتمام بهم أي لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما هنا فلما كان الفقر حاصلاً قال: **﴿نحن نرزقكم وإياهم﴾**؛ لأنه الأهم ها هنا»والله أعلم.

قوله **﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾.**

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولا تقربوا الظاهر من الأشياء المحرمة عليكم التي هي علانية بينكم، لا تناكرون ركوبها والباطن منها الذي تأتونه سراً

٣- [﴿زخرف القول﴾ كل شيء حسنته ووشيته وهو باطل فهو زخرف].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال زخرف فلان كلامه وشهادته.اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً﴾.**

٤- [﴿وحرث حجر﴾ حرام، وكل ممنوع فهو حجر محجور، والحجر كل بناء بنيته، ويقال للأنثى من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر وحجى، وأما الحجر فموضع ثمود، وما حجّرت عليه الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً، كأنه مشتق من محطوم مثل قتيل من مقتول، وأما حجر اليمامة فهو منزل].

ش: قال أبو عبيدة: حجر أي حرام وأنشد قول المتلمس:

حنت إلى النخلة القصوى فقلت هاحجر حرام الا ثم الدهاريس اهـ.

وقوله «**وكل ممنوع فهو حجر، ومنه حجر محجور**» قال أبو عبيدة في قوله تعالى **﴿ويقولون حجر محجوراً﴾** أي حراما محرماً.

قوله «**والحجر كل بناء بنيته وما حجرت عليه من الأرض فهو حجر ومنه سمي حطيم البيت حجراً**» قال أبو عبيدة: ومن الحرام سمي حجر الكعبة وقال غيره: سمي حطيماً؛ لأنه أخرج من البيت وترك هو محطوماً.

وقيل: الحطيم ما بين الركن والباب سمي حطيماً لازدحام الناس فيه.

قوله «**كأنه مشتق من محطوم**» أي الحطيم.مثل قتيل من مقتول وهذا على رأي الأكثر، وقيل سمي حطيماً لأن العرب كانت تطرح فيه ثيابها التي تطوف

١٥٥- حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن عمرو[1]، عن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: لا أحد أغير من الله، ولذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه، قلت: سمعته من عبد الله؟ قال: نعم.قلت: ورفعه؟ قال: نعم.

ش: يأتي في سورة الأعراف ضمن الباب الرابع والثلاثين بعد المائة.

شرح جملة من الآثار و الكلمات:

١- [**وكيل حفيظ ومحيط به**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿**ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل**﴾.

٢- [**قبلاً جمع قبيل، والمعنى أنه ضروب للعذاب، كل ضرب منها قبيل**].

ش: هو من كلام أبي عبيدة لكنه بمعناه حيث قال: «قبلاً جميع قبيل قبيل أي صنف صنف ومن قرأها قبلاً فإنه يجعل مجازها عياناً كقولهم: من ذي قِبل بالكسر وقال آخرون: قبلا بالضم أي مقابلة كقولهم: قبل قبله وسقاها قبلاً لم يكن أعدلها الماء فاستأنفت سقيها وبعضهم يقول: من ذي قبل».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون**﴾.

(١) هو أبو عبد الله عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق الجملي المرادي الكوفي، الأعمى ثقة عابد كان لا يدلس ورمي بالإرجاء من الخامسة، مات سنة ثماني عشرة ومائة وقيل قبلها.ع.

١٣١- [باب ﴿**هلم شهداءكم**﴾].

ش: **قلت**: الآية ﴿**قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم، ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**﴾.

قوله ﴿**قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لهؤلاء المفترين على ربهم من عبدة الأوثان، الزاعمين أن الله حرم عليهم ما هم محرمون من حروثهم وأنعامهم ﴿**هلم شهداءكم**﴾ يقول: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون على الله أنه حرم عليكم ما تزعمون أنه حرمه عليكم، وأهل العالية من تهامة توحد هلم في الواحد والإثنين والجمع، وتذكر في المؤنث والمذكر، فتقول للواحد: هلم يا فلان، وللإثنين والجمع كذلك، وللأنثى مثله، ومنه قول الأعشى:

وكان دعا قومه دعوة هلم إلى أمركم قد صرم

ينشد هلم وهلموا. وأما أهل السافلة من نجد فإنهم يوحدون للواحد ويثنون للإثنين، ويجمعون للجميع فيقال للواحد من الرجال: هلم، وللواحدة: هلمي، وللإثنين: هلما، وللجماعة من الرجال: هلموا، وللنساء: هلممن.

قوله ﴿**فإن شهدوا - إلى قوله - بربهم يعدلون**﴾.

قال ابن كثير: «﴿**فإن شهدوا فلا تشهد معهم**﴾ أي لأنهم إنما يشهدون والحالة هذه كذباً وزوراً.

﴿**ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون**﴾ أي يشركون به ويجعلون له عديلاً» اهـ.

[**لغة أهل الحجاز هلم للواحد والإثنين والجميع**].

ش: حكاه أبو عبيدة عن أهل العالية من تهامة وزاد: وأهل نجد يقولون للواحد هلم وللمرأة هلمي، وللإثنين هلما، وللقوم هلموا، وللنساء هلممن يجعلونها من هلممت. وأهل الحجاز لا يجعلون لها فعلاً. انتهى وتقدم حكاية اللغتين في الكلمة.

فيها وتتركها حتى تنحطم وتفسد بطول الزمان...فعلى هذا هو فعيل بمعنى فاعل، وقيل سمي حطيماً؛ لأنه كان من جملة الكعبة فأخرج عنها وكأنه كسر منها فيصح لهم فعيل بمعنى مفعول

وقوله «**مشتق**» ليس هو محمولاً على الاشتقاق الذي جرى إصطلاحه.

قوله «**ويقال للأنثى من الخيل حجر، ويقال للعقل حجر حجى**» هو قول أبي عبيدة قال في قوله تعالى ﴿**لذي حجر**﴾ أي عقل قال: ويقال للأنثى من الخيل حجر.

قوله «**وأما حجر اليمامة فهو المنزل**» ذكره استطراداً وإلا فهذا بفتح أوله هي قصبة اليمامة البلد المشهور بين الحجاز واليمن.انتهى من الفتح (١٢/٣٧٩).

قوله ﴿**قل انتظروا إنا منتظرون**﴾.

قال الشوكاني: «ثم أمره الله سبحانه أن يقول لهم انتظروا ما تريدون إتيانه إنا منتظرون له، وهذا تهديد شديد، ووعيد عظيم، وهو يقوي ما قيل في تفسير ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك**﴾ أنها الآيات التي اقترحوها من إتيان الملائكة وإتيان العذاب لهم من قبل الله»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات مجيء الله بذاته يوم القيامة للفصل بين عباده.قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان مطلق ومقيد، فإذا كان المراد مجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك قيد بذلك كما في الحديث: «حتى جاء الله بالرحمة والخير» وقوله: ﴿**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**﴾.

النوع الثاني: الإتيان والمجيء المطلق فهذا لا يكون إلا مجيئه سبحانه كقوله ﴿**هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام**﴾ وقوله: ﴿**وجاء ربك والملك صفاً صفاً**﴾».اهـ

ثانياً: لا ينتفع أحد بالإيمان والعمل الصالح بعد ظهور الآيات المذكورة في الآية إلا من كان على ذلك من قبل.

١٥٦ـ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد(١)، حدثنا عمارة(٢)، حدثنا أبو زرعة(٣)، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها

---

(١) هو عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم، البصري، ثقة في حديثه عن الأعمش وحده مقال، من الثامنة، مات سنة ست وسبعين [ومائة] وقيل بعدها.ع.

(٢) هو عمارة بن القعقاع بن شبرمة الضبي، الكوفي، ثقة أرسل عن ابن مسعود وهو من السادسة.ع.

(٣) هو عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي الكوفي، قيل اسمه هرم، وقيل عمرو، وقيل عبد الله، وقيل عبد الرحمن، وقيل جرير، ثقة من الثالثة.ع.

الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل.

١٥٧ـ حدثني إسحاق[1]، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها. ثم قرأ الآية.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها**» هذا بعض حديث ساقه المؤلف في أواخر كتاب الفتن الباب الخامس والعشرين بهذا الإسناد بتمامه وفي أوله: «لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان عظيمتان» الحديث، وذكر فيه نحو عشرة أشياء من هذا الجنس.

الثانية: قوله «**فإذا رآها الناس آمن من عليها**» في الرقاق باب حديث أبي اليمان «فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون»، وقوله «فإذا طلعت...» الخ يعني الشمس من مغربها.

الثالثة: قوله «**فذلك**» في الرقاق من رواية الأعرج «فذاك».

الرابعة: قوله «**حين لا ينفع نفساً إيمانها الآية**» كذا هنا وفي الرقاق «إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً».

قال ابن عطية: في هذا الحديث دليل على أن المراد بالبعض في قوله تعالى ﴿**يوم يأتي بعض آيات ربك**﴾ طلوع الشمس من المغرب، وإلى ذلك ذهب الجمهور. وأسند الطبري عن ابن مسعود أن المراد بالبعض إحدى ثلاث، هذه أو خروج الدابة، أو الدجال. قال: وفيه نظر؛ لأن نزول عيسى بن مريم يعقب خروج الدجال، وعيسى لا يقبل إلا الإيمان فانتفى أن يكون بخروج الدجال لا

---

(١) هو إسحاق بن إبراهيم بن نصر البخاري، أبو إبراهيم السعدي، صدوق من الحادية عشرة، مات سنة اثنتين وأربعين [ومائتين]. خ.

يقبل الإيمان ولا التوبة.

قلت: ثبت في صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الزمن الذي لايقبل فيه إيمان من طريق أبي حازم عن أبي هريرة رفعه: «ثلاث إذا خرجن لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» قيل فلعل حصول ذلك يكون متتابعا بحيث تبقى النسبة إلى الأول منها مجازية،وهذا بعيد؛ لأن مدة لبث الدجال إلى أن يقتله عيسى ثم لبث عيسى وخروج يأجوج ومأجوج كل ذلك سابق على طلوع الشمس من المغرب، فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض وينتهي ذلك بموت عيسى بن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب.

قلت: وقد أخرج مسلم أيضاً كتاب الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان من طريق أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رفعه: «أول الآيات طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، فأيهما خرجت قبل الأخرى فالأخرى منها قريب».

قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه.

قلت: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلا للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس كما تقدم في حديث أنس في بدء الخلق في مسائل عبد الله بن سلام ففيه «وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب».

قال ابن عطية وغيره ما حاصله: معنى الآية أن الكافر لا ينفعه إيمانه بعد طلوع الشمس من المغرب، وكذلك العاصي لا تنفعه قربته، ومن لم يعمل صالحاً من قبل ولو كان مؤمناً لا ينفعه العمل بعد طلوعها من المغرب.

وقال القاضي عياض: المعنى لا تنفع توبة بعد ذلك، بل يختم على عمل كل أحد بالحالة التي هو عليها.

والحكمة في ذلك أن هذا أول ابتداء قيام الساعة بتغير العالم العلوي، فإذا شوهد ذلك حصل الإيمان الضروري بالمعاينة وارتفع الإيمان بالغيب، فهو كالإيمان عند الغرغرة وهو لا ينفع، فالمشاهدة لطلوع الشمس من المغرب مثله.

آخر تفسير سورة الأنعام والحمد لله.

سورة الأعراف

١٣٣ـ [**باب تفسير سورة الأعراف**].

ش: شاهد التسمية: ﴿**وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم**﴾.

وأخرج ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: سورة الأعراف مكية.

وآياتها ست ومائتان، وهي مكية إلا ثمان آيات من قوله ﴿**واسئلهم عن القرية ـ إلى قوله ـ وإذ نتقنا الجبل**﴾.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [قال ابن عباس: ﴿ورياشاً﴾ المال].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿**وريشاً**﴾ قال: المال.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد والسدي وعروة والضحاك، وهو **أحد** قولين حكاهما في الآية.

وثانيهما: بمعنى الجمال وهو قول ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير**﴾ الآية.

٢- [﴿إنه لا يحب المعتدين﴾ في الدعاء وفي غيره].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم عن الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فذكره.

ورواه ابن أبي حاتم عن العباس بن الوليد عن محمد بن شعيب عن عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**ادعوا ربكم تضرعاً وخفية، إنه لا يحب المعتدين**﴾.

٣- [﴿عفوا﴾ كثروا وكثرت أموالهم].

ش: أخرجه ابن جرير بأسانيد متصلة عن ابن عباس ومجاهد.

قال أبو عبيدة: «مجازه حتى كثروا وكذلك كل نبات وقوم وغيره إذا كثروا فقد عفوا.

قال لبيد:

فلا تتجاوز العضلات منها **إلى البكر المقارب والكروم**

ولكنا نعض السيف منها **بأسوق عافيات اللحم كوم**

أي كثيرات اللحم»اهـ.

قلت: والآية المشار إليها: ﴿**ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء**﴾.

٤- [﴿**الفتاح**﴾ **القاضي**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وهو الفتاح العليم**﴾ يقول القاضي.

قلت: والآية المشار إليها من سورة سبأ ولعل المصنف ذكره ها هنا تمهيداً لقوله تعالى ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾.

٥- [﴿**افتح بيننا**﴾ **اقض بيننا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق**﴾ يقول: اقض بيننا وبين قومنا بالحق.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وعن الحسن والسدي بمعناه.

والآية المشار إليها: ﴿**على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين**﴾.

٦- [﴿**نتقنا**﴾ **رفعنا**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم واللفظ له كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم**﴾ يقول: رفعنا، وهو قوله ﴿**رفعنا فوقهم الطور بميثاقهم**﴾.

والآية المشار إليها: ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون**﴾.

٧- [﴿**انبجست**﴾ **انفجرت**].

ش: رواه ابن أبي حاتم من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً**﴾.

٨- [﴿**متبر**﴾ **خسران**].

ش: رواه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس به.

وأخرج ابن جرير أيضاً عن ابن زيد والسدي نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿**إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون**﴾.

٩- [﴿**آسى**﴾ **أحزن**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

وأخرجه ابن جرير أيضاً عن السدي وبه قال أبو عبيدة وزاد: أتندم وأتوجع ومصدره الأسى.

والآية المشار إليها: ﴿**فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين**﴾.

١٠- [﴿**تأس**﴾ **تحزن**].

ش: قلت: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة المائدة ﴿**فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾ فلعل المصنف ذكره ها هنا على سبيل الاستطراد والاستشهاد لما قبله.

١١- [**وقال غيره:** ﴿**ما منعك ألا تسجد**﴾ **يقول: ما منعك أن تسجد**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والعرب تضع "لا" في موضع الإيجاب وهي من حروف الزوائد قال أبو النجم:

فما ألوم البيض إلا تسخراً ... مما رأيت الشمط القفندرا

أي ما ألوم البيض أن يسخرن، القفندر القبيح السمج.

وقال الأحوص:

ويلحينني في اللهو ألا أحبه   وللهوى داع دائب غير غافل

أراد في اللهو أن أحبه، قال العجاج في بئر لا حور سرى وما شعر.

الحور الهلكة وقوله أي في بئر حور و"لا" في هذا الموضع فضل.

والآية المشار إليها: ﴿**قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين**﴾.

١٢- [﴿يخصفان﴾ أخذا الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق.يخصفان الورق بعضه إلى بعض].

ش: قاله أبو عبيدة لكنه مقتصراً على الجملة الأخيرة منه.وأخرج ابن جرير من طريق إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس ﴿**وطفقا يخصفان عليهما من روق الجنة**﴾ قال: جعلا يأخذان من ورق الجنة فيجعلان على سوءاتهما.

والآية المشار إليها: ﴿**فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة**﴾ الآية.

١٣- [﴿سوءاتهما﴾ كناية عن فرجيهما].

ش: قاله أبو عبيدة في مجازه.

١٤- [﴿ متاعٌ إلى حين ﴾ : هوهنا إلى يوم القيامة، والحين عند العرب من ساعةٍ إلى ما لايحصى عدده]

ش/ قال أبو عبيدة إلى يوم القيامة ، وقال :

وما مزاحك بعد الحلم والدين   وقد علاك مشيب حين لاحين

أي وقت لاوقت .أهـ

والآية المشار إليها: ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعضٍ عدو ولكم في الأرض مستقرٌ ومتاعٌ إلى حين** ﴾

١٥- [الرِّياش والرِّيش واحد، وهو ما ظهر من اللباس].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والشارة وبعضهم يقول: أعطاني رجلاً بريشه أي بكسوته وجهازه وكذلك السرج بريشه والرياش أيضاً الخصب المعاش.وقد مضت الآية في الأثر الأول.

١٦- [﴿قبيله﴾ جيله الذي هو منهم].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾.**

١٧- [﴿إداركوا﴾ اجتمعوا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فيها، ويقال: تدارك لي عليه شيء أي إجتمع لي عنده شيء، وهو مدغم التاء في الدال فثقّلت الدال.انتهى

والآية المشار إليها: **﴿حتى إذا اداركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار﴾.**

١٨- [ومشاق الإنسان والدابة كلها يسمى سموماً، واحدها سم وهي عيناه ومنخراه وفمه وأذناه ودبره وإحليله].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى **﴿في سم الخياط﴾** أي في ثقب الإبرة وكل ثقب من عين أو أنف أو أذن أو غير ذلك فهو سم والجميع سموم.

والآية المشار إليها: **﴿إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾.**

١٩- [﴿غواش﴾ ما غُشّوا به].

ش: قال أبو عبيدة: واحدتها غاشية وهي ما غشاهم فغطاهم من فوقهم.وأخرج ابن جرير موصولاً إلى السدي أنه قال: الغواش تغشاهم من

فوقهم.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين﴾**.

٢٠- [**﴿نشراً﴾ متفرقة**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: من كل مهب وجانب وناحية.

قلت: «هذا على قراءة الحرميين وأبي عمرو وابن عامر غير أنه سكن الشين، ومثله حمزة والكسائي غير أنهما فتحا النون، والقراءة الثانية وهي قراءة عاصم بباء مضمومة وإسكان الشين **﴿بُشْراً﴾** ومعناه جمع بشير».اهـ من الكشف (٤٦٦/١) باختصار وتصرف.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾**.

٢١- [**﴿نكداً﴾ قليلا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عسراً في شدة.قال:

لا تنجز الوعد إن وعدت وإن أعطيت أعطيت تافهاً نكداً

تافه قليل».انتهى.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدي **﴿لا يخرج إلا نكداً﴾** والنكِد الشيء القليل الذي لا ينفع.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾**.

﴿إلا نكداً﴾ قرأ أبو جعفر بفتح الكاف، وقرأ الآخرون بكسرها أي عسراً قليلاً بعناء ومشقة، فالأول مثل المؤمن الذي إذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به والثاني مثل الكافر الذي يسمع القرآن فلا يؤثر فيه، كالبلد الخبيث الذي لا يثبت أثر المطر فيه.قاله البغوي.

٢٢- [﴿يغنوا﴾ يعيشوا].

ش: أخرجه ابن جرير موصولا من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

وكذا قال أبو عبيدة وزاد: «قال مهلهل:

غنيت دارنا تهامة في الدهر وفيها بنو سعد حلولا

وقولهم مغاني الديار منها واحدها مغنىً قال: اتعرف مغنى دمنةٍ ورسوم».

والآية المشار إليها: **﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾**.

٢٣- [﴿حقيق﴾ حق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليّ أن لا أقول إلا الحق، ومن قرأها **﴿حقيق على أن لا أقول﴾** ولم يضف "عليّ" إليه فإنه يجعل مجازه مجاز حريص على أن لا أقول، أو فحق أن لا أقول.انتهى

قلت: وكلا المعنيين صحيح ولا منافاة بينهما.

والآية المشار إليها: **﴿حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل﴾**.

٢٤- [﴿استرهبوهم﴾ من الرهبة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: مجازه خوفوهم.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾**.

٢٥- [﴿تلقف﴾ تلقم].

ش: قال أبو عبيدة في قوله **﴿تلقف ما يأفكون﴾**: «أي تلهم ما يسحرون ويكذبون أي تلقمه»انتهى

وأخرج ابن جرير من طريق سفيان عن أبي سعد عن عكرمة عن ابن عباس ﴿**فألقى عصاه فإذا هي حية تلقف ما يأفكون**﴾ لا تمر بشيء من حبالهم وخشبهم التي ألقوها إلا التقمته.انتهى محل الغرض.

والآية المشار إليها: ﴿**وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون**﴾.

٢٦- [﴿طائرهم﴾ حظهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ونصيبهم.

وأخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿**ألا إنما طائرهم عند الله**﴾ يقول: مصائبهم عند الله.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾.

٢٧- [لُوفان: من السَّيل ويقال للموت الكثير الطوفان].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه من السيل: البعاق والدباش وهو دباش شديد سيله، ومن الموت الذريع المبالغ السريع»اهـ.

والآية المشار إليهاهي قوله: ﴿**فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين**﴾.

٢٨- [﴿القمل﴾ الحُمْنَان يشبه صغار الحَلَم].

ش: قال أبو عبيدة: «عند العرب هو الحمنان، والحمنان: ضرب من القردان واحدتها حمنانة».

٢٩- [﴿عروش﴾ وعريش بناء].

ش: أخرج ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**وما كانوا يعرشون**﴾ يقول يبنون.

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق أبي زرعة عن منجاب عن بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ﴿يعرشون﴾ قال: يبتنون.

وقال أبو عبيدة في قوله ﴿وما كانوا يعرشون﴾ مجازه يبنون، ويعرش ويعرُش لغتان، وعريش مكة خيامها.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾**.

٣٠- [**﴿سُقِط﴾ كلٌّ من ندم فقد سُقِط في يده**].

ش: قال أبو عبيدة: يقال لكل من ندم وعجز عن شيء ونحو ذلك: سقط في يد فلان.

وقال الفراء في قوله **﴿ولما سُقِط في أيديهم﴾**: من الندامة، ويقال أسقط لغة.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ظلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين﴾**.

٣١- [**الأسباط: قبائل بني إسرائيل**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: واحدهم سبط يقال: من أي سبط أنت أي من أي قبيلة وجنس.

والاية المشارإليها :**﴿ وقطّعناهم انتي عشرة أسباطاً أُمما .. ﴾** الآية

٣٢- [**﴿يعدون في السبت﴾ يتعدون: له يجاوزون**].

ش: قال أبو عبيدة: إذ يتعدون فيه عما أمروا به ويتجاوزونه.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت﴾**.

٣٣- [**﴿تعد﴾ تجاوز**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «عيناك.ويقال: ما عدوت ذلك أي ما جاوزته».

والآية المشار إليها من سورة الكهف هي قوله: ﴿**واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا**﴾.

٣٤- [﴿**شرعاً**﴾ **شوارع**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم**﴾.

٣٥- [﴿**بئيس**﴾ **شديد**].

ش: أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿**بعذاب بئيس**﴾ قال: شديد.

وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن زيد.

وأخرجا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني رجل عن عكرمة عن ابن عباس في قوله ﴿**بعذاب بئيس**﴾ أليم موجع.

وما قاله المصنف قاله أبو عبيدة وأنشد عن ذي الإصبع العدواني:

أإن رأيت بني أبيك مجمحين إليك شوسا
حنقاً عليّ وما ترى لي فيهم أثراً بئيساً

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون**﴾.

٣٦- [﴿**أخلد**﴾ **قعد وتقاعس**].

ش: قال أبو عبيدة في قوله ﴿**أخلد إلى الأرض**﴾: «لزم وتقاعس وأبطأ، يقال: فلان مخلد أي بطيء الشيب، والمخلد الذي تبقى ثنيتاه حتى تخرج رباعيتاه وهو من ذاك أيضاً»اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى**

الأرض واتبع هواه﴾.

٣٧- [**﴿سنستدرجهم﴾ نأتيهم من مأمنهم كقوله تعالى ﴿فأتاهم ا لله من حيث لم يحتسبوا﴾**].

ش: قال أبو عبيدة: والاستدراج أن تأتيه من حيث لا يعلم ومن حيث تلطف له حتى تفتره.

قلت: والآية المشار إليها: **﴿والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾**.

٣٨- [**﴿من جنة﴾ من جنون**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين﴾**.

٣٩- [**﴿فمرت به﴾ استمر بها الحمل فأتمته**].

ش: قاله أبو عبيدة.

وأخرج ابن أبي حاتم وابن جرير من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فمرت به قال استمر حملها.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفاً فمرت به﴾** الآية.

٤٠- [**﴿ينزغنّك﴾ يستخفنك**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «منه خفة وغضب وعجلة، ومنه قولهم: نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وحمل بعضهم على بعض] اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ با لله إنه سميع عليم﴾**.

٤١- [**طيف ملمٌّ به لمم، ويقال طائف وهو واحد**].

ش: قال أبو عبيدة:« مجازه لمم قال الأعشى:

وتصبح عن عب السرى وكأنما ألم بها من طائف الجن أولق.

وهو من طفت به أطيف طيفاً قال:

إنّي ألم بك الخيال يطيف ومطافه لك ذكرة وشغوف»اهـ

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ﴿**طائف من الشيطان تذكروا**﴾ الطائف اللمسة من الشيطان.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون**﴾

قلت: وقول المصنف طيف على قراءة أبي عمرو وابن كثير والكسائي مثل ضيف وقرأ الباقون طائف مثل فاعل.حكاه مكي (١/٤٨٦).

٤٢- [﴿**يمدونهم**﴾ **يزينون**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «لهم الغي والكفر ويقال: مدّ له في غيه زينه له وحسنه وتابعه عليه».انتهى

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**وإخوانهم يمدونهم في الغيّ ثم لا يقصرون**﴾.

٤٣- [﴿**وخيفة**﴾ **خوفاً وخفية من الإخفاء**].

ش: قال أبو عبيدة: أي خوفاً وذهبت الواو بكسر الخاء.

٤٤- [﴿**والآصال**﴾ **واحدها أصيل، وهو ما بين العصر إلى المغرب.كقوله** ﴿**بكرة وأصيلا**﴾].

ش : قاله أبو عبيدة وزاد: «قال أبو ذؤيب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله وأقعد في فيائه بالآصال

يقال آخر النهار»اهـ.

والآية المشار إليها بالكلمتين هي قوله: ﴿**واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال**﴾.

١٣٤- [باب ﴿**إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾].

ش: قلت الآية: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون**﴾.

قوله ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يتجردون من ثيابهم للطواف بالبيت ويحرمون أكل طيبات ما أحل ا لله لهم من رزقه أيها القوم إن ا لله لم يحرم ما تحرمونه، بل أحل ذلك لعباده المؤمنين، وطيبه لهم، وإنما حرم ربي القبائح من الأشياء وهي الفواحش ما ظهر منها فكان علانية، وما بطن منها فكان سراً في خفاء» اهـ.

قوله ﴿**والإثم والبغي بغير الحق...**﴾ الآية.

قال ابن كثير: «قال السدّي: أما الإثم فالمعصية والبغي أن تبغي على الناس بغير الحق.وقال مجاهد: الإثم المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه على نفسه، وحاصل ما فسر به الإثم أنه الخطايا المتعلقة بالفاعل نفسه والبغي هو التعدي على النّاس فحرم ا لله هذا وهذا.

وقوله تعالى ﴿**وأن تشركوا با لله ما لم ينزل به سلطاناً**﴾ أي تجعلوا له شركاء في عبادته.﴿**وأن تقولوا على ا لله ما لا تعلمون**﴾ من الافتراء والكذب من دعوى أن له ولداً ونحو ذلك مما لا علم لكم به كقوله ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ الآية»اهـ.

فائدة:

قال ابن القيم: «فذكر سبحانه المحرمات الأربع مبتدئا بالأسهل منها ثم ما هو أصعب منه، ثم كذلك حتى ختمها بأعظمها وأشدها وهو القول عليه بلا علم، فكيف بالكذب عليه قالوا: ولأن الكذب عليه بأنه قال كذا ولم يقله نسبه

للقول المكذوب إليه بأنه قاله فالكاذب يعلم أن ما اختلقه كـذب، فـإذا نسـبه إلى رسول الله فقد نسب إليه الكذب، وهذا المذهب كما ترى قوة وظهـوراً». انتهـى من بدائع التفسير.

١٥٨ـ حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن عمـرو بـن مـرة، عـن أبي وائل، عن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: أنـت سمعت هـذا مـن عبـد الله؟ قال: نعم ورفعه قال: لا أحد أغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله فلذلك مدح نفسه.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**لا أحد**» بالنصب اسم "لا" النافية للجنس وهـو بهـذا اللفـظ في جميع الطرق الـتي وقفنـا عليهـا عنـد المصنـف ومسـلم والـترمذي والنسـائي في التفسير من رواية أبي وائل شقيق بن سلمة. وأخرج أحمد ومسلم عن أسماء رضـي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «ليس شيء أغير من الله عز وجل» ووقـع عنـد أحمد (٦/٣٥٢) ومسلم عنها: «لا شيء أغير من الله عز وجل» وقد جاء القـرآن مؤيداً لذلك فمن الأول قوله تعالى ﴿**قل هو الله أحد**﴾ ومـن الثـاني قولـه ﴿**قـل أي شيء أكـبر شـهادة قـل الله**﴾ وفي سـورة القصـص ﴿**كـل شـيء هـالك إلا وجهه**﴾.

الثانية: قوله «**أغير من الله**» أغير علـى وزن أفعـل اسـم تفضيـل. والحديـث دليل على إتصاف الرب جل ثناؤه بالغيرة، وأن غيرتـه أعظـم مـن غـيرة المخلـوق والغيرة على وزنة فعله بفتح العين المعجمة وهي الحمية والأنفة يقال: رجل غيـور وامرأة غيور بلا هاء؛ لأن فعول يشترك فيه الذكر والأنثى. يقال: غرت على أهلي أغار غيرة فأنا غائر وغيور للمبالغة. انتهى بتصرف من كلام ابن الأثير.

وقال النووي في شـرحه: «قـال العلمـاء: الغـيرة بفتـح الغـين وأصلهـا المنـع والرجل غيور على أهله أي يمنعهم من التعلـق بـأجنبي بنظـر أو حديـث أو غـيره،

والغيرة صفة كمال»اهـ.

قال مقيده: هذا معناها في اللغة واعلم سددك الله بأن غيرة الله كسائر صفاته تمر كما جاءت بلا تكييف وموجب غيرة الرب على عباده إنتهاك محارمه ففي الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها في حديث الكسوف أن رسول الله ﷺ قال: «يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله من أن يزني عبده أو تزني أمته».الحديث.

الثالثة: قوله «**فلذلك حرم**» التحريم معناه المنع وكل محرم ممنوع وهو على ضربين شرعي ومنه ﴿**حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم...الآية**﴾.وقوله ﴿**حرمت عليكم الميتة و الدم ولحم الخنزير**﴾.وقدري ومنه ﴿**وحرام على قرية أهلكناها إنهم لا يرجعون**﴾.

الرابعة: قوله «**الفواحش**» جمع فاحشة وهي كل ما تناهى قبحه شرعاً أو عقلاً أو عرفاً والمراد ها هنا عظائم الذنوب والآثام.

الخامسة: قوله «**المدحة**» المدح ذكر محاسن الممدوح والإخبار عنها على سبيل الثناء والتعظيم بذلك، فإن اقترن بالحب والإرادة فهو حمد؛ لأن الحمد هو ذكر محاسن المحمود، والإخبار عنها مع حبه، وإجلاله وتعظيمه فهو خبر يتضمن الإنشاء».انتهى من بدائع الفوائد (٢/٩٣).

وقال النووي: «حقيقة مدح العباد لله تعالى هو مصلحة للعباد؛ لأنهم يثنون عليه سبحانه فيثيبهم فينتفعون وهو سبحانه غني عن العالمين، لا ينفعه مدحهم ولا يضره تركهم ذلك، وفيه تنبيه على فضل الثناء عليه سبحانه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتكبيره وسائر الأذكار»اهـ

قلت: ومما جاءت به السنة من مدح العباد ربهم قوله ﷺ: لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» وفي دعاء الكرب المتفق عليه: «لا إله إلا الله العظيم الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات

ورب الأرض ورب العرش الكريم».

وروى أبو داود وغيره عن أنس أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام يا حي يا قيوم» الحديث.

السادسة: قوله «**فلذلك**» تعليل لقوله «ولا أحد أحب إليه المدحة من الله».

السابعة: قوله «**مدح نفسه**» **قلت:** وفي التنزيل الكريم والسنة من مدائح الرب نفسه ما يفوق الحصر، من ذلك قوله تعالى ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾.وقوله ﴿**إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري**﴾ وقوله ﴿**وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى**﴾ وقوله ﴿**إن بطش ربك لشديد إنه هو يبدىء ويعيد وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد**﴾.

وأخرج مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمت فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم.

تنبيه:

أخرج الشيخان والنسائي في قصة التيمم أن أسيد بن حضير رضي الله عنه قال: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.وأخرج مسلم عن المقداد أن رسول الله ﷺ قال: إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.فالأول دليل على جواز مدح الإنسان في وجهه والثاني دليل على النهي عن ذلك والجمع بينهما كما قال العلماء:

أن النهي محمول على المجازفة في المدح، والزيادة في الأوصاف أو على من يخاف عليه الفتنة من إعجاب ونحوه إذا سمع المدح، وأما من لا تخاف عليه ذلك لكمال تقواه، ورسوخ عقله ومعرفته فلا نهي في مدحه في وجهه إذا لم يكن فيه مجازفة.

من فقه الحديث:

أولاً: التحذير من انتهاك محارم الله وأن ذلك سبب غيرته.

ثانياً: إثبات صفة المحبة والغيرة لله عز وجل.

ثالثاً: الحث على مدح الله والثناء عليه بما هو أهله.

١٣٥-[باب ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين**﴾].

ش: قوله ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا ـ إلى قوله ـ فسوف تراني**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: ولما جاء موسى للوقت الذي وعدنا أن يلقانا فيه، وكلمه ربه وناجاه، قال موسى لربه: ﴿**أرني أنظر إليك**﴾ قال الله مجيباً: ﴿**لن تراني ولكن انظر إلى الجبل**﴾».اهـ

قوله ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً**﴾.

قال القنوجي: «تجلى معناه ظهر من قولك جلوت العروس أي أبرزتها وجلوت السيف خلصته من الصدأ، وتجلى الشيء انكشف، والمعنى فلما ظهر ربه.

قوله ﴿**للجبل جعله دكاً**﴾ الدك مصدر بمعنى المفعول أي جعله مدكوكا مدقوقاً فصار تراباً، هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة، والدك والدق أخوان وهو تفتيت الشيء وسحقه، وقيل تسويته الأرض، وقرأ أهل الكوفة دكاء على التأنيث، والجمع دكّاوات كحمراء وحمروات وهي اسم للرابية الناشزة من الأرض أو للأرض المستوية، فالمعنى أن الجبل صار صغيراً كالرابية أو أرضاً مستوية»اهـ.

قوله ﴿**وخر موسى صعقاً ـ إلى قوله ـ وأنا أول المؤمنين**﴾.

قال البغوي: «قوله عز وجل: ﴿**وخر موسى صعقاً**﴾ قال ابن عباس والحسن: وغشي عليه. وقال قتادة: ميتاً إلى أن قال: فلما أفاق موسى من صعقته وثاب إليه عقله عرف أنه قد سأل أمراً عظيماً لا ينبغي له، قال: ﴿**سبحانك تبت إليك**﴾ عن سؤال الرؤية ﴿**وأنا أول المؤمنين**﴾ بأنك لا ترى في الدنيا.

وقال مجاهد والسدي: وأنا أول من آمن بك من بني إسرائيل»اهـ.

من فقه الآية:

أولاً: إثبات صفة الكلام لله عز وجل.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ وأن الله كلمه بلا واسطة.

ثالثاً: شدة خشية موسى ﷺ لله.

رابعاً: الحث على التوبة.

خامساً: عدم إمكان رؤية العباد ربهم في الدنيا.

سادساً: في الآية دليل على رؤية العباد ربهم يوم القيامة.

قال ابن القيم: «وبيان الدلالة من هذه الآية من وجوه عديدة:

أحدها: أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة الفرعونية بمنزلة من يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى الله عنه فيا لله العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم بالله من موسى بن عمران وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه.

الوجه الثاني: أن الله لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال: ﴿**إني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين**﴾.

الوجه الثالث: أنه أجاب بقوله: لن تراني ولم يقل لا تراني، ولا أني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله وهذا يدل على أنه

سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني**﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف.

الوجه الخامس: أن الله تعالى قادر أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظيراً أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سبحانه وتعالى: ﴿**فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً**﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى؛ فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، فلم يخبره باستحالة ذلك عليه، ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه.

وأما قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي، ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت، قال تعالى: ﴿**ولن يتمنوه**

أبداً﴾ مع قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾». اهـ من بدائع التفسير.

[قال ابن عباس: أرني: أعطني].

ش: رواه ابن أبي حاتم وابن جرير كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

١٥٩ـ حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن يحيى المازني(١)، عن أبيه(٢)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه، وقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي، قال: ادعوه. فدعوه قال: لم لطمت وجهه. قال: يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد ؟، وأخذتني غضبة فلطمته، قال: «لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور».

ش: فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله «**جاء رجل من اليهود**» وفي باب ﴿**وواعدنا موسى ثلاثين ليلة**﴾ من أحاديث الأنبياء «استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود». ووقع في رواية عبد الله بن المفضل سبب ذلك، وأول حديثه: «بينما يهودي يعرض سلعة أعطى بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر» ولم أقف

---

(١) هو عمرو بن يحيى بن عمارة بن أبي الحسن المازني المدني، ثقة من السادسة، مات بعد الثلاثين [ومائة]. ع.

(٢) هو يحيى بن عمارة بن أبي الحسن الأنصاري المدني ثقة من الثالثة. ع.

على اسم هذا اليهودي في هذه القصة. قال الحافظ: وزعم ابن بشكوال أنه فنحاص بكسر الفاء وسكون النون ومهملتين وعزاه لابن إسحاق، وأجيب بأن الذي ذكره ابن إسحاق لفنحاص مع أبي بكر الصديق في لطمه إياه قصة أخرى في نزول قوله تعالى ﴿**لقد سمع ا لله قول الذين قالوا إن ا لله فقير ونحن أغنياء**﴾ الآية. وأما كون اللاطم في هذه القصة هو الصديق فهو مصرح به فيما أخرجه سفيان بن عيينة في جامعه وابن أبي الدنيا في كتاب البعث من طريقه عن عمرو بن دينار عن عطاء، وابن جدعان عن سعيد بن المسيب قال: «كان بين رجل من أصحاب النبي ﷺ وبين رجل من اليهود كلام في شيء» فقال عمرو بن دينار: هو أبو بكر الصديق «فقال اليهودي والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه المسلم» الحديث. اهـ من الفتح.

قلت: فمن تأمل هذا وحديث الباب يظهر له أن القصتين مختلفتان. ووقع في أحاديث الأنبياء «فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم اليهودي» أي عند سماعه قول اليهودي «والذي اصطفى موسى على العالمين.

قال الحافظ: «وإنما صنع ذلك لما فهمه من عموم لفظ العالمين فدخل فيه محمد ﷺ، وقد تقرر عند المسلم أن محمداً أفضل، وقد جاء ذلك مبيناً في حديث أبي سعيد أن الضارب قال لليهودي حين قال ذلك: «أي خبيث على محمد» فدل على أن لطمه اليهودي عقوبة له على كذبه عنده»اهـ.

الثانية: قوله «**لطم**». **قلت**: اللطم هو الضرب بباطن الكف على الوجه ولم أقف على اسم اللاطم ومن قال أنه أبو بكر الصديق فلم يصب لأمرين:

أولهما: أن لفظ الأنصار عند إطلاقه لا يسبق إلى الفهم منه غير الأوس والخزرج، فصرفه عن ذلك بغير دليل يجب التسليم له تحكم.

وثانيهما: أنه لو كان اللاطم أبو بكر الصديق أو غيره من المهاجرين وأريد اخفاء اسمه لقال الراوي رجل من المهاجرين، وفي حديث الأنبياء «فرفع المسلم

يده)).ووقع في رواية إبراهيم بن سعد ((فلطم وجه اليهودي)) ووقع عند أحمد من هذا الوجه ((فلطم على اليهودي)) وفي رواية عبد ا لله بن الفضل ((فسمعه رجل من الأنصار فلطم وجهه وقال: أتقول هذا ورسول ا لله ﷺ بين أظهرنا)) وكذا وقع في حديث أبي سعيد أن الذي ضربه رجل من الأنصار)).اهـ من الفتح

الثالثة: قوله ((**إن رجلاً من أصحابك...الخ**)) وفي رواية ابن الفضل ((فقال ـ أي اليهودي ـ يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ ـ فذكره ـ فغضب النبي ﷺ حتى رؤى في وجهه.

الرابعة: قوله ((**لم لطمته**)) أي: أي شيء حملك على لطمه.زاد في رواية إبراهيم بن سعد ((فدعا النبي ﷺ المسلم فسأله عن ذلك فأخبره)).

الخامسة: قوله ((**لا تخيروني من بين الأنبياء**)) أي لا تفضلوني على أحد منهم وفي حديث الأنبياء من رواية ابن الفضل ((فقال لا تفضلوا بين أنبياء ا لله)).

السادسة: قوله ((**فإن الناس يصعقون**)) في حديث الأنبياء ((فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق)).

قال الحافظ: ((ولم يبين في رواية الزهري من الطريقين محل الإفاقة من أي الصعقتين. ووقع في رواية عبد ا لله بن الفضل ((فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء ا لله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث)) وفي رواية الكشميهني ((أول من يبعث)) والمراد بالصعق غشي يلحق من سمع صوتا أو رأى شيئاً يفزع منه.وهذه الرواية ظاهرة في أن الإفاقة بعد النفخة الثانية، وأصرح من ذلك رواية الشعبي عن أبي هريرة في تفسير الزمر بلفظ: ((إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الأخيرة)) وأما ما وقع في حديث أبي سعيد ((فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض)) كذا وقع بهذا اللفظ في كتاب الإشخاص، ووقع في غيرها ((فأكون أول من يفيق)) وقد استشكل)).اهـ

ويمكن الجمع بأن النفخة الأولى يعقبها الصعق من جميع الخلق أحيائهم وأمواتهم، وهو الفزع كما وقع في سورة النمل **﴿ففزع من في السموات والأرض﴾** ثم يعقب ذلك الفزع للموتى زيادة فيما هم فيه وللأحياء موتاً، ثم ينفخ الثانية للبعث فيفيقون أجمعين، فمن كان مقبوراً انشقت عنه الأرض فخرج من قبره، ومن ليس بمقبور لا يحتاج إلى ذلك.وقد ثبت أن موسى ممن قبر في الحياة الدنيا، ففي صحيح مسلم عن أنس أن النبي ﷺ قال: «مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلي في قبره».

السابعة: قوله «**فأكون أول من يفيق**» لم تختلف الروايات في الصحيحين في إطلاق الأولية، ووقع في رواية إبراهيم بن سعد عند أحمد والنسائي «فأكون في أول من يفيق» أخرجه أحمد عن أبي كامل، والنسائي من طريق يونس بن محمد كلاهما عن إبراهيم، فعرف أن إطلاق الأولية في غيرها محمول عليها، وسببه التردد في موسى عليه السلام.

الثامنة: قوله «**فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش**» وفي أحاديث الأنبياء «فإذا موسى باطش بجانب العرش» أي آخذ بشيء من العرش بقوة، والبطش الأخذ بقوة، وفي رواية ابن الفضل «فإذا موسى آخذ بالعرش».

التاسعة: قوله «**فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور**» في حديث الأنبياء «فلا أدري أكان ممن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى ا لله» أي فلم يكن ممن صعق، أي فإن كان أفاق قبلي فهي فضيلة ظاهرة وإن كان ممن استثنى ا لله فلم يصعق وكلا الأمرين فضيلة ظاهرة لموسى ﷺ.

قال: وبين ذلك ابن الفضل في روايته بلفظ: «أحوسب بصعقته يوم الطور» والجمع بينه وبين قوله «أو كان ممن استثنى ا لله» أن في رواية ابن الفضل وحديث أبي سعيد بيان السبب في استثنائه، وهو أنه حوسب بصعقته يوم الطور فلم يكلف بصعقة أخرى.والمراد بقوله «ممن استثنى ا لله» قوله **﴿إلا ما شاء ا لله﴾**

قاله الحافظ.

من فقه الحديث:

أولاً: تواضع النبي ﷺ إذ نهى عن تخييره بين الأنبياء.

ثانياً: في صنيع النبي ﷺ مع اليهودي وخصمه دليل على وجوب سماع الحاكم الشكوى، وإن كانت من كافر واستدعاءه المشكو وإن كان من المسلمين.

ثالثاً: فضيلة موسى ﷺ.

رابعاً: في قوله «أم جزي بصعقة الطور» تفسير للجبل المذكور في الآية.

١٣٦- [باب ﴿المن والسلوى﴾].

ش: قلت: يشير إلى قوله تعالى **﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**.

قال ابن جرير: «**﴿وظللنا عليهم الغمام﴾** يكنّهم من حر الشمس وأذاها - إلى أن قال - **﴿وأنزلنا عليهم المن والسلوى﴾** طعاماً لهم **﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾** يقول: وقلنا لهم كلوا من حلال ما رزقناكم أيها الناس وطيبناه لكم **﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** وفي الكلام محذوف ترك ذكره استغناء بما ظهر عما ترك وهو فأجمعوا ذلك وقالوا: لن نصبر على طعام واحد فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير **﴿وما ظلمونا﴾** يقول: وما أدخلوا علينا نقصاً في ملكنا وسلطاننا بمسألتهم ما سألوا، وفعلهم ما فعلوا **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** أي ينقصونها باستبدالهم الأدنى بالخير والأرذل بالأفضل»اهـ.

١٦٠- حدثنا مسلم[(١)]، حدثنا شعبة، عن عبد الملك[(٢)]، عن عمرو بن حريث، عن سعيد بن زيد، عن النبي ﷺ قال: الكمأة من المن، وماؤها شفاء العين».

مضى في تفسير سورة البقرة برقم خمسة ضمن الباب السادس.

---

(١) هو أبو عمرو مسلم بن إبراهيم الفراهيدي، البصري، ثقة مأمون مكثر، عمى بأخرة من صغار التاسعة، مات سنة اثنتين وعشرين [ومائتين] وهو أكبر شيخ لأبي داود. ع.

(٢) عبد الملك بن عمير بن سويد اللخمي حليف بني عدي الكوفي، ثقة فصيح عالم، تغير حفظه وربما دلس، من الرابعة، مات سنة ست وثلاثين [ومائة] وله مائة وثلاث سنين. ع.

١٣٧- [باب ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾].

ش: قوله ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

قال ابن كثير: «يقول تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ ﴿قل﴾ يا محمد ﴿يا أيها الناس﴾ وهذا خطاب للأحمر والأسود والعربي والعجمي، ﴿إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ أي جميعكم وهذا من شرفه وعظمته ﷺ أنه خاتم النبيين وأنه مبعوث إلى الناس كافة كما قال الله تعالى ﴿قل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ وقال تعالى ﴿ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده﴾ وقال تعالى ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ﴾ والآيات في هذا كثيرة كما أن الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم».اهـ

قوله ﴿الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت﴾.

قال الشوكاني: «﴿الذي له ملك السموات والأرض﴾ إما في محل جر على الصفة للاسم الشريف أو منصوب على المدح، أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف، وجملة ﴿لا إله إلا هو﴾ بدل من الصلة مقرر لمضمونها مبين لها؛ لأن من ملك السموات والأرض وما فيهما هو الإله على الحقيقة، وهكذا من كان يحيي ويميت هو المستحق لتفرده بالربوبية ونفي الشركاء عنه»اهـ

قوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله﴾ «يقول جل ثناؤه: قل لهم فصدقوا بآيات الله الذي هذه صفته وأقروا بوحدانيته وأنه الذي له الألوهية والعبادة وصدقوا برسوله محمد ﷺ أنه مبعوث إلى خلقه داعٍ إلى توحيده وطاعته».قاله ابن جرير.

قوله ﴿النبي الأمي الذي يؤمن بالله﴾ الآية.

قال ابن سعدي في قوله ﴿**الذي يؤمن بـا لله وكلماتـه**﴾: «أي آمنـوا بهـذا الرسول المستقيم في عقائده وأعماله واتبعوه لعلكم تهتدون، في مصالحكم الدينيـة والدنيوية، فإنكم إذا لم تتبعوه ضللتم ضلالاً بعيداً»

من فقه الآية:

أولاً: وجوب التمسك بسنة النبي ﷺ.

ثانياً: أنه لا رشد ولا سعادة ولا فلاح في مخالفة هديه.

١٦١ـ حدثنا عبد ا لله[١]، حدثنا سليمان بن عبد الرحمن[٢] وموسـى بـن هـارون[٣] قالا: حـدثنا الوليـد بـن مسـلم[٤]، حـدثنا عبـد ا لله بـن العـلاء بن زبـر[٥] قـال: حـدثـني بسر بـن عبيـد ا لله[٦] قـال: حدثني أبو إدريس الخولاني[٧] قال: سمعت أبا الدرداء[٨] يقول: كانت بين أبي

---

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد ا لله بن حماد بن أيوب الأملي وهـو تلميـذ البخـاري ووراقـه، وهو من الثانية عشرة، مات سنة تسع وتسعين [ومائتين] وقيل بعد ذلك.خ.

(٢) هو أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن التميمي الدمشـقي ابـن بنـت شـرحبيل صـدوق يخطيء من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين].خ.٤.

(٣) هو موسى بن هارون القيسي، البردي، الكوفي، صدوق ربما أخطأ، من العاشرة، مات سنة أربع وعشرين [ومائتين] بالفيوم من أرض مصر.خ.د.س.

(٤) هو أبو العباس الوليد بن مسلم القرشي مولاهـم الدمشـقي، ثقـة لكنـه كثـير التدليـس والتسوية، من الثامنة، مات آخر سنة أربع أو أول سنة خمس وتسعين [ومائة].خ.٤.

(٥) عبد ا لله بن العلاء بن زبر بفتح الزاي وسكون الموحـدة، الدمشـقي الربعي، ثقـة مـن السابعة، مات سنة أربع وستين [ومائة] وله تسع وثمانون.خ.٤.

(٦) بسر بن عبيد ا لله الحضرمي الشامي، ثقة حافظ من الرابعة.ع.

(٧) هو عائذ ا لله بن عبد ا لله ولد في حياة النبي ﷺ يوم حنين وسمـع مـن كبـار الصحابـة، ومات سنة ثمانين.قال سعيد بن عبد العزيز: كان عالم الشام بعد أبي الدرداء.ع.

(٨) هو عويمر بن زيد بن قيس الأنصاري أول مشاهده أحد وكان عابدا، مـات في أواخـر خلافة عثمان وقيل عاش بعد ذلك.ع.

بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه عمر مغضباً، فأتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل، حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: أما صاحبكم هذا فقد غامر» قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر. قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: هل أنتم تاركون لي صاحبي، هل أنتم تاركون لي صاحبي» إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت.

ش: فيه خمس عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**محاورة**» وقع في فضائل أبي بكر من رواية زيد بن واقد «كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

قال الحافظ: «وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى «معاتبة» وفي لفظ «مقاولة».

الثانية: قوله «**فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه مغضباً**» يعني من شدة ما جرى بينهما فاتبعه أبو بكر.

الثالثة: قوله «**ثم ندمت**» زاد محمد ابن المبارك «على ما كان» وفي الفضائل «فأسرعت إليه» يعني لملاطفته واسترضائه.

الرابعة: قوله «**يسأله أن يستغفر له**» وفي الفضائل «فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ» زاد محمد بن المبارك «فتبعته إلى البقيع حتى خرج من داره».

قال الحافظ: «وللإسماعيلي عن الهسنجاني عن هشام بن عمار «وتحرز مني بداره» وفي حديث أبي أمامة «فاعتذر أبو بكر إلى عمر فلم يقبل منه».

قلت: والجمع بينهما أن أبا بكر سأل عمر كلا الأمرين يعني المسامحة

واستغفار الله له.

الخامسة: قوله «**فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ**» وفي الفضائل «إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته» **قلت:** وهذا الصنيع من أبي بكر دليل على شدة وقع تلك الحال على نفسه.

السادسة: قوله «**أما صاحبكم هذا**» **قلت:** وما أراه إلا يعني به أبا بكر لما رأى من صنيعه.

السابعة: قوله «**فقد غامر**» بالغين المعجمة أي خاصم، والمعنى دخل في غمرة الخصومة والمغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحربي وغيره، وقيل هو من الغمر بكسر المعجمة وهو الحقد أي صنع أمراً اقتضى له أن يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه.

الثامنة: قوله «**وندم عمر**» يقال ندم إذا حزن أو فعل شيئاً ثم كرهه وهذا دليل على سرعة رجوع عمر رضي الله عنه إلى الحق مع ما هو معروف عنه من الشدة.

التاسعة: قوله «**فأقبل حتى سلم**» يعني أبا بكر رضي الله عنه فسلم على النبي ﷺ ومن في المجلس، وسلّم بتشديد اللام.ووقع في رواية محمد بن المبارك عن صدقة بن خالد عند أبي نعيم في الحلية «حتى سلم على النبي ﷺ» ولم يقع في الحديث ذكر الرد وهو مما يحذف للعلم به.

العاشرة: قوله «**وجلس إلى النبي ﷺ**» فسره في الفضائل بقوله «إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء».

الحادية عشرة: قوله «**وغضب رسول الله ﷺ**» في الفضائل «وجعل وجه النبي ﷺ يتمعر» ويتمعر بالعين المهملة المشددة أي تذهب نضارته من الغضب وأصله من المعر وهو الجرب يقال أمعر المكان إذا أجرب.وفي حديث أبي أمامة عند أبي يعلى في نحو هذه القصة «فجلس عمر فأعرض عنه» أي النبي ﷺ «ثم

تحول فجلس إلى الجانب الآخر فأعرض عنه ثم قام فجلس بين يديه فأعرض عنه فقال يا رسول الله: ما أرى إعراضك إلا لشيء بلغك عني فما خير حياتي وأنت معرض عني فقال:أنت الذي اعتذر إليك أبو بكر فلم تقبل منه» ووقع في حديث ابن عمر عند الطبراني في نحو هذه القصة «يسألك أخوك أن تستغفر له فلا تفعل فقال: والذي بعثك بالحق ما من مرة يسألني إلا وأنا أستغفر له وما خلق الله من أحد أحب إلي منه بعدك فقال أبو بكر: وأنا والذي بعثك بالحق كذلك».

قلت: ولعل غضب رسول الله ﷺ الشديد لما عرفه من خطأ الفاروق على الصديق رضي الله عنهما.

الثانية عشرة: قوله «**والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم**» في الفضائل «والله أنا كنت أظلم» يعني أن ما حدث مني أشد مما كان من عمر.وهذا دليل على سلامة صدر الصديق ومحبته الصفح والمسامحة.

الثالثة عشرة: قوله «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي**» زاد في الفضائل «فما أوذي بعدها» **قلت:** وهذا دليل على أن الاستفهام ها هنا بمعنى الأمر أي اتركوا لي صاحبي ولا تعرضوا له بسوء.يدل له قوله في آخر الحديث في الفضائل «فما أوذي بعدها».

الرابعة عشرة: قوله «**إني قلت ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾...الخ**» الحديث.**قلت:** هذا هو وجه الشاهد من الحديث للترجمة وقد مضى شرحه في الآية.

الخامسة عشرة: قوله «**فقلتم كذبت وقال أبو بكر: صدقت**» زاد في الفضائل «وواساني بنفسه وماله».

من فقه الحديث:

أولاً: فضيلة أبي بكر رضي الله عنه ومكانته من النبي ﷺ.

ثانياً: أنه أول السابقين إلى الإسلام.

ثالثاً: أحقيته في الخلافة.

١٣٨- [باب ﴿وقولوا حطة﴾].

ش: يشير إلى قوله تعالى ﴿**وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين**﴾.

قال ابن جرير: «يقول: وقولوا هذه الفعلة حطة تحط ذنوبنا ﴿**نغفر لكم**﴾ يتغمد لكم ربكم ذنوبكم التي سلفت منكم، فيغفر لكم عنها فلا يؤاخذكم بها ﴿**سنزيد المحسنين**﴾ منكم، وهم المطيعون لله على ما وعدتكم من غفران الخطايا».

١٦٢- حدثنا إسحاق، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: قيل لبني إسرائيل ﴿ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم﴾ فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعره.

مضى شرحه في تفسير سورة البقرة ضمن الباب السابع.

١٣٩- [باب **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**].

ش: قوله **﴿خذ العفو﴾**.

قال الشوكاني: «أمر رسوله ﷺ بأن يأخذ العفو من أخلاقهم، يقال أخذت حقي عفوا، أي سهلاً، وهذا نوع من التيسير الذي كان يأمر به رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيح أنه كان يقول: «يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا» والمراد بالعفو هنا ضد الجهد، وقيل: المراد خذ العفو من صدقاتهم ولا تشدد عليهم فيها وتأخذ ما يشق عليهم وكان هذا قبل نزول فريضة الزكاة»اهـ.

قوله **﴿وأمر بالعرف﴾**.

قال ابن سعدي: «أي بكل قول حسن وفعل جميل وخلق كامل للقريب والبعيد، فاجعل ما يأتي إلى الناس منك إما تعليم علم، أو حثاً على خير من صلة رحم، أو بر والدين، أو إصلاح بين الناس، أو نصيحة نافعة، أو رأي مصيب، أو معاونة على بر وتقوى، أو زجر عن قبيح، أو إرشاد إلى تحصيل مصلحة دينية أو دنيوية»اهـ.

قوله **﴿وأعرض عن الجاهلين﴾**.

قال ابن جرير: «فإنه أمر من الله تعالى نبيه ﷺ أن يعرض عمن جهل، وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيه فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه باحتمال من ظلمهم أو اعتدى عليهم لا بالإعراض عمن جهل الواجب عليه من حق الله، ولا بالصفح عمن كفر بالله، وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب».اهـ

[**العرف: المعروف**].

ش: قاله أبو عبيدة.وأخرجه ابن جرير مسنداً عن عروة والسدي وقتادة.

وقال الحافظ: «وصله عبدالرزاق من طريق هشام بن عروة عن أبيه بهذا»

فائدة:

قال ابن القيم في المدارج (٢/٣٠٤-٣٠٦):

«ولا ريب أن للمطاع مع الناس ثلاثة أحوال:

أحدها: أمرهم ونهيهم بما فيه مصلحتهم.

الثاني: أخذه منهم ما يبذلونه مما عليهم من الطاعة.

الثالث: أن الناس معه قسمان، موافق له موال، ومعاد له معارض، وله في كل واحدة من هذه واجب؛ فواجبه في أمرهم ونهيهم: أن يأمر بالمعروف وهو المعروف الذي به صلاحهم وصلاح شأنهم، وينهاهم عن ضده وواجبه فيما يبذلونه من الطاعة أن يأخذ منهم ما سهل عليهم وطوعت له به أنفسهم سماحة واختياراً ولا يحملهم على العنت والمشقة فيفسدهم وواجبه عند جهل الجاهلين عليه، الإعراض عنهم وعدم مقابلتهم بالمثل والانتقام منهم لنفسه فقد قال ا لله تعالى لنبيه ﷺ **﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾**».

١٦٣ـ حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني عبيد ا لله بن عبد ا لله بن عتبة أن ابن عباس رضي ا لله عنهما قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه قال: سأستأذن لك عليه قال: ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة فأذن له عمر فلما دخل عليه قال: هيْ يا ابن الخطاب فوا لله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر: يا أمير المؤمنين إن ا لله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وإن هذا من الجاهلين، وا لله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه وكان وقافاً عند كتاب ا لله.

١٦٤ـ حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن عبد ا لله بن الزبير ﴿خذ العفو وأمر بالعرف﴾ قال: ما أنزل ا لله إلا في أخلاق الناس.

وقال عبد الله بن براد[1]: حدثنا أبو أسامة[2]، حدثنا هشام، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس أو كما قال.

ش: فيهما ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**عيينة بن حصن بن حذيفة**» هو أبو مالك عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري.قال ابن السكن: له صحبة وكان من المؤلفة ولم يصح له رواية.أسلم قبل الفتح وشهدها وشهد حنيناً والطائف.اهـ الإصابة (٥/٥٥).

الثانية: قوله «**الحر بن قيس**» هو الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري ذكره ابن السكن في الصحابة.اهـ الإصابة (٢/٥).

الثالثة: قوله «**وكان من النفر الذين يدنيهم عمر**» يعني يقربهم من مجلسه وشوراه.

الرابعة: قوله «**وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً**» فيه إرشاد الحاكم إلى اتخاذ الشورى من أهل الفضل والعلم والصلاح فإنهم أنصح الناس وأصوبهم رأياً.

فائدة:

قال مقيده: واعلم هديت إلى مراشد أمورك وصواب الأقوال والأعمال، أن الدخول على ذوي السلطان له أقسام عدة، وممن ذكرها الإمام المجتهد العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني في كتابه النفيس (العواصم والقواصم في الذب

---

(١) هو أبو عامر عبد الله بن براد بن يوسف بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، صدوق من العاشرة.خت.م.

(٢) هو حماد بن أسامة القرشي مولاهم الكوفي، مشهور بكنيته ثقة ثبت ربما دلس وكان بأخرة يحدث من كتب غيره، من كبار التاسعة.ع.

عن سنة أبي القاسم) ونحن ننقل لك تلك الأقسام من هذا الكتاب مع اختصار وتصرف، ولك أن تراجع بعد إن شئت المصدر (٨/ ١٩٠-٢١٣):

«**القسم الأول**: المخالطة لمجرد التناول مما في أيديهم من بيوت الأموال، وحقوق المسلمين، فهذا نقص من مرتبة الزهادة وشين في أهل العلم والعبادة، ولكنه لا ينحط إلى مرتبة التحريم، فإن حب الدنيا، وإن كان مذموماً على الإطلاق، لكنه يختلف، فمنه حرام، ومنه حلال، فالحرام منه هو حب الحرام من الدنيا، والإضراب عن الدين، وأهل هذا، هم الذين ذمهم الله تعالى في القرآن، وحيث يرد الذم على حب الدنيا مطلقاً أو عاماً، فالمراد به هذا الجنس بدليل قوله تعالى ﴿**فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق، ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب**﴾.

وقد يرتقي حب الدنيا إلى مرتبة الندب والاستحباب مع حسن النية في قصد العفاف بالعفاف عن الحرام، وكفاية الأهل وصلة الأرحام والإخوان، وإعانة الضعيف وإطعام الطعام.

والذي يدل على أن المباح قد يصير مندوباً بالنية، وبإعانته على ترك الحرام أحاديث (إنما الأعمال بالنيات)...

وثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول في دعائه: (اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى) ولو كان الغنى نقصاً في الدين وحبه رذيلة لا يليق بالمؤمنين، لم يسأله رسول الله ﷺ ولا امتن الله عليه به في قوله ﴿**ووجدك عائلاً فأغنى**﴾...

القسم الثاني: المخالطة للمصالح المتعلقة بالعامة من الشفاعة للفقراء، والتبليغ بالمظلومين أو نحو ذلك، أو المصالح الخاصة بالملوك من وعظهم أو تذكيرهم وتعريفهم بما يجب للمسلمين وتعليمهم معالم الدين، وسواء كان ذلك

على جهة التصريح أو التلويح مع حسن النية، وهذا القسم يكون مستحباً غير مكروه، وسواء كان الغرض الحاصل من ذلك تركهم للباطل كله، أو تركهم لبعضه، وتخفيفهم منه، إلا أن يكون في الزمان إمام حق يدعو إلى حرب الظلمة، فإن المصير إليه هو الواجب، وإنما **قلت**: إن هذا يكون مستحباً لما ورد في ذلك من الآثار الصحيحة مثل قوله عليه السلام: (الدين النصيحة) قالوا: لمن يارسول الله ؟ قال: لله ولكتابه ورسوله، ولعامة المسلمين وأئمتهم. فالسلاطين من جملة عامة المسلمين ـ أعني أهل الملة ـ ولأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يخالطون الكفار لمثل ذلك، ولأن الحسن عليه السلام كان يخالط معاوية، ويدخل عليه ويكاتبه لمثل ذلك.

قال عبيد: واعلم أن النصيحة للإمام يجب أن تكون سراً كما بوب ابن أبي عاصم (٥٢١/٢)، باب كيف نصيحة الرعية للولاة، وروى عن عياض بن غنم أنه قال لهشام بن حكيم ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه) وصححه الشيخ ناصر حفظه الله بمجموع طرقه.

قال الشيخ: **القسم الثالث**: المخالطة للتقيَّة، وهي جائزة، لنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ وسواء أظهر المخالط أنه خالط لاجل التقية، أو لم يظهر ذلك، فإن الأكثرين لا يتمكنون من إظهاره، بل التقية تقتضي كتم ذلك.

قال عبيد: وإذا استعرضت الآية تامة ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شئ إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير**﴾ ظهر لك أن الآية في الكفار ـ فلعل الشيخ رحمه الله عنى بهذا القسم الحكام الكفرة ـ الذين لا يندفع شرهم إلا بمخالطة ذوي الفضل والقدر والإمامة من أهل الإسلام لهم.

القسم الرابع: المخالطة لأجل الجهاد والغزو معهم للكفار، ممن يستجيز ذلك. وقد فعل ذلك غير واحد من الصحابة والتابعين وغيرهم من خيار المسلمين، بل قد قام الجلة والفضلاء مع المختار الكذاب الذي ادعى النبوة، وكذب على الله ورسوله لما قام بثأر الحسين عليه السلام.

القسم الخامس: المخالطة لأجل القرابة والرحامة، وهذا أيضاً جائز وقد رخص الله تعالى للمسلمين في صلة المشركين على العموم إذا لم يجاهروهم بالحرب والإخراج من الديار وفي (الكشاف) أن قوله تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**﴾ الآية، نزلت في قتيلة بنت عبدالعزى أم أسماء بنت أبي بكر، قدمت وهي مشركة إلى بنتها، فلم تقبل هداياها، فنزلت الآية، وفي صحيح البخاري معنى هذا ولفظه.

وأصرح من هذا قوله تعالى ﴿**وإن جاهداك علىأن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا**﴾.

وقد كان رسول الله ﷺ معروفاً بين أرحامه من الكفار والمسلمين».

قال عبيد: واعلم أن المخالطة مجردة ليست موالاة والدليل على ذلك أن الموالاة هي الموادة والمحبة لا المخالطة.

الخامسة: قوله «**لك وجه عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه**» يعني جاهاً ومكانة، والقائل هو عيينة بن حصن، وفيه إرشاد للإستعانة في الوصول إلى الحاكم بذوي المكانة عنده وأقربهم إليه وأن ذلك هو أفضل الطرق.

السادسة: قوله «**هيْ يا ابن الخطاب**» بكسر الهاء وسكون الياء كلمة تهديد، وقيل: هي ضمير وهناك محذوف، أي هي داهية.قاله القسطلاني.

السابعة: قوله «**فما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل**» الجزل: بفتح الجيم وسكون الزاي المعجمة بعدها لام، العطاء الكثير، والمعنى أن عيينة سامحه الله وصف الخليفة بالبخل في العطاء والظلم في الحكم.

الثامنة: قوله «**فغضب عمر حتى هم به**» يعني هم أن يوقع به عقوبة ويبطش به، جزاء مقولته النابية.

التاسعة: قوله «**يا أمير المؤمنين - إلى قوله ـ وأن هذا من الجاهلين**» فيه التلطف بالحاكم، ووعظه وتذكيره عند ثوران غضبه.

العاشرة: قوله «**وا لله ما جاوزها عمر حين تلاها**» فيه دليل على سرعة قبول الفاروق رضي ا لله عنه الموعظة.

وهذا ثناء من ابن عباس على أمير المؤمنين رضي ا لله عنه واعتراف له بالفضل وجلالة القدر والوقوف عند حدود ا لله وفي هذا رد على الرافضة الذين ينتقصون عمر ويبالغون في جفائه حتى يصلوا إلى سبه وشتمه وتكفيره.

الحادية عشرة: قوله «**ما أنزل ا لله**» يعني هذه الآية.

الثانية عشرة: قوله «**إلا في أخلاق الناس**» **قلت:** وأخرجه ابن جرير من طريق حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم عن مجاهد في قوله ﴿**خذ العفو**﴾ قال من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحسس.

الثالثة عشرة: قوله «**أمر ا لله نبيه أن يأخذ العفو...**» قد اختلف عن هشام في هذا الحديث فوصله من ذكرنا عنه وتابعهم عبدة بن سليمان عن هشام بن عروة عن أبيه من قوله موقوفاً. وقال أبو معاوية عن هشام عن وهب بن كيسان عن ابن الزبير أخرجه سعيد بن منصور عنه وقال عبيد ا لله بن عمر عن هشام عن أبيه عن ابن عمر. أخرجه البزار والطبراني وهي شاذة.وكذا رواية حماد بن سلمة عن هشام عن أبيه عن عائشة عند ابن مردويه، وأما رواية أبي معاوية فشاذة أيضاً مع احتمال أن يكون لهشام فيه شيخان.وأما رواية معمر ومن تابعه فمرجوحة بأن زيادة من خالفهما مقبولة لكونهم حفاظاً.قاله الحافظ.

آخر تفسير سورة الأعراف و لله الحمد والمنة.

سورة الأنفال

[تفسير سورة الأنفال].

ش: وشاهد التسمية: **﴿يسئلونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول﴾** الآية.

وأخرج النحاس في ناسخه وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال نزلت بالمدينة، وهي مدنية وآياتها سبعون وست آيات وكلماتها ألف كلمة وستمائة كلمة واحدى وثلاثون كلمة. وحروفها خمسة آلاف ومئتان وأربعة وتسعون حرفاً. حكاه ابن كثير في أول تفسير السورة.

١٤٠- [باب قوله ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾].

ش: تمامها: ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾.

قوله ﴿**يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول**﴾.

قال الشوكاني: «الأنفال جمع نفل محركاً، وهو الغنيمة، ومنه قول عنترة:

إنا إذا احمر الوغى نروي القنا ونعف عند مقاسم الأنفال

أي الغنائم، وأصل النفل الزيادة، وسميت الغنيمة به؛ لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محرماً على غيرهم؛ ولأنها زيادة على ما يحصل للمجاهد من أجر الجهاد - إلى أن قال - وكان سبب نزول الآية: اختلاف الصحابة رضي الله عنهم يوم بدر فنزع الله ما غنموه من أيديهم وجعله لله والرسول فقال ﴿**قل الأنفال لله والرسول**﴾ أي حكمها مختص بهما يقسمها بينكم رسول الله عن أمر الله سبحانه وليس لكم حكم في ذلك»اهـ.

قوله ﴿**فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: فخافوا الله أيها القوم، واتقوه بطاعته واجتناب معاصيه وأصلحوا الحال بينكم.

قوله ﴿**وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين**﴾ يأمر جل ثناؤه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ وهذا عام في فعل جميع الأوامر، وأعظمها التوحيد وترك جميع النواهي وأعظمها الشرك، ثم جعل طاعته وطاعة رسوله مع ما تقدم من امتثال الأمر بتقواه وإصلاح ذات البين شرطاً في حصول الإيمان.إن كنتم مؤمنين»اهـ.

شرح جملة من الآثار:

١- [**قال ابن عباس: الأنفال المغانم**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الغنائم.

قلت: وهذا بمعنى ما ذكره المصنف، وبه قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن زيد وعطاء.

وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها في الآية.

وثانيها: السرايا وبه قال علي بن صالح بن حي.

وثالثها: أنها ما شذ من المشركين إلى المسلمين من عبد أو دابة وما أشبه ذلك وهو قول ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية عنهما.

ورابعها: أنها الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه.

٢- [**قال قتادة: ﴿ريحكم﴾ الحرب**].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن عبد الأعلى عن محمد بن ثور عن معمر عن قتادة بلفظ **﴿وتذهب ريحكم﴾** قال: ريح الحرب. وكذا أخرجه عنه ابن جرير من وجه آخر.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾**.

٣- [**يقال نافلة عطية**].

ش: قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى **﴿ومن الليل فتهجد به نافلة لك﴾** أي نفلاً وغنيمة لك. انتهى.

وقال العيني: وإنما ذكر هذا استطراداً؛ لأن في معنى الأنفال التي هي المغانم معنى العطية.

قال الجوهري: «النفل والنافلة عطية التطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة

الصلاة».انتهى من عمدة القاري (٥/٧١).

١٦٥ـ حدثني محمد بن عبد الرحيم[١]، حدثنا سعيد بن سليمان[٢]، أخبرنا هشيم، أخبرنا أبو بشر[٣]، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنهما: سورة الأنفال قال: نزلت في بدر.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**قلت لابن عباس سورة الأنفال**» يعني فيمن نزلت، والحامل لابن جبير على هذا السؤال ما تضمنته السورة من اختصاص الله ورسوله لقسمة الغنائم.

الثانية: قوله «**نزلت في بدر**» يعني في أهل بدر، وهذا هو قول عبادة بن الصامت وعكرمة. فقد روى ابن جرير (٩/١٧٣) وأحمد (٥/٣٢٢) عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: فينا معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل، وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ وقسمه رسول الله ﷺ بين المسلمين عن سواء. يقول على سواء.فكان في ذلك تقوى الله وطاعة رسوله ﷺ وصلاح ذات البين.

وسيأتي بلفظ أتم في تفسير سورة الحشر ضمن الباب الحادي والستين بعد الثلاثمائة.

---

(١) هو أبو يحيى محمد بن عبد الرحيم بن أبي زهير البغدادي البزار المعروف بصاعقة، ثقة حافظ، من الحادية عشرة، مات سنة خمس وخمسين [ومائتين] وله سبعون سنة. خ.د.ت.س.

(٢) هو أبو عثمان الضبي الواسطي، نزيل بغداد، البزار لقبه سعدويه، ثقة حافظ من كبار العاشرة، مات سنة خمس وعشرين [ومائتين].ع.

(٣) هو جعفر بن إياس بن أبي وحشية، ثقة من أثبت الناس في ابن جبير، وضعفه شعبة في حبيب بن سالم ومجاهد، من الخامسة، مات سنة خمس [ومائة] وقيل سنة عشرين ومائة. ع.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿الشوكة﴾ الحد].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال: ما أشد شوكة بني فلان أي حدهم.

والآية المشار إليها: **﴿وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين﴾.**

٢- [﴿مردفين﴾ فوجاً بعد فوج، ردفني وأردفني جاء بعدي].

ش: «قرأ نافع بفتح الراء، وقرأ الباقون بالكسر، وحجة من فتح أنه بناه على مالم يسم فاعله؛ لأن الناس الذين قاتلوا يوم بدر أردفوا بألف من الملائكة، أي أنزلوا إليهم لمعونتهم على الكفار، فمردفين بفتح الدال نعت لـ"ألف" من الملائكة. وحجة من كسر الدال أنه بناه على ما سمي فاعله فجعله صفة لـ"ألف" أي بألف من الملائكة جائين بعد استغاثتكم ربكم، وقيل: إن معناه بألف من الملائكة مردفين غيرهم خلفهم لنصركم، فالمفعول محذوف، وحكى أبو عبيدة إن ردفني وأردفني واحد، وكسر الدال أحب إليّ؛ لأنه قد يكون بمعنى الفتح؛ ولأن عليه أكثر القراء». انتهى من الكشف عن أوجه القراءات السبع (١/٤٨٩).

والآية المشار إليها: **﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾.**

٣- [﴿ذوقوا﴾ باشروا وجربوا، وليس هذا من ذوق الفم].

ش: هو تفسير أبي عبيدة باستثناء "باشروا".

قلت: وقد ذكره في تفسير الآية الخامسة والثلاثين من هذه السورة **﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾** ولا أدري هل المصنف يشير إلى هذه الآية أم إلى قوله تعالى **﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا**

عذاب الحريق﴾.

٤- [**﴿فيركمه﴾ : يجمعه**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: بعضه فوق بعض أجمع.

والآية المشار إليها قوله: **﴿ليميز ا لله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً﴾** الآية.

٥- [**﴿وإن جنحوا﴾ طلبوا**].

ش: قال أبو عبيدة: أي رجعوا إلى المسالمة وطلبوا الصلح.

٦- [**السِّلم والسَّلم والسلام واحد**].

ش: قال أبو عبيدة: «السِلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحروف بالفتحة واحد.قال رجل من أهل اليمن جاهلي:

أنائل إنني سلم لأهلك فأقبلي سلمى.

فيها ثلاث لغات، وكذلك السلام أيضاً».

قلت: والآية المشار إليها بالكلمتين: **﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على ا لله إنه هو السميع العليم﴾.**

٧- [**﴿يثخن﴾ يغلب**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويغالب ويبالغ».

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض﴾.**

٨- [**وقال مجاهد ﴿مكاء﴾ إدخال أصابعهم في أفواههم، وتصدية الصفير**].

ش: وصله عبد بن حميد والفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد.قاله الحافظ.

قلت: وأخرجه ابن جرير من طريق ابن أبي عاصم عن عيسى عن ابن أي

نجيح عن مجاهد ﴿**إلا مكاء وتصدية**﴾ قال: المكاء: إدخال أصابعهم في أفواههم والتصدية: التصفيق يخلطون بذلك على محمد ﷺ عليه صلاته.

وأخرجه أيضاً عن ابن عباس وابن عمر وعطية العوفي وأبي سلمة بن عبد الرحمن وغيرهم من أهل التفسير.

وقال أبو عبيدة: «المكاء: الصفير، قال رجل يعني امرأته:

ومكا بها فكأنما يمكو بأعصم عاقل

وتصدية: أي تصفيق بالأكف قال: تصدية بالكف أي تصفيق، التصفيق والتصفيح والتصدية شيء واحد»اهـ.

والآية المشار إليها هي قوله: ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية**﴾.

٩- [﴿ ليثبتوك ﴾ : ليحبسوك]

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عنه ، وروى أحمد والطبراني من حديث ابن عباس قال : (تشاورت قريش ، فقال بعضهم : إذا أصبح محمد فأثبتوه بالوثاق). حكاه الحافظ

وأخرج ابن جرير عن ابن جريج قال : سألت عطاء ،عن قوله ﴿ ليثبتوك﴾ قال : يسجنوك وقالها عبد ا لله ابن كثير ، وبه قال ابن زيد .

وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الآية :

وثانيها : ليقيّدوك ، وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقسم والسدي .

وثالثها : ليسحروك ، وأخرج فيه حديثاً مرفوعاً من طريق عبيد ابن عمير ابن المطلب بن أبي وداعة ، أن أبا طالب ، قال لرسول ا للهﷺ : ما يأتمر به قومك؟ قال : (يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني ...) الحديث.

قلت : ولكنه مرسلٌ وفيه نكارة ، وغرابةوالصواب عندي ما قاله ابن عباس ومن وافقه .

والآية المشار إليها: ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أويقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر ا لله وا لله خير الماكرين** ﴾

١٤١- [باب ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾].

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: إن شر الدواب على الأرض من خلق الله عند الله الذين يصغون عن الحق لئلا يستمعوه فيعتبروا به، ويتعظوا به وينكصون عنه إن نطقوا به، الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه فيستعملوا بها أبدانهم.

١٦٦- حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ قال: هم نفر من بني عبد الدار.

ش: رواه ابن جرير من طريق شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال ابن عباس فذكره وزاد: لا يتبعون الحق.

ورواه أيضاً من طريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿**الصم البكم الذين لا يعقلون**﴾ قال: لا يتبعون الحق.

قال ابن عباس: هم نفر من بني عبد الدار.

قلت: وسواءً كانت الآية نزلت في أولئك النفر أو كانت في المنافقين فإنه لا عبرة بخصوص نزولها بل العبرة بعموم لفظها وما أحسن ما قاله ابن كثير بعد حكايته القولين جميعاً: «**قلت:** ولا منافاة بين المشركين والمنافقين في هذا؛ لأن كلاً منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح»اهـ.

١٤٢- [باب **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون﴾**].

ش: قوله **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾**.

قال ابن سعدي: «يأمر تعالى عباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان منهم وهو الاستجابة لله وللرسول أي الانقياد لما أمرا به، والمبادرة إلى ذلك، والدعوة إليه، والاجتناب لما نهيا عنه والانكفاف عنه والنهي عنه وقوله **﴿إذا دعاكم لما يحييكم﴾** وصف ملازم لكل ما دعا الله ورسوله إليه، وبيان لفائدته وحكمته، فإن حياة القلب والروح بعبودية الله تعالى، ولزوم طاعته وطاعة رسوله على الدوام»اهـ.

قوله **﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾** قيل معناه بادروا إلى الاستجابة قبل أن لا تتمكنوا منها بزوال القلوب التي تعقلون بها بالموت الذي كتبه الله عليكم، وقيل معناه: أنه خاف المسلمون يوم بدر كثرة العدو، فأعلمهم الله أنه يحول بين المرء وقلبه بأن يبدلهم بعد الخوف أمناً ويبدل عدوهم من الأمن خوفاً وقيل هو من باب التمثيل لقربه سبحانه من العبد كقوله: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** ومعناه أنه مطلع على ضمائر القلوب لا تخفى عليه منها خافية.قاله الشوكاني.

وقال ابن جرير بعد حكايته الأقوال المختلفة في معناها: «وأولى الأقوال بالصواب عندي في ذلك أن يقال: إن ذلك خبر من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء، حتى لا يقدر ذو قلب أن يدرك به شيئاً من إيمان أو كفر، أو أن يعي به شيئاً أو أن يفهم إلا بإذنه ومشيئته».انتهى محل الغرض.

قلت: والأدلة على صحة هذا الاختيار من السنة كثير منها: ما رواه مسلم

في صحيحه عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك». ومنها ما رواه أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: دعوات كان رسول الله ﷺ يدعو بها «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك».

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [﴿استجيبوا﴾ أجيبوا].

ش: تقدم في تفسير آل عمران ضمن الباب السبعين.

٢ - [﴿لما يحييكم﴾ يصلحكم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: للذي يهديكم وينجيكم من الكفر والعذاب.

١٦٧ـ حدثنا إسحاق، أخبرنا نوح، حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبد الرحمن سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال: كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آته حتى صليت، ثم أتيته فقال: ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم﴾ ثم قال: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج. فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له، وقال معاذ[1] حدثنا شعبة عن خبيب سمع حفصاً سمع أبا سعيد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال: هي ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ السبع المثاني.

ش: الشاهد منه قوله **﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾** وقول البخاري: وقال معاذ قد وصله الحسن بن سفيان في مسنده عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه وفائدة إيراده ما وقع فيه من تصريح حفص بسماعه من أبي سعيد بن المعلى. انتهى من الفتح (٨/٣٠٨).

وقد مضى الحديث مع شرحه في الباب الأول.

---

(١) هو أبو المثنى معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، القاضي، ثقة متقن، من كبار التاسعة، مات سنة ست وتسعين [ومائة]. ع.

١٤٣- [باب **﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾**].

ش: قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد أيضاً ما حل بمن قال **﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾** إذ مكرت لهم، فأتيتهم بعذاب أليم وكان ذلك العذاب قتلهم بالسيف يوم بدر» اهـ.

[قال ابن عيينة: ما سمى الله تعالى مطراً في القرآن إلا عذاباً وتسميه العرب الغيث وهو قوله تعالى ﴿ينزل الغيث من بعد ما قنطوا﴾ الشورى].

ش: قال الحافظ في التغليق: «أخبرنا علي بن محمد مشافهة عن سليمان بن حمزة أن محمد بن عبد الواحد أنا زاهر بن أبي طاهر أنا الحسين بن عبد الملك، أنا عبد الرحمن بن الحسن، أنا أحمد بن إبراهيم، أنا أبو جعفر الديبلي، ثنا سعيد بن عبد الرحمن، ثنا سفيان هو ابن عيينة قال: ويقول ناس: ما سمى الله المطر في القرآن إلا عذاباً، ولكن سمته العرب الغيث. يريد قول الله تعالى **﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾**.

ثم تعقب ابن عيينة فقال: وقد تعقب ابن عيينة بورود المطر بمعنى الغيث في القرآن في قوله تعالى **﴿إن كان بكم أذى من مطر﴾** فالمراد به هنا الغيث قطعاً. ومعنى التأذي به البلل الحاصل منه للثوب وغير ذلك». اهـ

وقال أبو عبيدة عند قوله **﴿فأمطر علينا حجارة من السماء﴾** «مجازه أن كل شيء من العذاب فهو أمطرت بالألف وإن كان من الرحمة فهو مطرت». اهـ

١٦٨ـ حدثني أحمد(١)، حدثنا عبيد ا لله بن معاذ(٢)، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد ـ هو ابن كرديد صاحب الزيادي(٣) ـ سمع أنس بن مالك رضي ا لله عنه: قال أبو جهل:اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان ا لله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان ا لله معذبهم وهم يستغفرون، وما لهم أن لا يعذبهم ا لله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: يأتي في الباب الذي يليه.

(١) هو أبو الفضل أحمد بن النظر بن عبد الوهاب النيسابوري، ثقة حافظ من الحادية عشرة.خ.

(٢) هو أبو عمرو عبيد ا لله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان العنبري البصري، ثقة حافظ، رجح ابن معين أخاه المثنى عليه، من العاشرة، مات سنة سبع وثلاثين [ومائتين].خ.م.د.س.

(٣) هو عبد الحميد بن دينار صاحب الزيادي، ثقة من الرابعة.خ.م.د.س.

١٤٤- [باب **﴿وما كان ا لله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان ا لله معذبهم وهم يستغفرون﴾**].

ش: اختلف أهل التفسير في هذه الآية على سبعة أقوال:

أحدها: أنها أنزلت على النبي ﷺ وهو مقيم بمكة ثم خرج ﷺ من بين أظهرهم فاستغفر من بها من المسلمين.وهذا قول ابن عباس وابن أبزى والضحاك وابن زيد.

وثانيها: وهو قول أبي موسى وابن إسحاق وأبي العلاء وابن عباس في الرواية الثانية قالوا: وما كان ا لله ليعذب هؤلاء المشركين من قريش بمكة وأنت فيهم يا محمد، حتى أخرجك من بينهم **﴿وما كان ا لله معذبهم﴾** وهؤلاء المشركين يقولون: يا رب غفرانك وما أشبه ذلك من معاني الاستغفار بالقول.

وثالثها: معنى ذلك: وما كان ا لله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد، وما كان ا لله معذب المشركين وهم يستغفرون، أن لو استغفروا قالوا: ولم يكونوا يستغفرون.وهو قول قتادة والسدي وابن زيد في الرواية الثانية.

ورابعها: قالوا: استغفارهم كان في هذا الموضع اسلامهم وبه قال عكرمة ومجاهد.

وخامسها: قالوا: بل معنى ذلك: وفيهم من قد سبق له من ا لله الدخول في الإسلام وبه قال ابن عباس في الرواية الثالثة.

وسادسها: وما كان ا لله معذبهم وهم يصلون.وبه قال الضحاك ومجاهد في الرواية الثانية وابن عباس في الرواية الرابعة.

وسابعها: قالوا: وما كان ا لله ليعذب المشركين وهم يستغفرون قالوا: ثم نسخ ذلك بقوله **﴿وما لهم ألا يعذبهم ا لله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾**.وقال به الحسن وعكرمة في الرواية الثانية.

أخرجها جميعها ابن جرير ثم قال: «وأولى هذه الأقوال عندي في ذلك

بالصواب هو قول من قال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم يا محمد وبين أظهرهم مقيم حتى أخرجك من بين أظهرهم لأني لا أهلك قرية وفيها نبيها، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون من ذنوبهم وكفرهم، ولكنهم لا يستغفرون من ذلك بل هم مصرون عليه، فهم للعذاب مستحقون، كما يقال: ما كنت لأحسن إليك وأنت تسيء إليّ يراد بذلك لا أحسن إليك إذا أسأت إليّ، ولو أسأت إليّ لم أحسن إليك، ولكن أحسن إليك لأنك لا تسيء إليّ، وكذلك ذلك»اهـ.

١٦٩ـ حدثنا محمد بن النضر[1]، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن عبد الحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم. فنزلت ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام﴾ الآية.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**قال أبو جهل ـ إلى قوله ـ عذاب أليم**» فيه التصريح بأن هذه المقولة الخبيثة كانت من أبي جهل.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء والسدي أن قائل ذلك هو النظر بن الحارث.وقال قتادة: قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها.

قلت: ولا منافاة بين هذين القولين وما في الصحيح إذ لا مانع أن تكون هذه المقولة جاءت عن أكثر من واحد من المشركين ومن بينهم أبو جهل وهو عمرو بن هشام المخزومي رأس في كفار قريش والنظر بن الحارث.

(١) هو محمد بن النضر بن عبد الوهاب أخو أحمد، مقبول من الثانية عشرة.خ.

الثانية: قولـه ﴿**وما هم أن لا يعذبهم ا لله وهم يصدون عن المسجد الحرام**﴾ تمامها: ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون**﴾.

قال ابن كثير: «أي وكيف لا يعذبهم ا لله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهله عن الصلاة فيه والطواف به، ولهذا قال ﴿**وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون**﴾ أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام، وإنما أهله النبي ﷺ وأصحابه كما قال تعالى ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد ا لله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون، إنما يعمر مساجد ا لله من آمن با لله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا ا لله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين**﴾.وقال تعالى ﴿**وصد عن سبيل ا لله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند ا لله**﴾ الآية».انتهى محل الغرض.

١٤٥- [باب ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: وإن يعد هؤلاء لحربك فقد رأيتم سنتي فيمن قاتلكم منهم يوم بدر، وأنا عائد بمثلها فيمن حاربكم منهم، فقاتلوهم حتى لا يكون شرك، ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض وهو الفتنة، ويكون الدين كله لله، يقول: حتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره - إلى أن قال - وأما قوله ﴿فإن انتهوا﴾ فإن معناه: فإن انتهوا عن الفتنة وهي الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم ﴿فإن الله بما يعملون بصير﴾ يقول: فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر والدخول في دين الإسلام؛ لأنه يبصرهم ويبصر أعمالهم، والأشياء كلها متجلية له، لا يغيب عنه ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين»اهـ.

١٧٠- حدثنا الحسن بن عبد العزيز[١]، حدثنا عبد الله بن يحيى[٢]، حدثنا حيوة، عن بكر بن عمرو، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً جاءه فقال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ إلى آخر الآية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي أغترّ بهذه الآية ولا أقاتل أحبُّ إليّ من أن أغتر بهذه الآية التي يقول الله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً﴾ إلى آخرها.قال: فإن الله يقول ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ قال ابن عمر: قد

---

(١) هو أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن الوزير الجروي المصري، نزيل بغداد، ثقة ثبت عابد فاضل، من الحادية عشرة، مات سنة سبع وخمسين [ومائتين].خ.

(٢) هو عبد الله بن يحيى البُرُلُّسي، لا بأس به من كبار العاشرة.خ.د.

فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، فلما راى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟ أما عثمان فكان الله قد عفا عنه، فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليّ: فابن عم رسول الله ﷺ وختنه ـ وأشار بيده ـ وهذه ابنته أو بنته حيث ترون.

١٧١ـ حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا بيان[1]، أن وبرة حدثه قال: حدثني سعيد بن جبير قال: خرج علينا ـ أو إلينا ـ ابن عمر فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة، فقال: وهل تدري ما الفتنة؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة، وليس كقتالكم على الملك.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**أعيّر**» بمهملة وتحتانية ثقيلة للكشميهني في الموضعين، ولغيره بفتح الهمزة وسكون الغين المعجمة وتخفيف المثناة الفوقانية وتشديد الراء فيهما، والحاصل أن السائل كان يرى قتال من خالف الإمام الذي يعتقد طاعته وكان ابن عمر يرى ترك القتال فيما يتعلق بالملك.قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه**» كذا للأكثر فزعم بعض الشراح بأنه غلط وأن الصواب بإثبات النون فيهما؛ لأن "إما" التي تجزم هي الشرطية وليست هنا شرطية. **قلت:** وهي رواية أبي ذر، ووجهت رواية الأكثر بأن النون قد تحذف بغير ناصب ولا جازم في لغة شهيرة، وتقدم في تفسير البقرة ضمن الباب الثاني والثلاثين بلفظ: «إما تعذبوه وإما تقتلوه».

الثالثة: قوله «**فما قولك في عليّ وعثمان**» هذا يؤيد أن السائل كان من

---

(١) هو بيان بن بشر الأحمسي أبو بشر الكوفي، ثقة ثبت من الخامسة.ع.

الخوارج، فإنهم كانوا يتولون الشيخين ويحطون عثمان وعليًا، فرد عليه ابن عمر بذكر مناقبهما ومنزلتهما من النبي ﷺ والاعتذار عما عابوا به عثمان من الفرار يوم أحد فإنه تعالى صرح في القرآن بأنه عفا عنهم.وقد جاء في مناقب عثمان سؤال السائل لابن عمر «هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد قال: نعم فقال: تعلم أنه تغيب عن بدر و لم يشهدها.قال: نعم.قال: تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان فلم يشهدها.قال: نعم.قال: ا لله أكبر.فقال ابن عمر: تعال أبين لك أما فراره يوم أحد فاشهد أن ا لله عفا عنه، وغفر له، وأما تغيبه عن بدر فإنه كانت تحته بنت رسول ا لله ﷺ وكانت مريضة فقال رسول ا لله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدراً وسهمه.وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث رسول ا لله ﷺ عثمان وكانت بيعة الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة فقال رسول ا لله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان. فضرب بها على يده، فقال: هذه لعثمان فقال له ابن عمر: اذهب بها الآن معك.

الرابعة: قوله «**فكرهتم أن تعفو عنه**» بالمثناة الفوقانية وبصيغة الجمع، ومضى في تفسير البقرة بلفظ: «أن يعفو» بالتحتانية أوله والإفراد أي ا لله.

الخامسة: قوله «**وهذه ابنته أو بنته**» كذا للأكثر بالشك ووافقهم الكشميهني لكن قال: «أو أبيته» بصيغة جمع القلة في البيت وهو شاذ، وقد جاء في مناقب عليّ من رواية سعد بن عبيدة: «فقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبي ﷺ» وفي رواية النسائي «ولكن انظر إلى منزلته من نبي ا لله ﷺ ليس في المسجد غير بيته» وهذا يدل أنه تصحف على بعض الرواة بيته ببنته فقرأها بنته بموحدة ثم نون ثم طرأ له الشك فقال «بنته أو بيته» والمعتمد أنه البيت فقط.

السادسة: قوله «**فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة**» وقع في رواية البيهقي من وجه آخر عن زهير بن معاوية، والحديث المذكور مختصر من الذي قبله، أو هما واقعتان.قاله الحافظ.

قال مقيده: ويناسب ها هنا ذكر ثلاث فوائد في ذكر الخوارج.

الفائدة الأولى:

في حد الخوارج:

قال الشهرستاني: «كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كل زمان»

قلت: وهذا هو أجود التعريفات وظاهر النصوص يؤيده كما سيتضح لك.

الفائدة الثانية:

ما جاء في ذم هذه الفرقة والتحذير منها بل وفي قتالها تقرباً إلى الله أكثر من أن يحصى وإليك بعض ذلك.

أولاً: فعن أبي سعيد قال: «بعث عليّ رضي الله عنه وهو باليمن إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها، فقسمها بين أربعة: الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم أحد بني مجاشع، وبين عيينة بن بدر الفزاري، وبين علقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، وبين زيد الخيل الطائي، ثم أحد بني نبهان، فتغضبت قريش والأنصار، فقالوا: يعطيه صناديد أهل نجد ويدعنا؟ قال رسول الله ﷺ: إنما أتألفهم، فأقبل رجل غائر العينين، ناتيء الجبين كث اللحية، مشرف الوجنتين، محلوق الرأس، فقال: يا محمد اتق الله فقال: فمن يطع الله إذا عصيته؟ أفيأمنني على أهل الأرض، ولا تأمنوني؟ فسأل رجل من القوم قتله ـ أراه خالد بن الوليد ـ فمنعه، فلما ولّى قال: إن من ضئضيء هذا قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد. أخرجه البخاري ومسلم.

ثانياً: ما رواه مسلم وأبو داود عن زيد بن وهب الجهني رضي الله عنه أنه كان في الجيش الذين كانوا مع عليّ، الذين ساروا إلى الخوارج، فقال عليّ: أيها

الناس إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج قوم من أمتي، يقرؤون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قضي لهم على لسان نبيهم ﷺ لنكلوا عن العمل.

ثالثاً: عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن بعدي من أمتي - أو سيكون بعدي من أمتي - قوم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة.

قال ابن الصامت: فلقيت رافع بن عمرو الغفاري [أخا الحكم الغفاري **قلت**: ما حديث سمعته من أبي ذر كذا وكذا؟] فذكرت له هذا الحديث فقال: وأنا سمعته من رسول الله ﷺ.أخرجه مسلم.

رابعاً: وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ينشأ نشءٌ يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم.كلما خرج قرن قطع.قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: كلما خرج قرن قطع.أكثر من عشرين مرة.حتى يخرج في عرضهم الدجال.في الزوائد إسناده صحيح.وقد احتج البخاري بجميع رواته.

قال مقيده: ومن نظر في هذه الأحاديث وما في معناها مما جاء في ذكر هذه الفرقة الضالة المتولية غير سبيل المؤمنين ظهر له جلياً أمورٌ كثيرة تدل على خبث القوم وانحراف منهجهم وفساد مقصدهم، ومن تلك الأمور:

أولاً: قراءتهم للقرآن من غير فقه وسبب ذلك فصلهم إياه عن السنة وسيرة السلف الصالح من الصحابة وأئمة التابعين ومن بعدهم من أئمة السنة والجماعة، كالأئمة الأربعة، والأوزاعي، والسفيانين، والحمادين.

ثانياً: خفرهم ذمة الله وذمة نبيه وذلك بقتالهم أهل الإسلام وودعهم أهل

الأوثان.

ثالثاً: أنهم شر الخليقة وشر قتلى وأنهم بليةٌ على أهل الإسلام على مر العصور حتى يخرج في عراضهم الدجال.

الفائدة الثالثة:

موقف الأئمة من هذه الفرقة الضالة:

قال الآجري رحمه الله في الشريعة: «لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل، ولرسول الله ﷺ، وإن صاموا وصلوا واجتهدوا في العبادة؛ فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين، وقد حذرنا الله عز وجل منهم، وحذر رسول الله ﷺ، وحذرنا الخلفاء الراشدون بعده، وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله عليهم...».

وقال في (ص٢٨): «فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام عدلاً كان أو جائراً فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين؛ فلا ينبغي له أن يغتر بقراءته للقرآن، ولا بطول قيامه في الصلاة، ولا بدوام صيامه وبحسن ألفاظه في العلم، إذا كان مذهبه مذهب الخوارج».

قال مقيده: وقد نص أهل العلم على أن من أصناف الخوارج القعدية وهم من يحسنون الخروج على الإمام ويحرضون عليه من غير سل سيف في وجهه.**قلت:** وما أكثرهم اليوم؛ فإن صنيعهم غير خافٍ يعرفه من خبر الكتب الفكرية المعاصرة مثل: **معالم في الطريق**، والخطب المهيجة والمحاضرات المثيرة مثل شريط **هموم فتاة ملتزمة**، وأشرطة ما يسمى **بشرح الطحاوية**.

١٤٦- [باب **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون﴾**].

ش: قوله **﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين ـ إلى قوله ـ يغلبوا مائتين﴾**.

قال ابن كثير: أي حثهم ومرهم عليه، ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرض على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم: قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض.فقال عمرو بن الحمام عرضها السموات والأرض؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم.فقال: بخ بخ.فقال: ما يحملك على قولك بخ بخ.قال: رجاء أن أكون من أهلها.قال: فإنك من أهلها.فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتهن من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها لحياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضي الله عنه.وقد روى سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون، وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة، وقيل الهجرة إلى المدينة والله أعلم.ثم قال تعالى مبشراً للمؤمنين وآمراً: **﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا﴾** كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة». اهـ

قال مقيده: وناسخه الآية بعدها.

قوله **﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾** «يقول من أجل أن المشركين قوم يقاتلون على غير رجاء ثواب ولا لطلب أجر ولا احتساب؛ لأنهم لم يفقهوا أن الله موجب لمن قاتل احتساباً وطلب موعوداً لله في المعاد ما وعد المجاهدين في سبيله». قاله الطبري.

١٧٢- حدثنا عليّ بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن

عباس رضي الله عنهما لما نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت ﴿الآن خفف الله عنكم﴾ الآية.فكتب أن لا يفر مائة من مائتين، زاد سفيان مرة نزلت ﴿حرض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون﴾.

قال سفيان: وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

ش: قوله «**فقال سفيان غير مرة**» أي أن سفيان كان يرويه بالمعنى فتارة يقول باللفظ الذي وقع في القرآن محافظة على التلاوة وهو الأكثر، وتارة يرويه بالمعنى وهو أن لا يفر واحد من العشرة ويحتمل أن يكون سمعه باللفظين ويكون التأويل من غيره، ويؤيده الطريق التي بعد هذه فإن ذلك ظاهر في أنه من تصرف ابن عباس».انتهى من الفتح (٣١٢/٨).

وسيأتي شرحه في الباب بعده.

١٤٧- [باب ﴿الآن خفف ا لله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً﴾ إلى قوله ﴿وا لله مع الصابرين﴾].

ش: تمامها: ﴿فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن ا لله وا لله مع الصابرين﴾.

قال ابن جرير: «يعني أن في الواحد منهم عن لقاء العشرة من عدوهم ضعفاً **﴿فإن يكن منكم مائة صابرة﴾** عند لقائهم للثبات لهم **﴿يغلبوا مائتين﴾** منهم **﴿وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾** منهم **﴿بإذن ا لله﴾** يعني بتخلية ا لله إياهم لغلبتهم ومعونته إياهم **﴿وا لله مع الصابرين﴾** لعدوهم، وعدو ا لله احتساباً في صبرهم، وطلباً لجزيل الثواب من ربهم، بالقوة منه لهم، والنصر عليه»اهـ.

١٧٣- حدثنا يحيى بن عبد ا لله السلمي[1]، أخبرنا عبد ا لله بن المبارك، أخبرنا جرير ابن حازم[2] قال: أخبرني الزبير بن الخريت[3]، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي ا لله عنهماقال: لما نزلت ﴿إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف فقال: ﴿الآن خفف ا لله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين﴾ قال: فلما خفف ا لله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**شق ذلك على المسلمين**» زاد الإسماعيلي من طريق سفيان

---

(١) هو يحيى بن عبد ا لله بن زياد البلخي، نزيل مرو، لقبه خاقان، ثقة من العاشرة.خ.

(٢) هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد ا لله الأزدي، البصري، والد وهب، ثقة لكن في حديثه عن قتادة ضعف وله أوهام إذا حدث من حفظه، وهو من السادسة، مات سنة سبعين [ومائة] بعدما اختلط لكن لم يحدث في حال اختلاطه.ع.

(٣) هو الزبير بن الخريت البصري، ثقة من الخامسة.خ.م.د.ت.ق.

بن أبي شيبة عن جرير «جهد الناس ذلك وشق عليهم» قاله في الفتح.

الثانية: قوله «**نقص من الصبر**» قال الحافظ: كذا في رواية ابن المبارك وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي «نقص من النصر» وهذا قاله ابن عباس توقيفاً على ما يظهر، ويحتمل أنه قاله بطريق الاستقراء.

قلت: وما أفاده الخبر هو صريح الآيتين؛ فإن الأولى متضمنة وجوب مصابرة الواحد من المسلمين لعشرة من الكفار كما تضمنت الثانية نسخ ذلك بوجوب مصابرة الواحد من المسلمين الإثنين من الكفار.وفي الحديث دليل على تحريم الفرار من أمام الكفار إذا كان عددهم ضعف عدد المسلمين.

فائدة:

«هذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية ولكن معناها وحقيقتها الأمر، وأن الله أمر المؤمنين في أول الأمر أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف، ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار ولكن يرد على هذا أمران:

أحدهما: أنها بصورة الخبر والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الإمتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد، أن يكونوا صابرين، بأن يكونوا متدربين على الصبر، ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين؛ فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم، إذا غلب على ظنهم الضرر كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول: بأن قوله ﴿**الآن خفف الله عنكم**﴾ إلى آخرها دليل على أن هذا الأمر لازم، وأمر محتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر، وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة

بديعة لا توجد فيه، إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين أنه حث على الصبر وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك، فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر ا لله به من النصر لهذا العدد القليل».انتهى من تيسير الكريم الرحمن (٢/٢١٦).

آخر تفسير سورة الأنفال و لله الحمد والمنة.

سورة براءة

١٤٨ سورة براءة

ش: شاهد التسمية: ظاهر في أول السورة.﴿**براءة مّن ا لله ورسوله إلى الذين عهدتم مّن المشركين**﴾.

وتسمى أيضا سورة التّوبة، ومن شواهد ذلك ﴿**لقد تّاب ا لله على النّ ّ والمهجرين والأنصار الّذين اتّبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثمّ تاب عليهم إنّه بهم رءوف رّحيم**﴾.

ومن أسمائها الفاضحة؛ لأنه ما زال ينزل فيها: ومنهم، ومنهم. وتسمى البحوث تبحث عن أسرار المنافقين، وتسمى المبعثرة والبعثرة البحث، وتسمى المقشقشة لكونها تقشقش أي تبرء من النّفاق، والمخزية لكونها أخزت المنافقين، والمثيرة لكونها تثير أسرارهم، والحافرة لكونها تحفر عنهم.

وأخرج المصنف عن أبي هريرة وسيأتي قال: «بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى ألا لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول ا لله ﷺ بعليّ بن أبي طالب وأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ يوم النّحر في أهل منى ببراءة» .

وآياتها ثلاثون ومائة وقيل سبع وعشرون ومائة.

قال القرطبي: وهي مدنية باتفاق.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿وليجة﴾ كل شيء أدخلته في شيء].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ليس منه فهو وليجة، والرجل يكون في القوم وليس منهم فهو وليجة فيهم، ومجازه يقول: فلا تتخذوا ولياً ليس من المسلمين دون الله ورسوله، ومنه قول طرفة بن العبد:

فإن القوافي يَتّلجْن مواجلا ... تضايق عنها أن تَوَلّجه الإبر»اهـ

والآية المشار إليها في قوله: **﴿أم حسبتم أن تتركوا ولمّا يعلم الله الذين جهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾**.

٢- [**﴿الشّقّة﴾ السّفر**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «البعيد يقال: إنّك لبعيد الشّقة قال الأحوص الرياحي وحمل أبوه حمالة فظلع فقدما البصرة فبادر أباه فقال: إنّا من تعرفون وأبناء السّبيل وجئنا من شقة ونسأل في حق وتنطوننا ويجزيكم الله».اهـ

والآية المشار إليها: **﴿لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتّبعوك ولكن بعدت عليهم الشّقّة﴾**.

٣- [﴿الخبال﴾: الفساد والخبال الموت].

ش: قوله الخبال الفساد: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: **﴿إلا خبالا...﴾**

وقوله الخبال الموت: كذا لهم و الصواب الموتة بضم الميم وزيادة هاء في آخره وهو ضرب من الجنون قاله الحافظ.

والآية المشار إليها: **﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سمّعون لهم﴾**.

٤-[﴿ولا تفتني﴾ لا توبخني].

ش: كذا للأكثر بالموحدة والخاء المعجمة من التوبيخ، وللمستملي والجرجاني «توهنّي» بالهاء وتشديد النون من الوهن وهو الضعف، ولابن السكن «تؤثمني» بمثلثة ثقيلة وميم ساكنة من الإثم قال عياض وهو الصواب. قاله الحافظ

قلت: وهو قول أبي عبيدة.

وأخرج ابن جرير بسنده عن قتادة في الآية **﴿ولا تؤثمني ألا في الإثم سقطوا﴾** وأخرج عن ابن عباس «ولا تفتني» يقول ائذن لي ولا تحرجني.

والآية المشار إليها: **﴿ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتنّي ألا في الفتنة سقطوا﴾**

٥- [﴿كَرها﴾ و﴿ كُرها﴾ واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح ومضموم سواء» اهـ

وقرأه حمزة والكسائي بالضم وفتح الباقون ومثله في التوبة والأحقاف قاله مكي ١/٣٨٢.

والآية التي أشار إليها المصنف: **﴿قل أنفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم﴾**

٦- [﴿مدّخلاً ﴾ يدخلون فيه].

ش: قاله أبو عبيدة في قوله «ملجأ أو مغارات» وزاد ويتغيبون فيه.

٧- [﴿يجمحون﴾ يسرعون].

ش: قال أبو عبيدة: «يجمح أي يطمح، يريد أن يسرع»اهـ.

وفي المصباح جمح الفرس براكبه «يجمح» بفتحتين جماحاً بالكسر وجموحاً استعصى حتى غلبه فهو جَموح، بالفتح، وجامح يستوي فيه الذكر والأنثى، وجمح إذا عار وهو أن ينفلت فيركب رأسه فلا يثنيه شيء وربما قيل «جمح» إذا كان فيه نشاط وسرعة والجماح من الأوليين مذموم ومن الثّالث محمود لكن

الثّالث مهجور الاستعمال وإن كان منقولاً، ((وجمحت)) المرأة خرجت من بيتها غضبى بغير إذن بعلها ((فالجموح هو الرّاكب هواه)) اهـ.

والآية المشار إليها بالكلمتين: **﴿لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولو إليه وهم يجمحون﴾** .

٨ - [﴿والمؤتفكات﴾ ائتفكت، انقلبت بها الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: ((قوم لوط ائتفكت بهم الأرض أي انقلبت بهم))اهـ.

والآية المشار إليها **﴿ألَمْ يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكت أتتهم رسلهم بالبينت فما كان ا لله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾**.

٩- [﴿أهوى﴾ ألقاه في هُوّةٍ].

ش: ليست هذه اللفظة من سورة ((براءة)) وإنما هي من قوله تعالى في سورة النّجم ﴿والمؤتفكة أهوى﴾ وأظن أن المصنف رحمه ا لله ذكرها لمناسبة ما قبلها.

١٠- [﴿عَدْن﴾ خُلْد، عَدَنْتُ بأرضٍ أي أقمتُ، ومنه معْدَن، ويقال في معدَن صدق، في منبَت صدق].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وزاد: ((وقال الأعشى

وإن يستضيفوا إلى حلمه يضافوا إلى راجح قد عدن.

أي رزين لا يستخف))اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿وعد ا لله المؤمنين والمؤمنت جنت تجري من تحتها الأنهر خالدين فيها ومسكن طيبة في جنّت عدن﴾**.

١١- [﴿الخوالف﴾ الخالف الذي خلفني فقعد بعدي، ومنه يَخلُفه في الغابرين ويجوز أن يكون النّساء من الخالفة، وإن كان جمع الذكور، فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلاّ حرفان فارس وفوارس، وهالك وهوالك].

ش: هو من تفسير أبي عبيدة وأنشد عن ابن جزل الطعان يرثي ربيعة:

فأيقنت أني ثائر ابن مكدّم غداة إذٍ أو هالك في الهوالك

والآية المشار إليها: **﴿إنما السبيل على الذين يستئذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون﴾**.

١٢- [**﴿الخيرات﴾ واحدها خيْرة وهي الفواضل**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ومعناها الفاضلة في كل شيء، قال رجل من بني عدي جاهلي عدي تميم:

ولقد طعنت مجامع الربلات ربلات هند خيرة الملكات»اهـ

والآية المشار إليها هي قوله تعالى: **﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ جَهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**.

١٣- [**﴿ مُرْجَوْنَ﴾ مؤخّرون**].

ش: هو قول أبي عبيدة وزاد: «يقال أرجأتك أي أخرتك»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾**.

١٤- [**﴿الشّفا﴾ الشّفير، وهو حدّه، والجُرف ما تجرّف من السّيول والأودية**].

ش: قال أبو عبيدة: «مجاز شفا جرف شفير والجرف ما لم يبن من الرّكايا لها جول قال: جرف هيام جُولهُ يتهدّم»اهـ.

١٥- [**﴿ هار﴾ هائر، يقال: تهوّرت البئر إذا انهدمت، وانهار مثله**].

ش: قال أبو عبيدة: «وهار» مجازه هائر والعرب تنزع هذه الياء من فاعل، قال العجاج: لاث به الأشا و العبرى.أي لائث»اهـ.

والآية المشار إليها في الكلمتين هي قوله تعالى: **﴿أفمن أسّس بنينه على تقوى من الله ورضوان خير أم مّن أسّس بنينه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنّم والله لا يهدى القوم الظّلمين﴾**.

١٦- [﴿ لأوّاه﴾شفقاً وفرقاً، وقال الشاعر:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوّه آهة الرجل الحزين]

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مجاز فعّال من التأوه، ومعناه متضرع شفقاً وفرقاً ولزوماً لطاعة ربه،قال المثقب العبدي (ثم أنشد البيت الذي ذكره المصنف)

والآية المشار إليها:**﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلاّ عن موعدة وعدها إياه فلمّا تبيّن له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاه حليم﴾.**

قلت:وقد اختلف أهل التفسير في معنى الأوّاه على ستة أقوال:

١ ـ الأوّاه، الدّعّاء قاله ابن مسعود.

٢ ـ ومنها المؤمن التواب قاله ابن عباس.

٣ ـ ومنها الرحيم بعباد الله قاله الحسن وقتادة.

٤ ـ ومنها الموقن قاله مجاهد.

٥ ـ ومنها الذي إذا ذكر النّار قال أوه من النّار قاله كعب الأحبار.

٦ ـ ومنها المتضرع قاله عبد الله بن شداد بن الهاد

حكى هذه الأقوال وغيرها غير واحد من أهل التّفسير منهم البغوي وابن كثير

وعندي أنها كلها صحيحة ولا تنافي ما اختاره البخاري والله أعلم.

١٤٩- [باب **﴿براءة من ا لله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾**].

ش: أي هذا باب في قوله عزوجل **﴿براءة من ا لله﴾** الآية

قال الإمام أبو الليث السّمرقندي رحمه ا لله: أي تَبَرُوءٌ من ا لله ورسوله إلى من كان له عهد من المشركين من ذلك العهد.

ويقال هذه الآية براءة ويقال هذه السورة براءة.

وقال ابن عباس: البراءة نقض العهد إلى الذين عاهدتم من المشركين، لأنهم نقضوا عهودهم قبل الأجل فأمر ا لله نبيه ﷺ بأن من كان عهده إلى أربعة أشهر أن يقره إلى أن تنقضي أربعة أشهر.

وقال الثعلبي: ابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر، وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر.

وقال الزهري: هي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، لأن هذه الآية نزلت في شوال.

وقال مقاتل: نزلت في ثلاثة أحياء من العرب: خزاعة، وبني مدلج، وبني خزيمة، كان سيدنا رسول ا لله ﷺ عاهدهم بالحديبية لسنتين، فجعل ا لله أجلهم أربعة أشهر ولم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية أحداً من النّاس.

وقال النّحاس: قول من قال لم يعاهد النبي ﷺ بعد هذه الآية غير صحيح، والصحيح أنه قد عاهد بعد هذه الآية جماعة منهم أهل نجران.

قال الواقدي: عاهدهم وكتب لهم سنة عشر قبل وفاته بيسير. ذكره العيني.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**﴿أذان﴾ إعلام**]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «من ا لله وهو مصدر واسم من قولهم: آذنتهم أي أعلمتهم، يقال أيضاً«أذين، وإذن»اهـ .

والآية المشار إليها هي قوله تعالى:**﴿وأذان من ا لله ورسوله إلى النّاس يوم**

الحج الأكبر﴾.

٢ - [وقال ابن عباس ﴿أُذُن﴾ يُصدّق].

ش: **قلت** أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿ومنهم الذين يؤذون النـ ٍّ ويقولون هو أذن﴾** يسمع من كل أحد.

وأخرج من هذا الوجه عن ابن عباس في معنى قوله **﴿يؤمن با لله ويؤمن للمؤمنين﴾** يعني يؤمن با لله ويصدق المؤمنين، فظهر بهذا أن "يصدق" تفسير ليؤمن وليس لأذن كما يفهم من صنيع المصنف رحمه ا لله حيث اختصره.

والآية المشار إليها: **﴿ومنهم الذين يؤذون النّبيّ ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن با لله ويؤمن للمؤمنين﴾**.

٣ـ [**﴿تطهرهم وتزكيهم بها﴾ ونحوها كثير، والزكاة الطاعة والإخلاص**].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما عن أبي صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾** يعني بالزكاة طاعة ا لله والإخلاص.

والآية المشار إليها: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**.

٤ - [**﴿لا يؤتون الزكاة﴾ لا يشهدون أن لا اله إلا ا لله**].

ش: **قلت**: والآية المشار إليها هي قوله تعالى من سورة فصلت **﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾**. وقد ذُكر تفسيرها ههنا استشهاداً لما قبله.

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله.

٥ـ [**﴿يضاهئون﴾ يَشَبِّهون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس بإسناد ما قبله

وقال أبو عبيدة: «ومجاز المضاهات مجاز التشبيه»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وقالت اليهود عزير ابن ا لله وقالت النّصارى المسيح ابن ا لله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل﴾**.

١٧٤ـ حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت البراء ﷺ يقول آخر آية نزلت ﴿يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة﴾ وآخر سورة نزلت براءة.

ش: وفي المغازي من رواية إسرائيل عن أبي إسحاق بلفظ «آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر سورة نزلت خاتمة سورة النّساء يستفتونك قل ا لله يفتيكم في الكلالة» وقد مضى شرح الحديث في الباب السّابع بعد المائة.

١٥٠ـ [باب قوله ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزي الله وأن الله مخزي الكافرين﴾].

ش: قوله **﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾** هذا أمر منه سبحانه بالسياحة بعد الإخبار بتلك البراءة، والسياحة: السّير يقال ساح فلان في الأرض يسيح سياحة وسيوحاً وسيحاناً، ومنه سيح الماء في الأرض وسيح الخيل، ومنه قول طرفة بن العبد:

لو خفت هذا منك ما نلتني حتى ترى خيلاً أمامي تسيح

ومعنى الآية أن الله سبحانه بعد أن أذن بالنبذ إلى المشركين بعهدهم أباح للمشركين الضرب في الأرض والذهاب إلى حيث يريدون والاستعداد للحرب هذه الأربعة الأشهر، وليس المراد من الأمر بالسّياحة تكليفهم بها.

قال محمد بن إسحاق وغيره: إن المشركين صنفان:

ـ **صنف** كانت مدة عهده أقل من أربعة أشهر فأمهل تمام أربعة أشهر.

ـ **والآخر** كانت أكثر من ذلك فقصر على أربعة أشهر ليرتاد لنفسه، وهو حرب بعد ذلك لله ولرسوله وللمؤمنين يقتل حيث يوجد، وابتداء هذا الأجل يوم الحج الأكبر وانقضاؤه إلى عشر من ربيع الآخر، فأما من لم يكن له عهد فإنما أجله انسلاخ الأشهر الحرم، وذلك خمسون يوماً، عشرون من ذي الحجة وشهر محرم.

وقال الكلبي: «إنما كانت الأربعة الأشهر لمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد دون أربعة أشهر ومن كان عهده أكثر من ذلك فهو الذي أمر الله أن يتم له عهده بقوله **﴿فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم﴾** ورجح هذا ابن جرير وغيره إلى أن قال في قوله **﴿واعلموا أنكم غير معجزي الله﴾**: أي اعلموا أن هذا الإمهال ليس لعجز، ولكن لمصلحة ليتوب من تاب، وفي ذلك ضرب من التهديد كأنه قيل افعلوا في هذه المدة كل ما أمكنكم من إعداد الآلات والأدوات، فإنكم

لا تفوتون الله وهو مخزيكم أي مذلكم ومهينكم في الدّنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بالعذاب، وفي وضع الظاهر موضع المضمر إشارة إلى أن سبب هذا الإخزاء هو الكفر، ويجوز أن يكون المراد جنس الكافرين فيدخل فيه المخاطبون دخولاً أولياً» ذكره الشوكاني.

قوله: [**سيحوا: سيروا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأقبلوا وأدبروا، والعرب تفعل هذا قال عنترة:

شطت مزار العاشقين فأصبحت عسراً عليّ طلابك ابنة مخرم»اهـ

١٧٥ـ حدثنا سعيد بن عفير[١] قال: حدثني الليث قال حدثني عقيل[٢] عن ابن شهاب وأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة ﷺ قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة، في مؤذنين بعثهم يوم النحر، يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد بن عبد الرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذّن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: يأتي في الباب الذي بعده.

---

(١) هو سعيد بن كثير بن عفير الأنصاري مولاهم المصري وقد ينسب إلى جده صدوق عالم بالأنساب وغيرها من العاشرة مات سنة ست وعشرين [ومئتين]، خ م قد س.

(٢) عُقيل ـ بالضم ـ ابن خالد بن عَقيل بالفتح الإيلي أبو خالد الأموي، مولاهم، ثقة ثبت، سكن المدينة ثم الشام ثم مصر من السادسة مات سنة أربع وأربعين [ومائة] على الصحيح ع.

١٥١- [باب ﴿وأذان من الله ورسوله إلى النّاس يوم الحج الأكبر أنّ الله بريء من المشركين ورسولُه، فإن تبتم فهو خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم﴾].

ش: قال ابن كثير: «يقول تعالى وإعلام من الله ورسوله وتقدم وإنذار إلى النّاس ﴿**يوم الحج الأكبر**﴾ وهو يوم النّحر الذي هو أفضل أيام المناسك وأطهرها وأكبرها جميعاً ﴿**أن الله بريء من المشركين ورسوله**﴾ أي بريء منهم أيضاً، ثم دعاهم إلى التوبة إليه فقال ﴿**فإن تبتم**﴾ أي مما أنتم فيه من الشرك والضلال ﴿**فهو خير لكم وإن توليتم**﴾ أي استمررتم على ما أنتم عليه ﴿**فاعلموا أنكم غير معجزي الله**﴾ بل هو قادر عليكم وأنتم في قبضته وتحت قهره ومشيئته ﴿**وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾ أي في الدّنيا بالخزي والنّكال وفي الآخرة بالمقامع والأغلال.

من فقه الآية

أولاً: عظيم قدرة الله وعظيم سلطانه.

ثانياً: سعة رحمة الله بعباده حيث لم يعاجلهم بالعقوبة قبل إنذارهم.

ثالثاً: قبول توبة المشرك.

[آذنهم: أعلمهم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه، وعلم من الله وهو مصدر واسم من قولهم، أذنتهم أي أعلمتهم يقال أيضاً: «اذينٌ وإذنٌ».اهـ

١٧٦- حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا الليث حدثنا عقيل قال ابن شهاب فأخبرني حميد بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النّحر يؤذنون بمنى، أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة قال أبو هريرة: فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم

النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**بعثني أبو بكر ﷺ في تلك الحجة**» وفي رواية يونس عن ابن شهاب عن حميد «أن أبا بكر - رضي الله عنه - بعثه في الحجة التي أمّره عليها رسول الله ﷺ قبل حجة الوداع»

قلت: وكانت تلك الحجة سنة تسع.

الثانية: قوله «**في المؤذنين، بعثهم يوم النّحر**» في رواية ابن أخي الزهري عن عمّه في باب ما يستر من العورة في كتاب الصلاة «في مؤذنين يوم النّحر» أي في جماعة مؤذنين.

الثالثة: قوله «**يؤذنون بمنى**» أي ينادون في النّاس ويعلمونهم بما أمر الله به من إعلامهم بالآيات من سورة براءة ومن ذلك «أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان»

وروى ابن اسحاق من طريق حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبي جعفر محمد بن علي رضوان الله عليه أنه قال: «لما نزلت براءة على رسول الله ﷺ وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للنّاس الحج قيل له يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبي بكر، فقال لا يؤدي عني إلا رجل من أهل بيتي، ثم دعا عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، فقال له: أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن في النّاس يوم النّحر إذا اجتمعوا بمنى؛ أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله ﷺ عهد فهو له إلى مدته، فخرج عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، على ناقة رسول الله ﷺ العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطّريق فلما رآه أبو بكر بالطّريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا».

قلت: فالجمع بين هذين الخبرين أن المبلغ بسورة براءة هو عليّ رضي الله

عنه وأن أبا هريرة ومن معه بعثهم أبو بكر بوصفه أميراً على الحج معاونين لعليّ في التبليغ.

الرّابعة: قوله «**قال حميد: ثم أردف النبي ﷺ بعليّ بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة**» قلت: هذا مرسل لأن حميد رحمه الله تابعي ولم يصرح بسماعه لكن ثبت بعث الرسول ﷺ علياً في تلك الحجة للنّاس بسورة براءة، من عدة طرق.

قال الطبري: «حدثنا أحمد بن إسحاق قال: ثنا أبو أحمد قال: ثنا قيس عن مغيرة عن الشعبي قال: ثني محرر بن أبي هريرة عن أبي هريرة ﷺ قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ ينادي فكان إذا صحل صوته ناديت»

وقال ابن جرير أيضاً: «حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا عفان قال: ثنا قيس بن الربيع قال: ثنا الشيباني عن الشعبي قال: أخبرنا المحرر بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع عليّ رضي الله عنه» فذكر نحوه.

قال مقيده: وينضاف إلى هذين الطريقين رواية ابن إسحاق المتقدمة في المسألة الثالثة.

الخامسة: قوله «فأذن معنا عليّ في أهل منى يوم النّحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان» فيه دليل على أن المراد بيوم الحج الأكبر في الآية هو يوم النّحر خلافاً لمن فسره بيوم عرفة.

١٥٢- [باب **﴿إلا الذين عاهدتم من المشركين﴾**.]

ش: تمامها **﴿ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إنّ الله يحب المتقين﴾**. هذا استثناء من ضرب مدة التأجيل بأربعة أشهر لمن له عهد مطلق، ليس بمؤقت، فأجله أربعة أشهر، يسيح في الأرض يذهب فيها لينجو بنفسه حيث شاء، إلاّ من له عهد مؤقت فأجله إلى مدته المضروبة التي عوهد عليها ... ومن كان له عهد مع رسول الله ﷺ فعهده إلى مدته وذلك بشرط أن لا ينقض المعاهد عهده ولم يظاهر على المسلمين أحداً أي يمالىء عليهم من سواهم فهذا الذي يوفى له بذمته وعهده إلى مدته، ولهذا حرض تعالى على الوفاء بذلك فقال **﴿إنّ الله يحب المتقين﴾** أي الموفين بعهدهم.اهـ من ابن كثير بتصرف.

من فقه الآية:

أولاً: وجوب الوفاء لذي العهد من المشركين بعهده، وإن كانت مدته أكثر من أربعة أشهر.

ثانياً: لا وفاء لمن نقض عهده من المشركين أو ظاهر على المسلمين.

ثالثاً: إنّ الوفاء بالعهد من أعمال المتقين التي يحبها الله.

١٧٧- حدثنا إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي[١] عن صالح، عن ابن شهاب أن حميد بن عبد الرحمن أخبره أن أبا هريرة أخبره أنّ أبا بكر ﷺ بعثه في الحجة التي أمّره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في النّاس، أن لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، فكان حميد يقول: يوم النّحر يوم الحج الأكبر، من أجل حديث أبي هريرة.

---

(١) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري أبو يوسف المدني، نزيل بغداد، ثقة فاضل، من صغار التاسعة مات سنة ثمان ومائتين ع.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «في رهط»

قلت: فيه دليل على أن المؤذنين كانوا ذوي عدد وقد سبق من رواية ابن أخي الزهري عن عمه «في مؤذنين يوم النّحر» ولم أقف على تسمية أولئك، والرهط: هم عشيرة الرجل وأهله، والرّهط من الرّجال: ما دون العشرة، وقيل إلى الأربعين ولا تكون فيهم امرأة، ولا واحد له من لفظه، ويجمع على أرهط وأرهاط، وأراهط جمع الجمع. قاله ابن الأثير.

الثانية: قوله «فكان حميد يقول: يوم النّحر يوم الحج الأكبر من أجل حديث أبي هريرة»

قلت: وبه قال عليّ وعبد الله بن أبي أوفى وعبد الله بن شدّاد ونافع بن حبيب وإبراهيم النّخعي والشّعبي ومحمد بن عليّ والمغيرة بن شعبة وابن عمر وهو قول ابن عباس ومجاهد في الرّواية الثانية عنهما، ويرجحه أمران:

أحدهما: أنه قول الأكثرين من أهل العلم كما يظهر ذلك من حكاية ابن جرير.

وثانيهما: مناداة عليّ وأبي هريرة في النّاس بسورة براءة يوم النّحر وقد مضى الحديث في البابين قبل هذا، وغرض المصنف من إيراده لبيان أنّ هذه الآية مما أُمر عليّ بإعلام النّاس به في الموسم.

١٥٣- [باب **﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم﴾**]

ش: قلت الآية **﴿وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾**.

«يقول تعالى «وإن نكث» هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم أي عهودهم ومواثيقهم، **﴿وطعنوا في دينكم﴾** أي عابوه وانتقصوه، ومن ههنا أخذ قتل من سب الرسول صلوات الله وسلامه عليه،أومن طعن في دين الإسلام أو ذكره بنقص ولهذا قال **﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾** أي يرجعون عمّا هم فيه من الكفر والعناد والضلال».قاله ابن كثير.

من فقه الآية

أولاً: الحذر من تنقص دين الإسلام أو الطعن فيه أو السّخرية به وأنّ ذلك كفر وردّة.

ثانياً: وجوب الموالاة في الله والمعاداة فيه.

١٧٨- حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى حدثنا اسماعيل حدثنا زيد ابن وهب[١] قال: ((كنّا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنّكم أصحاب محمد ﷺ تخبروننا فلا ندري، فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟ قال: أولئك الفسّاق، أجل لم يبقى منهم إلا أربعة، أحدهم شيخ كبير، لو شرب الماء البارد لما وجد برده.)).

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

---

(١)زيد بن وهب هو أبو سليمان زيد بن وهب الجهني الكوفي مخضرم ثقة جليل لم يصب من قال في حديثه خلل، مات بعد الثمانين وقيل سنة ست وتسعين ع.

الأولى: قوله «**ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة**».

هكذا وقع مبهماً ووقع عند الإسماعيلي من رواية ابن عيينة عن إسماعيل بن أبي خالد بلفظ «ما بقي من المنافقين من أهل هذه الآية ﴿**لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء**﴾ الآية إلا أربعة نفر، إنّ أحدهم لشيخ كبير».

قال الإسماعيلي: «إن كانت الآية ما ذكر في خبر ابن عيينة فحق هذا الحديث أن يخرّج في سورة المتحنة» انتهى .

وقد وافق البخاري على إخراجها عند آية براءة النّسائي وابن مردويه. فأخرجاه من طرق عن إسماعيل وليس عند أحد منهم تعيين الآية، وانفرد ابن عيينة بتعيينها، إلا أنّ عند الإسماعيلي من رواية خالد الطحان عن إسماعيل في آخر الحديث «قال إسماعيل: يعني الذين كاتبوا المشركين» وهذا يقوي رواية ابن عيينة» قاله الحافظ.

الثانية: قوله «**إلا ثلاثة**».

سمى ابن جرير عند تفسير الآية، منهم في رواية ابي بشر عن مجاهد، أبا سفيان بن حرب.

وفي رواية معمر عن قتادة، أبا جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وأبا سفيان، وسهيل بن عمرو.

قلت: وهذا غريب، لإنّ أبا جهل، وعتبة قتلا ببدر، وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي، فيصح في أبي سفيان، وسهيل بن عمرو، وقد أسلما جميعاً، فنجاهما الله من الكفر، وبقي عموم الآية فيمن غلبت عليه الشّقوة واستحب العمى على الهدى.

الثالثة: قوله: «**ولا من المنافقين إلا أربعة**» لم نقف لهم على تسمية.

الرابعة: قوله «**فقال أعرابيّ**» لم أجد له تسمية.

الخامسة: قوله «**إنّكم أصحاب محمد ﷺ**» بنصب أصحاب على النّداء مع

حذف الأداة وهو بدل من الضمير في أنّكم، أو بفعل محذوف تقديره أعني والأصحاب جمع صاحب وهو في اللغة المعاشر وفي الإصطلاح:كل من لقي النبيّ ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك.

السّادسة: «**تخبروننا فلا ندري**» كذا وقع والمعنى تخبروننا بأشياء لا نعرف معناها.

السّابعة: قوله «**فما بال هؤلاء الذين يقرون بيوتنا**» بموحدة ثم قاف أي يثقبون

قال الخطابي: «وأكثر ما يكون النّقر في الخشب والصّخور يعني بالنّون».

الثّامنة: قوله «**أعلاقنا**» بالعين المهملة والقاف أي نفائس أموالنا.

قال الحافظ: «وقال ابن التين: «وجدته في بعض الروايات مضبوطاً بالغين المعجمة ولا وجه له» انتهى ووجد في نسخة الدمياطي بخطه بالغين المعجمة أيضاً ذكره شيخنا ابن الملقن. ويمكن توجيهه بأنّ الأغلاق جمع غلق بفتحتين وهو الباب الذي يغلق على البيت ويفتح بالمفتاح، ويطلق الغلق على الحديدة التي تجعل في الباب ويعمل فيها القفل فيكون قوله «ويسرقوا أغلاقنا» إمّا على الحقيقة، فإنه إذا تمكن من سرقة الغلق توصل إلى فتح الباب، أوفيه مجاز الحذف، أي يسرقون ما في أغلاقنا». حكاه في الفتح.

التّاسعة: قوله «**أولئك الفساق أجل**».أي الذين يقرون ويسرقون لا الكفار ولا المنافقون وفي هذا تصريح بأنهم مسلمون وذلك لما تقرر عند أصحاب النّبي ﷺ ومن تبعهم بإحسان من عدم تكفير صاحب الكبيرة ما لم يستحلها خلافاً للخوارج.

العاشرة: قوله «**أحدهم شيخ كبير**» لم أقف على إسمه.

الحادية عشرة: قوله «**لو شرب الماء البارد لما وجد برده**».أي لذهاب شهوته وفساد معدته، فلا يفرق بين الألوان ولا الطّعوم وهذا هو منتهى الخَرَف

وسوء الحال.

تنبيه:

أخرج ابن جرير من طريق حبيب بن حسان عن زيد بن وهب قال: كنت عند حذيفة فقرأ هذه الآية ﴿**فقاتلوا أئمة الكفر**﴾ فقال ما قوتل أهل هذه الآية بعد.

وأخرج عن الأعمش عن زيد بن وهب نحوه.

قال مقيده: ومراد حذيفة ﷺ بقوله «ما قوتل أهل هذه الآية بعد» أنّ قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشّرط وهو المعني بقوله ﴿**وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر**﴾ فلما لم يقع منهم نكث للأيمان ولا طعن في الدّين لم يقاتلوا وهذا دليل على أنّ الإسلام يجب ما قبله من الذّنوب وإن كان أصحابها أئمة في الكفر.

١٥٤- [باب قوله ﴿**والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأقروا بوحدانية ربهم، إنّ كثيراً من العلماء والقرّاء من بني إسرائيل من اليهود والنّصارى، ﴿**ليأكلون أموال النّاس بالباطل**﴾ يقول: يأخذون الرشا في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً، ثم يقولون هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمناً قليلاً من سفلتهم ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ يقول: ويمنعون من أراد الدّخول في الإسلام الدّخول فيه إلى أن قال: يقول تعالى ذكره ﴿**إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالباطل**﴾ ويأكلها أيضاً معهم ﴿**الذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ يقول: بشر الكثير من الأحبار والرّهبان الذين يأكلون أموال النّاس بالباطل، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذاب أليم لهم يوم القيامة، موجع من الله.

من فقه الآية:

أولاً: التحذير من مسلك الأحبار والرّهبان في أكل أموال النّاس بالباطل والصّد عن سبيل الله.

ثانياً: تحريم إكتناز الذهب والفضة منعاً من الإنفاق في سبيل الله

١٧٩ـ حدثنا الحكم بن نافع أخبرنا شعيب[1] حدثنا أبو الزّناد أنّ عبد الرحمن الأعرج حدثه أنّه قال: حدثني أبو هريرة رضي الله عنه أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع.

١٨٠ـ حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير عن حصين عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالرّبذة فقلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال كنّا بالشّام فقرأت ﴿والذين يكنزون الذّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم﴾ قال معاوية: ما هذه فينا ما هذه إلا في أهل الكتاب قال قلت: إنّها لفينا وفيهم.

ش: فيهما ثمان مسائل :

الأولى : قوله «**يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعاً أقرع**» مضى مطولاً في تفسير سورة آل عمران برقم ستة وثمانين واستوفينا الكلام عليه هناك شرحاً.

ونرى من المناسب هاهنا إتماماً للمقصود من الترجمة ذكر مذاهب أهل العلم في هذا الكنز الذي توعد الله عليه وهي ثلاثة أقوال:

الأول: أنّه كل مال وجبت فيه الزّكاة فلم تؤد زكاته وهو قول ابن عمر وعكرمة والسّدي والشّعبي.

الثّاني: أنّه كل مال زاد على أربعة آلاف درهم أديت زكاته أم لم تؤد وهذا هو قول عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه .

الثالث: أنّه كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه وهو قول أبي ذر حكى هذه الأقوال الثّلاثة ابن جرير واختار الأول، ويدل على صوابه

(١) شعيب هو أبو بشر شعيب بن أبي حمزة الأموي مولاهم، واسم أبيه دينار الحمصي ثقة عابد من أثبت النّاس في الزهري، من السّابعة مات سنة إثنتين وستين [ومائة] أو بعدها ع.

ورجحانه قوله ﷺ في الطّرف المتقدم من حديث أبـي هريـرة هـذا «مـن آتـاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاع أقرع ... إلى أن قال ثـم تـلا هـذه الآيـة» الحديث.

الثانية : قوله : «**مررت على أبي ذر بالربذة**» أخرجه المصنف في بـاب مـا أُدي زكاته فليس بكنز من كتاب الزّكاة مطولاً ولفظه عن زيد بـن وهـب قـال: «مررت بالربذة فإذا أنـا بـأبي ذر ﷺ فقلـت لـه: مـا أنزلـك مـنزلك هـذا؟ ...» الحديث . وفيه قال «فكتب إلى عثمان أن أقدم المدينة، فقدمتها، فكثر علي الناس حتى كـأنهم لم يـرون قبـل ذلـك فذكـرت ذلـك لعثمـان ، فقـال لي: إن شـئت تنحيت فكنت قريباً فذاك الذي أنزلني هذا المنزل» .فبان بهذا النقل سـبب اختيـار أبي ذر ـ رضي الله عنه ـ الربذة.

الثالثة : قوله «**بالرّبذة**» بفتح الرّاء والموحدة والمعجمـة مكـان معـروف بـين مكة والمدينة وقال في المعجم «والرّبذة من قرى المدينة على ثلاثـة أيـام قريبـة مـن ذات عرق علي طريق الحجاز إذا رحلت من فيد تريد مكة».

الرابعة: قوله «**ما أنزلك بهـذه الأرض**» يعـني أي شـيء حملـك على تـرك المدن وألجأك إلى النّزول في هذه القرية النّائية بعيداً عن النّاس.

الخامسة : قوله «كنّا بالشّام» يعني بدمشق وكان معاويـة ﷺ إذ ذاك عـامل أمير المؤمنين عثمان ﷺ عليها، وقد بين السّبب في سكناه الشّـام مـا أخرجـه أبـو يعلى من طريق أخرى عن زيد بن وهب حدثني أبو ذر قال: قـال لي رسـول الله ﷺ: إذا بلغ البناء ـ أي بالمدينة ـــ سـلعاً فـارتحل إلى الشّـام فلمـا بلـغ البنـاء سـلعاً قدمت الشّام فسكنت بها.

السادسة: قولـه «**فقـرأت والذيـن يكـنزون الذّهـب والفضـة إلى قولـه إن شئت تنحيت**» هذا بيان سبب إختياره ﷺ الإنعزال عن النّاس بـالرّبذة وفيـه رد على من كان يشنع على عثمان وأنه نفى أبا ذر من المدينة.

السابعة: قوله «**قال معاوية ما هذه فينا**» يعني آية براءة ﴿**والذين يكنزون الذّهب والفضة**﴾ ومستنده ﷺ قوله تعالى في أول الآية ﴿**يا أيها الذين ءامنوا إنّ كثيراً من الأحبار والرّهبان ليأكلون أموال النّاس بالبّاطل ويصدون عن سبيل الله**﴾.

الثامنة: قوله «**قلت إنّها لفينا وفيهم**» قلت وهذا فهم صحيح واستدلال سديد لأنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب ولفظ الآية عام في التحذير من اكتناز الذّهب والفضة وعدم إنفاقها في سبيل الله.

من فقه هذا الخبر:

أولاً: أنّ الكفار مخاطبون بفروع الشريعة لإتفاق أبي ذر ومعاوية أنّ الآية نزلت في أهل الكتاب.

ثانياً: أنّ ما ذم الله عليه أهل الكتاب ذمٌّ لهذه الأمة إذا سلكوا مسلكهم.

ثالثاً: ملاطفة الأئمة للعلماء فإنّ معاوية لم يجسر على الإنكار على أبي ذر حتى كاتب من هو أعلى منه في أمره. وعثمان لم يحنق على أبي ذر مع كونه كان مخالفاً له في تأويله.

رابعاً: التحذير من الشّقاق والخروج على الأئمة.

خامساً: الترغيب في الطّاعة لأولي الأمر.

سادساً: جواز الخلاف في المسائل الإجتهادية.

سابعاً: تقديم دفع المفسدة على جلب المصلحة لأنّ في بقاء أبي ذر بالمدينة مصلحة كبيرة من بث علمه في طالب العلم، ومع ذلك فرجح عند عثمان دفع ما يتوقع من المفسدة من الأخذ بمذهبه الشديد في هذه المسألة و لم يأمره بعد ذلك بالرّجوع عنه لأنّ كلاً منهما كان مجتهداً. انتهى من الفتح باختصار وتصرف

١٥٥- باب قوله **﴿يوم يحمى عليها في نار جهنّم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾**

ش: «أي يقال لهم هذا الكلام تبكيتاً وتقريعاً وتهكماً كما في قوله **﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾** أي هذا بذاك وهذا الذي كنتم تكنزون لأنفسكم، ولهذا يقال من أحب شيئاً وقدمه على طاعة الله عذب به وهؤلاء لمّا كان جمع هذه الأموال آثر عندهم من رضا الله عنهم عذبوا بها كما كان أبو لهب لعنه الله جاهراً في عداوة رسول الله ﷺ وامرأته تعينه في ذلك كانت يوم القيامة عوناً على عذابه أيضاً في جيدها أي عنقها حبل من مسد أي تجمع من الحطب في النّار وتلقي عليه ليكون ذلك أبلغ في عذابه ممن هو أشفق عليه في الدّنيا، كما أنّ هذه الأموال لما كانت أعز الأموال على أربابها كانت أضر الأشياء عليهم في الدّار الآخرة فيحمى عليها في نار جهنم وناهيك بحرها فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم» انتهى محل الغرض من تفسير ابن كثير رحمه الله.

١٨١- وقال أحمد بن شبيب بن سعيد[١] حدثنا أبي[٢] عن يونس عن ابن شهاب عن خالد بن أسلم[٣] قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزّكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.

---

(١) أحمد هو أبو عبد الله أحمد بن شبيب بن سعيد الحَبَطي البصري صدوق من العاشرة مات سنة تسع وعشرين [ومائتين] خ خد س.

(٢) هو أبو سعيد شبيب بن سعيد التميمي الحَبَطي البصري لا باس بحديثه من رواية إبنه إحمد عنه لا من رواية ابن وهب، من صغار الثّامنة مات سنة ست وثمانين [ومائة] خ خد س.

(٣) خالد بن أسلم القرشي العروي أخو زيد بن أسلم مولى عمر، صدوق من الخامسة. خ خد ق.

ش: قوله «**وقال أحمد بن شبيب**» كذا للأكثر وفي رواية أبي ذر حدثنا أحمد وقد وصله أبو داود في كتاب النّاسخ والمنسوخ عن محمد بن يحيى وهو الذهلي عن أحمد بن شبيب بإسناده، ووقع لنا بعلو في جزء الذهلي وسياقه أتم مما في البخاري وزاد فيه سؤال الأعرابي أترث العمة؟ قال ابن عمر: لا أدري فلما أدبر قبّل ابن عمر يده ثم قال: نعم ما قال أبو عبد الرحمن - يعني نفسه - سئل عما لا يدري فقال: لا أدري، وزاد في آخره بعد قوله طهرة للأموال ثم التفت إليّ فقال: ما أبالي لو كان لي مثل أحد ذهباً أعلم عدده أزكيه وأعمل فيه بطاعة الله تعالى وهو عند ابن ماجة من طريق عقيل عن الزّهري. قاله الحافظ.

قلت وفي الحديث ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**هذا قبل أن تنزل الزّكاة**» يعني أنّ الوعيد على الإكتناز في الآية وهو حبس ما فضل على الحاجة عن المواساة به، كان في أول الإسلام ثم نسخ ذلك بفرض الزّكاة.

الثّانية: قوله «**فلما أنزلت**» يعني فرضية الزّكاة.

الثّالثة: قوله «**جعلها الله طهراً للأموال**» يعني فيكتفى بها فلا يجب سواها من الصّدقات.

١٥٦- [باب قوله: ﴿إنّ عدة الشّهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السّموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدّين القيم﴾].

ش: تمامها: ﴿فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره ﴿إنّ عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله﴾ الذي كتب فيه كل ما هو كائن في قضائه الذي قضى ﴿يوم خلق السّموات والأرض منها أربعة حرم﴾ يقول هذه الشّهور الإثنا عشر، منها أربعة أشهر حرم كانت الجاهلية تعظمهنّ وتحرمهنّ، وتحرم القتال فيهنّ، حتى لو لقي الرّجل منهم فيهنّ قاتل أبيه لم يهيجه وهنّ: رجب مضر وثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم وبذلك تضاهرت الأخبار عن رسول الله ﷺ ... إلى أن قال: وأمّا قوله ﴿ذلك الدّين القيم﴾ فإنّ معناه: هذا الذي أخبرتكم به من أنّ عدة الشّهور عند الله إثنا عشر شهراً في كتاب الله، وأنّ منها أربعة حرماً، هو الدّين المستقيم، إلى أن قال وأمّا قوله ﴿فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم﴾ فإنّ معناه: فلا تعصوا الله فيها ولا تحلوا فيهنّ ما حرم الله عليكم، فتكسبوا أنفسكم ما لا قبل لها به من سخط الله وعقابه.

وقوله ﴿وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾ فإنّه يقول جل ثناؤه: وقاتلوا المشركين بالله أيها المؤمنون جميعاً غير مختلفين مؤتلفين غير متفرقين، كما يقاتلكم المشركون جميعاً، مجتمعين غير متفرقين.

وقوله ﴿واعلموا أنّ الله مع المتقين﴾ فإنّ معناه: واعلموا أيها المؤمنون بالله أنّكم إن قاتلتم المشركين كافة، واتقيتم الله فأطعتموه فيما أمركم ونهاكم، ولم تخالفوا أمره فتعصوه، كان الله معكم على عدوكم وعدوه من المشركين، ومن كان الله معه لم يغلبه شيء، لأنّ الله مع من اتقاه فخافه واطاعه فيما كلفه من أمره ونهيه».

من فقه الآية:

أولاً: النص الصريح على أنّ عـدة أشـهر العـام مقـررة في كتـاب ا لله وهـو اللوح المحفوظ.

ثانياً: تعظيم الأربعة الأشهر الحرم.

ثالثاً: الأمر باجتماع الكلمة في مواجهة المشركين وقتالهم.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله جل وعلا.

[القيم هو القائم]

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي المستقيم خرج مخرج سيد وهو من ساد يسـود بمنزلة قام يقوم.

١٨٢ـ حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب(١) حدثنا حماد بن زيد عـن أيـوب عن محمد عن ابن أبي بكرة(٢) عن أبي بكرة(٣) عن النبي ﷺ قـال: إنّ الزّمـان قد إستدار كهيئته يوم خلـق الله السّـموات والأرض السّـنة إثنـا عشـر شـهراً، منها أربعة حرم، ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضـر الذي بين جمادى وشعبان.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**إنّ الزّمان**» الزّمـان والزّمـن اسـم للوقـت قليـ ٍ كالسّـاعة أو

---

(١)هو أبو محمد عبد ا لله بن عبد الوهاب الحجبي البصري، ثقة من العاشرة مات سنة ثمـان وعشرين [ومائتين] وقيل سنة سبع. خ. س.

(٢)هو عبد الرحمن بن أبي بكرة: نفيع بن الحارث الثقفي البصـري ثقـة مـن الثّانيـة، مـات سنة ست وتسعين ع.

(٣)هو نفيع بن الحارث بن كَلَدَة ابن عمـرو الثقفـي صحـابي مشـهور بكنيتـه وقيـل اسمـه مسـروح، اسـلم بالطـائف ثـم نـزل البصـرة، ومـات بهـا سـنة إحـدى أو إثنتـين وخمسين(ع).

كثيراً كالسّنة ويطلق على ما هو أعم من ذلك كقول الصّحابي «كنّا في زمن رسول الله ﷺ نفعل كذا كذا».

الثّانية: قوله «**استدار**» أي عاد ورجع.

الثّالثة: قوله «**كهيئته**» الهيئة الحالة والكاف بمعنى مثل صفة لمصدر محذوف تقديره استدارة والمعنى إنّ الزّمان قد استدار استدارة إلى حالته التي كان عليها يوم خلق الله السموات والأرض.

الرّابعة: قوله «**السّنة اثنا عشر شهراً**» أي السّنة العربية الهلالية وقد اتفق المسلمون في عهد عمر على أن يكون أول السّنة شهر محرم وآخرها ذو الحجة وهذه الجملة أعني قوله «**السّنة إثنا عشر شهراً**» بيان لقوله تعالى ﴿**إنّ عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً**﴾.

وأخرج ابن جرير في تفسير قوله تعالى ﴿**إنما النسيء زيادة في الكفر**﴾ قال: حدثنا ابن وكيع ثنا عمران بن عيينة عن حصين عن أبي مالك ﴿**إنّما النّسيء زيادة في الكفر**﴾ قال كانوا يجعلون السّنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون المحرّم صفراً، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله ﴿**إنّما النّسيء زيادة في الكفر**﴾ قلت فالحديث والآية إبطال لما كان يزعمه القوم في الجاهلية.

الخامسة: قوله «**أربعة حرم**» يعني محترمة ويحرم فيها القتال.

السّادسة: قوله «**ثلاث متواليات**» يعني متتابعات وهو شروع في تفسير للأربعة الحرم، وفيه إشارة إلى إبطال ما كانو يفعلونه في الجاهلية من تأخير بعض الأشهر الحرم فقيل كانوا يجعلون المحرم صفراً ويجعلون صفراً المحرم لئلا يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يتعاطون فيها القتال فلذلك قال «متواليات» وكانوا في الجاهلية على أنحاء منهم من يسمي المحرم صفراً فيحل فيه القتال، ويحرم القتال في صفر ويسميه المحرم ومنهم من كان يجعل ذلك سنة هكذا وسنة هكذا، ومنهم من يجعله سنتين هكذا وسنتين هكذا، ومنهم من يؤخر صفراً إلى ربيع الأول

وربيعاً إلى ما يليه وهكذا إلى أن يصير شوال ذا القعدة وذو القعدة ذا الحجة، ثم يعود فيعيد العدد على الأصل.

السّابعة: قوله «**ذو القعدة وذوالحجة والمحرم**» بيان للثلاثة المتواليات.

الثّامنة: قوله «ورجب مضر» أضافه إليهم لأنّهم كانوا متمسكين بتعظيمه بخلاف غيرهم فيقال إنّ ربيعة كانوا يجعلون بدله رمضان وكان من العرب من يجعل رجب وشعبان ما ذكر في المحرم وصفر فيحلون رجباً ويحرمون شعبان، ووصفه بقوله بين جمادى وشعبان تأكيداً، وكان أهل الجاهلية قد نسئوا بعض الأشهر الحرم أي أخروها، فيحلون شهراً حراماً ويحرمون مكانه آخر بدله حتى رفض تخصيص الأربعة بالتّحريم أحياناً ووقع تحريم الأربعة مطلقاً من السّنة وهذا التلاعب بالأشهر الحرم وتحريفها قد ذم الله عليه بقوله ﴿**إنّما النّسيء زيادة في الكفر**﴾.

١٥٧- [باب قوله: **﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا﴾**].

ش: قلت الآية **﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ إخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إنّ الله معنا فأنزل سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السّفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾**.

هذا إعلام من الله أصحاب رسول الله ﷺ أنه المتوكل بنصر رسوله على أعداء دينه وإظهاره عليهم دونهم، أعانوه أو لم يعينوه، وتذكير منه لهم فعل ذلك به وهو من العدد في قلة والعدو في كثرة، فكيف به وهو من العدد بكثرة والعدو في قلة.

وقوله **﴿إذ هما في الغار﴾** يقول إذ رسول الله ﷺ وأبو بكر رحمة الله عليه في الغار، والغار الثقب العظيم يكون في الجبل **﴿إذ يقول لصاحبه﴾** يقول إذ يقول رسول الله ﷺ لصاحبه أبي بكر لاتحزن وذلك أنه خاف من الطلب أن يعلموا بمكانهما، فجزع من ذلك فقال له رسول الله ﷺ لا تحزن لأنّ الله معنا، والله ناصرنا فلن يعلم المشركون بنا ولن يصلوا إلينا يقول جل ثناؤه فقد نصره الله على عدوه وهو بهذه الحال من الخوف وقلة العدد فكيف يخذله ويحوجه إليكم وقد كثر الله أنصاره وعدد جنوده.

وقوله **﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾** أي تأييده ونصره عليه أي على الرسول ﷺ في أشهر القولين وقيل على أبي بكر وروي عن ابن عباس وغيره قالوا: لأنّ الرسول ﷺ لم تزل معه سكينة وهذا لا ينافي في تجدد سكينة خاصة بتلك الحال ولهذا قال **﴿وأيده بجنود لم تروها﴾** أي الملائكة **﴿وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا﴾** قال ابن عباس: يعني بكلمة الذين كفروا الشرك وكلمة الله هي لا إله إلا الله.

وقوله ﴿**والله عزيز**﴾ أي في انتقامه وانتصاره، منيع الجناب لا يضام من لاذ ببابه واحتمى بالتّمسك بخطابه ﴿**حكيم**﴾ في أقواله وأفعاله.

من فقه الآية:

أولاً: إمتنان الله على أهل الإسلام بتنجية رسوله من المشركين.

ثانياً: في تنجية الله رسوله من أهل الشرك مع كثرتهم دليل على أنه لا يجوز الإغترار بالكثرة ولا الزهد في القلة.

ثالثاً: فضيلة أبي بكر ﷺ إذ نوه الله عنه ها هنا باسم الصحبة وفي هذا إشارة إلى إمامته للأمة بعد نبيها ﷺ.

رابعاً: إثبات صفة المعية لله وهي ها هنا معية خاصة.

خامساً: في تنجية الله نبيه وصاحبه وهما في قلة حفظ لدين الله وإعزاز له.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ - [«إنّ الله معنا» أي ناصرنا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحافظنا.

٢ - [«السَّكينَة» فَعِيلَة من السّكون].

ش: قاله أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى ﴿**ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها**﴾ الآية.وزاد قال غريف الكليني:

لله قبر غالها ماذا يجن   لقد أجن سكينة ووقارا

١٨٣- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا حيان[1] حدثنا همام[2] حدثنا

---

(١) هو أبو حبيب حيان بن هلال البصري ثقة ثبت من التّاسعة مات سنة ست عشرة ومائتين ع.

(٢) هو أبو عبد الله همام بن يحيى بن دينار العوذي البصري ثقة ربما وهم من السّابعة مات سنة أربع - أو خمس - وستين ومائة.ع.

ثابت حدثنا أنس قال حدثني أبو بكر[١] ﷺ قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين قلت: يا رسول الله لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

١٨٤ـ حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا ابن عيينة عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّه قال حين وقع بينه وبين ابن الزّبير. قلت: أبوه الزّبير وأمّه أسماء وخالته عائشة وجده أبو بكر وجدته صفية فقلت لسفيان: إسناده؟ فقال:حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج.

١٨٥ـ حدثنا عبد الله بن محمد قال حدثني يحيى بن معين حدثنا حجاج قال ابن جريج قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء فغدوت على ابن عباس فقلت أتريد أن تقاتل ابن الزّبير فتحل حرم الله؟ فقال: معاذ الله إنّ الله كتب ابن الزّبير وبني أمية محلين وإنّي والله لا أحله أبداً قال: قال النّاس بايع لابن الزّبير فقلت: وأين بهذا الأمر عنه أما أبوه فحواري النّبي ﷺ يريد الزّبير وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر وأما أمه فذات النّطاق يريد أسماء وأما خالته فأم المؤمنين يريد عائشة وأما عمته فزوج النّبي ﷺ يريد خديجة وأما عمة النّبي ﷺ فجدته يريد صفية ثم عفيف في الإسلام قارىء للقرآن والله إن وصلوني وصلوني من قريب وإن ربوني ربني أكفاء كرام فأثر التويتات والأسامات والحميدات يريد أبطناً من بني أسد بني تويت وبني أسامة وبني أسد إنّ ابن أبي العاص برز يمشي القدمية يعني عبد الملك بن مروان وإنّه لوى ذنبه يعني ابن الزّبير.

---

(١)هو الصّديق الأكبر عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي بن أبي قحافة خليفة رسول الله ﷺ مات في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة ع.

١٨٦ـ حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون[١] حدثنا عيسى بن يونس عن عمر[٢] بن سعيد قال أخبرني ابن أبي مليكة دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزّبير قام في أمره هذا فقلت: لأحاسبنّ نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا لعمر وهما كانا أولى بكل خير منه وقلت: ابن عمة النّبي ﷺ وابن الزّبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أخت عائشة فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك فقلت: ما كنت أظنّ أنّي أعرض هذا من نفسي فيدعه وما أراه يريد خيراً وإن كان لا بد لأنّه يربُني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم.

ش: فيها ست وثلاثون مسألة:

الأولى: قوله «**كنت مع النبي ﷺ في الغار**» قلت المراد بالغار هو غار ثور كما ذكره ابن إسحاق وغيره من المؤرخين.

الثّانية: قوله «**فرأيت آثار المشركين**» قلت الآثار جمع أثر وهو موطىء أقدام القوم في الأرض وفي رواية موسى بن إسماعيل في الهجرة باب هجرة النّبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة «فرفعت رأسي فإذا أنا بأقدام القوم».

الثّالثة: قوله «**قلت يا رسول الله لو أنّ أحدهم رفع قدمه رآنا**» وقع في المناقب برواية محمد بن سنان «قلت للنبي ﷺ وأنا في الغار: لو أنّ أحدهم نضر تحت قدميه لأبصرنا» وفيه مجيء "لو" الشّرطية للإستقبال خلافاً للأكثر واستدل من جوزه بمجيء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى ﴿**لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم**﴾ وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم على الغار وعلى القول الأخر

---

(١) محمد بن عبيد بن ميمون المدني التبان التيمي مولاهم صدوق يخطىء من العاشرة خ.ق.

(٢) عمر بن سعيد بن أبي حسين النّوفلي المكي ثقة من السّادسة. خ.م.مد.ت.س.ق.

يكون قاله بعد مضيهم شكراً لله تعالى على صيانتهما منهم.

الرّابعة: قوله «**قال: ما ظنك باثنين الله ثالثهما**» في المناقب «فقال ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما» وفي رواية موسى «فقال أسكت يا أبا بكر إثنان الله ثالثهما» والمعنى أنّ رسول الله ﷺ يعزي رفيقه وصاحبه أبا بكر ويهون عليه أمر القوم ويطمأنه بأنّ الله حافظهما من مكر الماكرين وكيد الكائدين وفيه البشارة بأنّ الله متمّ لنبيه ﷺ ما أراد من الهجرة.

الخامسة: قوله «**أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزّبير**» أي بسبب البيعة وذلك أنّ ابن الزّبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيد بن معاوية وأصر على ذلك حتى أغرى يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بالمدينة فكانت وقعة الحرة، ثم توجه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلم بن عقبة وقام بأمر الجيش الشامي حصين بن نمير فحصر ابن الزّبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية فرجعوا إلى الشام وقام ابن الزّبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشّام، ثم غلب مروان على الشّام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قبل ابن الزّبير بمرج راهط، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنة أربع وستين، وكمل بناء الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختار ابن أبي عبيد على الكوفة ففر منه من كان من قبل ابن الزّبير، وكان محمد بن عليّ ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية وعبد الله بن عباس مقيمين بمكة منذ قتل الحسين، فدعاهما ابن الزّبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا: لا نبايع حتى يجتمع النّاس على خليفة، وتبعهما جماعة على ذلك، فشدد عليهم ابن الزّبير وحصرهم، فبلغ المختار فجهز إليهم جيشاً فأخرجوهما واستأذنهما في قتال ابن الزّبير فامتنعا، وخرجا إلى الطّائف فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابن الحنفية بعده

إلى جهة رضوى جبل بينبع فأقام هناك، ثم أراد دخول الشّام فتوجه إلى نحو أيلة فمات في آخر سنة ثلاث أو سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح.وعند الواقدي أنّه مات بالمدينة سنة إحدى وثمانين.

السّادسة: قوله «**أبوه الزّبير**» هو الزّبير بن العوام أحد العشرة المبشرين بالجنّة تقدمت ترجمته.

السّابعة: قوله «**وأمه أسماء**» هي أسماء بنت أبي بكر الصّديق ذات النّطاقين التيمية ماتت سنة ثلاث أو أربع وسبعين.

الثّامنة: «**وجدته صفية**» يعني بنت عبد المطلب بن هاشم عمة رسول الله ﷺ وهي أم الزّبير بن العوام.

التّاسعة: وقوله في الرّواية الثّانية «وأما عمته فزوج النّبي ﷺ» يعني خديجة بنت خويلد زوج النّبي ﷺ الأولى وهي عمة الزّبير أبي عبد الله فأطلق عليها عمته لأنّها عمة أبيه وهذا جائز شرعاً وعرفاً.

العاشرة: قوله «**ابن أبي بكر**» أطلق عليه ذلك لأنّه ابن بنته وقد قال ﷺ مثل ذلك في الحسن بن علي رضي الله عنهما وهو ابن فاطمة بنت محمد «إنّ ابني هذا سيد ...».الحديث.

الحادية عشرة: قوله «**فقلت لسفيان إسناده**» بالنّصب أي أذكر إسناده، أو بالرّفع أي ما إسناده.

الثانية عشرة: قوله «**فقال حدثنا فشغله إنسان ولم يقل ابن جريج**» ظاهر هذا أنّه صرح له بالتحديث لكن لما لم يقل ابن جريج احتمل أن يكون أراد أن يدخل بينهما واسطة، واحتمل عدم الواسطة، ولذلك استظهر البخاري بإخراج الحديث من وجه آخر عن ابن جريج، ثم من وجه آخر عن شيخه.قاله الحافظ.

الثالثة عشرة: قوله «**قال ابن أبي مليكة وكان بينهما شيء**» كذا أعاد الضمير بالتثنية على غير مذكور اختصاراً ومراده ابن عباس وابن الزّبير، وهو

صريح الرواية الأولى كما ترى حيث قال: قال ابن عباس حين وقع بينه وبين ابن الزّبير.

الرّابعة عشرة: قوله «**فتحل ما حرم الله**» أي من القتال في الحرم.

الخامسة عشرة: قوله «**كتب**» أي قدر.

السّادسة عشرة: قوله «**محلين**» أي أنّهم كانوا يبيحون القتال في الحرم وإنّما نسب ابن الزبير إلى ذلك وإن كان بنو أمية هم الذين ابتدؤه بالقتال وحصروه وإنما بدأمنه أولاً دفعهم عن نفسه لأنه بعد أن ردهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم، وكان بعض النّاس يسمي ابن الزّبير "المحل" لذلك.

السّابعة عشرة: وقوله «**لا أحله أبداً**» أي لا أبيح القتال فيه، وهذا مذهب ابن عباس أنّه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه.

الثّامنة عشرة: قوله «**قال قال النّاس بايع**» القائل هو ابن عباس وناقل ذلك عنه ابن أبي مليكة فهو متصل، والمراد بالنّاس من كان من جهة ابن الزّبير.

التّاسعة عشرة: وقوله «**وأين بهذا الأمر**» أي الخلافة أي ليست بعيدة عنه لما له من الشّرف بأسلافه الذين ذكرهم ثم صفته التي أشار إليها بقوله عفيف في الإسلام قارىء للقرآن، وفي رواية ابن قتيبة من طريق محمد بن الحكم عن عوانة ومن طريق يحيى بن سعد عن الأعمش قال «قال ابن عباس لما قيل له بايع لابن الزّبير: أين المذهب عن ابن الزّبير» قلت وفي هذا دليل على أنّ ابن عباس يرى استحقاق ابن الزّبير للخلافة.

العشرون: قوله «**والله إن وصلوني وصلوني من قريب**» أي بسبب القرابة.

الحادية والعشرون: قوله «**وإن ربوني**» بفتح الراء وضم الموحدة الثقيلة من التربية وفي رواية الكشميهني ربني بالإفراد.

الثّانية والعشرون: وقوله «**أكفاء**» أي أمثال واحدها كفء.

الثّالثة والعشرون: وقوله «**كرام**» أي في أحسابهم، وظاهر هذا أنّ مراد ابن عباس لما حضرته الوفاة بالطّائف جمع بنيه فقال. يابني إن ابن الزّبير لما خرج بمكة شددت أزره ودعوت النّاس إلى بيعته وتركت بني عمنا من بني أمية الذين إن قبلونا قبلونا أكفاء، وإن ربونا ربونا كراماً فلما أصاب ما أصاب جفاني. ويؤيد هذا ما في آخر الرواية الثّالثة حيث قال «وإن كان لا بد لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم» فإنّ بني عمه هم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف لأنهم من بني عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فعبد المطلب جد عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عم أمية جد مروان بن الحكم بن أبي العاص، وكان هاشم وعبد شمس شقيقين قال الشّاعر:

عبد شمس كان يتلو هاشما وهما بعد لأم ولأب

الرّابعة والعشرون: قوله «**فآثر علي**» بصيغة الفعل الماضي من الأثرة أي التّفضيل قال الحافظ:.ووقع في رواية الكشميهني «فأين» بتحتانية ساكنة ثم نون وهوتصحيف، وفي رواية ابن قتيبة المذكورة «فشددت على عضده فآثر علي فلم أرض بالهوان».

الخامسة والعشرون: قوله «**التّويتات والأسَامات والحُمَيدات يُريد أبطناً من بني أسد**» أما التويتات فنسبة إلى بني تويت بن أسد ويقال تويت بن الحارث بن عبد العزي بن قصي، وأما الأسامات فنسبة إلى بني أسامة بن أسد بن عبد العزي، وأما الحميدات فنسبة إلى بني حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزي، قال الحافظ قال الأزرقي: كان ابن الزّبير إذا دعا النّاس في الإذن بدأ ببني أسد على بني هاشم وبني عبد شمس وغيرهم، فهذا قول ابن عباس «فآثر علي التويتات الخ» إلى أن قال وجمع ابن عباس البطون المذكورة جمع القلة تحقيراً لها.

السّادسة والعشرون: قوله «**يريد أبطناً من بني أسد بن تويت**» كذا وقع

وصوابه يريد أبطناً من بني تويت بن أسد الخ نبه على ذلك عياض. قلت: وكذا وقع في مستخرج أبي نعيم على الصّواب، وفي رواية أبي مخنف المذكورة أفخاداً صغاراً من بني أسد بن عبد العزي، وهذا صوابه.اهـ من الفتح.

السّابعة والعشرون: قوله «**أن ابن أبي العاص**» يعني عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص.

الثّامنة والعشرون: قوله «**برز**» أي ظهر أمره وعلا شأنه يعني بالغلبة على أكثر الأقطار.

التّاسعة والعشرون: قوله «**يمشي القُدَمية**» بضم القاف وفتح الدال وقد تضم أيضاً وقد تسكن وكسر الميم وتشديد التحتانية، قال الخطابي وغيره: معناه التبختر وهو مَثَلٌ يريد أنه برز يطلب معالي الأمور. قال ابن الأثير: الذي في البخاري «القدمية» وهي التقدمية في الشّرف، وقيل التقدم بالهمة والفعل.

الثلاثون: قوله «**وأنه لوى ذنَبه**» يعني ابن الزّبير لوى بتشديد الواو وبتخفيفها أي ثناه، وكنى بذلك عن تأخره وتخلفه عن معالي الأمور.قال الحافظ: وكان الأمر كما قال ان عباس، فان عبد الملك لم يزل في تقدم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزّبير في تأخر إلى أن قتل رحمه الله تعالى.

الحادية والثلاثون: وقوله «**لأحاسبن نفسي**»أي لأناقشنها في معونته ونصحه، قاله الخطابي. وقال الدّاودي: معناه لأذكرن من مناقبه ما لم أذكر من مناقبهما، وإنما صنع ابن عباس ذلك لأشتراك النّاس في معرفة مناقب أبي بكر وعمر، بخلاف ابن الزّبير فما كانت مناقبه في الشّهرة كمناقبهما فأظهر ذلك ابن عباس وبيّنه للنّاس إنصافاً منه له.

الثّانية والثلاثون: قوله «**فإذا هو يتعلى عني**» أي يرتفع علي متنحياً عني.

الثالثة والثلاثون: قوله «**ولا يريد ذلك**» أي لا يريد أن أكون من خاصته.

الرّابعة والثلاثون: قوله «**ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي**» أي

أبدؤه بالخضوع له ولا يرضى مني بذلك.

الخامسة والثلاثون: وقوله «**وما أراه يريد خيراً**» أي لا يريد أن يصنع بي خيراً، قال الحافظ وفي رواية الكشميهني «وإنما أراه يريد خيراً» وهو تصحيف.

السّادسة والثلاثون: وقوله «**لأن يربني**» أي يكون عليَّ رباً أي أميراً، أو ربه بمعنى رباه وقام بأمره وملك تدبيره، قال التيمي: معناه لأن أكون في طاعة بني أمية أحب إلي من أن أكون في طاعة بني أسد، لأن بني أمية أقرب إلى بني هاشم من بني أسد.

١٥٨- [باب ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾].

ش: قلت الآية ﴿إنّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرّقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾.

لما ذكر الله تعالى اعتراض المنافقين الجهلة على النّبي ﷺ ولمزهم إياه في قسم الصّدقات بيّن تعالى أنه هو الذي قسمها وبين حكمها وتولى أمرها بنفسه و لم يكل ذلك إلى أحدٍ غيره فجزأه لهؤلاء المذكورين. وقد اختلف العلماء في هذه الأصناف الثّمانية هل يجب استيعاب الدّفع لها أو إلى ما أمكن منها؟ على قولين:

أحدهما: أنه يجب ذلك وهو قول الشّافعي وجماعة.

والثّاني: أنه لا يجب استيعابها بل يجوز الدّفع إلى واحد منها ويعطى جميع الصّدقة مع وجود الباقين وهو قول مالك وجماعة من السّلف والخلف منهم عمر وحذيفة وابن عباس وأبو العالية وسعيد بن جبير وميمون بن مهران.قال ابن جرير وهو قول عامة أهل العلم: وعلى هذا فإنما ذُكرت الأصناف ههنا لبيان المصرف لا لوجوب استيعابها.

قلت: وحديث الباب وسيأتي شاهد لهذا القول وإنما قدم الفقراء ههنا على البقية لأنهم أحوج من غيرهم على المشهور ولشدة فاقتهم وحاجتهم، وعند ابي حنيفة أن المسكين أسوأحالاً من الفقير وهو كما قال أحمد، وقال عمر ﷺ: الفقير ليس بالذي لا مال له، ولكن الفقير الأخلق الكسب، قال ابن علية: الأخلق المحارف عندنا، والجمهور على خلافه، وروي عن ابن عباس ومجاهد والحسن البصري وابن زيد. واختار ابن جرير وغير واحد أن الفقير هو المتعفف الذي لا يسأل النّاس شيئاً، والمسكين هو الذي يسأل ويطوف ويتبع النّاس، وقال قتادة: الفقير من به زمانة، والمسكين الصحيح الجسم.

وأما العاملون عليها فهم الجباة والسّعاة يستحقون منها قسطاً على ذلك ولا

يجوز أن يكونوا من أقرباء رسول الله ﷺ الذين تحرم عليهم الصّدقة لما ثبت في صحيح مسلم عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث أنه انطلق هو والفضل بن العباس يسألان رسول الله ﷺ ليستعملهما على الصّدقة فقال: «إن الصّدقة لا تحل لمحمد ولا لآل محمد إنما هي أوساخ النّاس».

وأما المؤلفة قلوبهم فأقسام:

الأول: من يعطى ليسلم كما أعطى النبي ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وقد كان شهدها مشركاً، قال فلم يزل يعطيني حتى صار أحب النّاس إليّ بعد أن كان أبغض النّاس إليّ.

الثّاني: من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه كما أعطى يوم حنين أيضاً جماعة من صناديد الطلقاء وأشرافهم مائة من الإبل وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم».

الثالث: من يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه.

الرابع: من يعطى ليجبي الصّدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد.

وهل تعطى المؤلفة على الإسلام بعد النبي ﷺ ؟ فيه خلاف، فروي عن عمر وعامر والشّعبي وجماعة أنهم لا يعطون بعده لأن الله قد أعز الإسلام وأهله ومكن لهم في البلاد، وأذل لهم رقاب العباد. وقال آخرون: بل يعطون لأنه عليه الصلاة والسلام قد أعطاهم بعد فتح مكة وكسر هوازن وهذا أمر قد يحتاج إليه فصرف إليهم.

قلت: وهذا هو الصحيح لعموم الآية.

وأما **الرّقاب** فروي عن الحسن البصري ومقاتل بن حيان وعمر بن عبد العزيز وسعيد بن جبير والنّخعي والزّهري وابن زيد أنهم المكاتبون، وروي عن أبي موسى الأشعري نحوه وهو قول الشّافعي والليث رضي الله عنهما. وقال ابن

عباس: والحسن لا بأس أن تعتق الرّقبة من الزكاة وهو مذهب أحمد ومالك وإسحاق أي أن الرّقاب أعم من أن يعطي المكاتب أو يشتري رقبة فيعتقها استقلالاً.

وأما **الغارمون** فهم أقسام فمنهم من تحمل حمالة أو ضمن ديناً فلزمه فأجحف بماله أو غرم في أداء دينه أو في معصية ثم تاب فهؤلاء يدفع إليهم، والأصل في هذا الباب حديث قبيصة بن مخارق الهلالي قال: تحملت حمالة فأتيت رسول الله ﷺ أسأله فقال: أقم حتى تأتيني الصّدقة فنأمر لك بها قال ثم قال يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك. الحديث.

وأما في **سبيل الله** فمنهم الغزاة الذين لا حق لهم في الديوان، وعند الإمام أحمد والحسن وإسحاق الحج في سبيل الله للحديث، وكذلك ابن السّبيل وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء يستعين به على سفره فيعطى من الصّدقات ما يكفيه إلى بلده وإن كان له مال، وهكذا الحكم فيمن أراد إنشاء سفر من بلده وليس معه شيء فيعطى من مال الزكاة كفايته في ذهابه وإيابه.

وقوله ﴿**فريضة من الله**﴾ أي حكما مقدراً بتقدير الله وفرضه وقَسمه. ﴿**والله عليم حكيم**﴾ أي عليم بظواهر الأمور وبواطنها وبمصالح عباده. ﴿**حكيم**﴾ فيما يقوله ويفعله ويشرعه ويحكم به لا إله إلا هو ولا رب سواه»اهـ من تفسير ابن كثير بتصرف.

[قال مجاهد: يتألفهم بالعطية]

أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نَجيح عن مجاهد قال: ناس كان يتألفهم بالعطيّة، عيينةَ بنَ بدرٍ ومن كان معه.

١٨٧ـ حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبيه[١] عن ابن أبي نُعْم[٢] عن أبي سعيد ﷺ قال: بُعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة وقال: أتألفهم فقال رجل: ما عدلت فقال: يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدّين.

ش: فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**بعث إلى النبي ﷺ بشيء**» وقع في بعث عليّ في المغازي من رواية عمارة بن القعقاع بن شبرمة بعث عليّ ﷺ إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها. وعند مسلم في الزّكاة باب ذكر الخوارج «بعث عليّ ﷺ وهو باليمن بذهبة في تربتها إلى رسول الله ﷺ.».

الثّانية: قوله «**فقسمه بين أربعة**» وقع تسميتهم في رواية عمارة المتقدمة بلفظ «بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرّابع إما علقمة وإما عامر بن الطّفيل» وعند مسلم بلفظ بين أربعة نفر «الأقرع بن حابس الحنظلي وعيينة بن بدر الفزاري وعلقمة بن علاثة العامري ثم أحد بني كلاب، وزيد الخير الطائي ثم أحد بني نبهان.»

الثّالثة: قوله «**أتألفهم**» وقع عند مسلم «قال فغضبت قريش فقالوا أيعطي صناديد نجد ويدعنا فقال رسول الله ﷺ: إني إنما فعلت ذلك لأتألفهم.» قلت فبان بهذا أن رسول الله ﷺ قال هذه المقالة لما بلغه من اعتراض القوم ومعنى التألف: المداراة والإيناس بترغيب هؤلاء القوم بما نالهم من العطية ليثبتوا على الإسلام.

الرابعة: قوله «**فقال رجل**» قلت في علامات النّبوة من المناقب عن أبي

(١) هو سعيد بن مسروق الثوري والد سفيان ثقة من السّادسة مات سنة ست وعشرين ومائة وقيل بعدها. ع.

(٢)هو عبد الرحمن بن أبي نعم بضم النون وسكون المهملة البجلي أبو الحكم الكوفي العابد صدوق من الثالثة مات قبل المائة. ع.

سلمة بن عبد الرحمن عن أبي سعيد قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسماً إذ أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم. وقد وصفه في المغازي، وعند مسلم في الزّكاة «فقال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمّر الإزار».

الخامسة: قوله «**ما عدلت**» عند المصنف في المغازي وعند مسلم في الزّكاة بلفظ «**اتق الله**» وفي علامات النبوة من المناقب «يا رسول الله اعدل» **قلت** وهذا اختلاف في اللفظ وحاصله إتهام ذو الخويصرة التميمي نبي الله ﷺ بالحيف والجور في القسمة وهذا دليل على فرط جهله وقلة فقهه وسوء أدبه مع رسول الله ﷺ.

السّادسة: قوله «**يخرج من ضئضيء**» كذا للأكثر بضادين معجمتين مكسورتين بينهما تحتانية مهموزة ساكنة وفي آخره تحتانية مهموزة أيضاً، وفي رواية الكشميهني بصادين مهملتين، فأما بالضاد المعجمة فالمراد به النّسل والعقب وفي رواية سعيد بن مسروق في حديث الأنبياء، «**إنه من ضئضيء هذا أومن عقب هذا**» انتهى من الفتح.

السّابعة: قوله «**قوم يمرقون من الدّين**» في المغازي «قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدّين كما يمرق السّهم من الرّمية» وعند مسلم «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» وفيه رد على من أول الدّين هنا بالطّاعة وقال: إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء، والذي يظهر أنّ المراد بالدّين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال.قاله الحافظ.

من فقه الحديث

أولاً: تخصيص الإمام بعض جنده دون بعض في قسمة ما يأتيه من الأموال تألفاً لهم ولمصلحة راجحة.

ثانياً: حلم النبي ﷺ وسعة صدره.

ثالثاً: في قوله ﷺ يخرج من ضئضيء هذا . . .الخ الحديث علم من أعلام النبوة وذلك بإخباره بظهور الخوارج فوقع كما قال وأول ظهورهم كان في عهد عليّ ﷺ.

١٥٩- [باب قوله ﴿**الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين**﴾]

ش: تمامها ﴿**في الصّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم**﴾.

يقول تعالى ذكره: الذين يلمزون المطوعين في الصّدقة على أهل المسكنة والحاجة بما لم يوجبه الله عليهم في أموالهم، ويطعنون فيها عليهم بقولهم: إنما تصدقوا رياء وسمعة، ولم يريدوا وجه الله ويلمزون الذين لا يجدون ما يتصدقون به إلا جهدهم، وذلك طاقتهم، فيتنقصونهم ويقولون لقد كان الله عن صدقة هؤلاء غنياً سخرية منهم بهم ﴿**فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم**﴾. يقول ولهم من عند الله يوم القيامة عذاب موجع مؤلم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿يلمزون﴾ : يعيبون].

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى: ﴿**ومنهم من يلمزك بالصّدقات**﴾.

وزاد قال الزّياد الأعجم:

إذا لقيتك تبدي لي مكاشرة وإن أغيب فأنت العائب اللّمزه

٢- [«جُهدهم» و «جَهدهم» طاقتهم].

ش: قال أبو عبيدة: مضموم ومفتوح سواء ومجازه طاقتهم،ويقال جهد.

١٨٨- حدثني بشر بن خالد أبو محمد أخبرني محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن أبي مسعود[1] قال:لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت ﴿الذين

(١) عقبة بن عامر بن ثعلبة الأنصاري أبو مسعود البدري صحابي جليل مات قبل الأربعين وقيل بعدها. ع.

يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصّدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم﴾.

١٨٩ـ حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: قلت لأبي أسامة أحدثكم زائدة[١] عن سليمان عن شقيق عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالصّدقة فيحتال أحدنا حتى يجيء بالمد، وإن لأحدهم اليوم مائة ألف، كأنه يعرض بنفسه.

ش: فيهما عشر مسائل:

الأولى: قوله «**لما أمرنا بالصّدقة**» في رواية أبي النّعمان بلفظ «لما نزلت آية الصّدقة» قلت ولعله يعني قوله تعالى: **﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها﴾**.

الثّانية: قوله «**كنا نتحامل**» وقع في الزّكاة باب اتقوا النار ولو بشق تمرة «كنا نحامل» أي نحمل على ظهورنا بالأجرة وقال صاحب المحكم: تحامل في الأمر أي تكلفه على مشقة ومنه تحامل على فلان أي كلفه ما لا يطيق.

الثّالثة: قوله «**فجاء أبو عقيل بنصف صاع**» اسم أبي عقيل هذا هو بفتح أوله الحبحاب بمهملتين بينهما موحدة ساكنة وآخرها مثلها أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال في قوله **﴿الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصّدقات﴾**. قال جاء رجل من الأنصار يقال له الحبحاب أبو عقيل فقال يا نبي الله بت أجز الجريد على صاعين من تمر فأما صاع فأمسكته لأهلي وأما صاع فهو هذا فقال المنافقون: إن كان الله ورسوله لغنيين عن صاع أبي عقيل فنزلت الخ. وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد وابن مندة وقال وهذا مرسل.

قلت: وأخرج ابن جرير من طريق موسى بن عبيدة عن خالد بن يسار عن

---

(١) هو أبو الصلت زائدة بن قدامة الثقفي الكوفي ثقة ثبت صاحب سنة من السّابعة مات سنة ستين ومائة وقيل بعدها. ع.

ابن أبي عقيل عن أبيه بهذا و لم يسمه.

وقال الحافظ: «وذكر السّهيلي أنه رآه بخط بعض الحفاظ مضبوطاً بجيمين».

الرّابعة: قوله «**وجاء إنسان بأكثر منه**» في الزّكاة «فجاء رجل فتصدق بشيء كثير».

الخامسة: قوله «**فقال المنافقون**» سمى الواقدي في مغازيه معتب بن قشير وعبد الرحمن بن نبتل.

السّادسة: قوله «**فنزلت الذين يلمزون المطوعين...**» فيه دليل على أن تلك المقولة سبب نزول هذه الآية وفي ذلك ذم للآمزين وثناء على أولئك المتصدقين الذين جادوا بما في وسعهم وطاقتهم.

السّابعة: قوله «**فيحتال**» وقع في الزّكاة «إذا أمرنا بالصّدقة انطلق أحدنا إلى السّوق فتحامل».

الثّامنة: قوله «**حتى يجيء بالمد**» المد هو ملىء اليدين المتوسطتين وهو ربع صاع النبي ﷺ والمعنى أن أحدهم من قلة ما في يده يأتي بهذا المقدار قربة إلى الله وامتثال لأمر النبي ﷺ.

التّاسعة: قوله «**وإن لأحدهم اليوم مائة ألف**» مائة بالنّصب على أنها إسم (إنّ) والخبر لأحدهم أو لبعضهم واليوم ظرف و لم يذكر مميز المائة ألف فيحتمل أن يريد الدراهم أو الدنانير أو الأمداد.

العاشرة: قوله «كأنه يعرض بنفسه» القائل هو شقيق الراوي عن أبي مسعود قال الحافظ في معنى هذه العبارة: ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصّدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها مع تكلفهم، أو أراد الإشارة إلى ضيق العيش في زمن الرسول وذلك لقلة ما وقع من الفتوح والغنائم في زمانه وإلى سعة عيشهم بعده بكثرة الفتوح والغنائم.قلت: وهذا توجيه جيد ومأخذ لطيف يناسب لفظ الخبر.

١٦٠- باب **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾**.

ش: تمامها **﴿ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**

قوله **﴿استغفر لهم﴾** إلى قوله **﴿فلن يغفر الله لهم﴾** يخبر تعالى نبيه ﷺ بأنّ هؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للإستغفار وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم وقد قيل أنّ السبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الإستغفار لهم لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامها ولا تريد التحديد بها ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها. ويؤيد عدم مفهوم العدد ههنا قوله تعالى في موضع آخر **﴿سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم فلن يغفر الله لهم إنّ الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾**.

وقوله **﴿ذلك بأنهم كفروا﴾** إلى قوله **﴿الفاسقين﴾** أي ذلك الإمتناع بسبب كفرهم بالله ورسوله، **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** أي المتمردين الخارجين عن الطّاعة المتجاوزين لحدودها، والمراد هنا الهداية الموصلة إلى المطلوب لا الهداية التي بمعنى الدلالة وإراءة الطريق.

من فقه الآية

أولاً: قطع رجاء من مات من أهل النفاق الإعتقادي من المغفرة.

ثانياً: الجزاء من جنس العمل، فمن كان أهلاً للهداية يسر الله له سبيلها.

ثالثاً: إنّ النّفاق الإعتقادي مانع من هداية التوفيق والقبول.

١٩٠- حدثنا عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيدالله[1] عن نافع

(١) عبيد الله هو أبو بكر عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني شقيق سالم ثقة من الثالثة مات سنة ست ومائة. ع.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: لما توفي عبد الله جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه، فقال رسول الله ﷺ: إنما خيرني الله فقال ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾ وسأزيده على السبعين قال:إنه منافق قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾.

١٩١ـ حدثنا يحيى بن بكير[١] حدثنا الليث عن عقيل وقال غيره حدثني عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: لما مات عبد الله بن أبي بن سلول دعى له رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أُبي؟ وقد قال يوم كذا :كذا وكذا، قال: أُعَدِّد عليه قولَه، فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخّر عنّي ياعمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خُيِّرتُ فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾ إلى قوله ﴿وهم فاسقون﴾. قال: فعجبتُ بعدُ من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم.

(١) هو يحيى بن عبد الله بن بكير المخزومي مولاهم المصري ثقة في الليث وتكلموا في سماعه من مالك، من كبار العاشرة مات سنة إحدى وثلاثين [ومائتين]. وله سبع وسبعون. خ. م. ق.

ش: فيهما أربع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**لما توفي عبد الله بن أبي**» ذكر الواقدي ثم الحاكم في «الإكليل» أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع وكانت مدة مرضه عشرين يوماً إبتداؤها من ليال بقيت من شوال قالوا: وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك وفيهم نزلت ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً**﴾. حكاه في الفتح.

الثّانية: قوله «**جاء ابنه عبد الله بن عبد الله**» وقع في رواية الطبري في تفسير قوله ﴿**استغفر لهم أو لا تستغفر**﴾. من طريق الشّعبي لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال يا نبي الله إن أبي قد احتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه قال ما إسمك؟ قال الحباب يعني بضم المهملة وموحدتين مخففاً قال: قال بل أنت عبد الله، الحباب اسم للشيطان ، ــ قلت: وهذه القصة مرجوحة لأمرين:

أحدهما: أنها مرسلة ضعيفة الإسناد.

وثانيهما: أنها معارضة بما وجد في عهد النبي ﷺ ممن اسمه الحباب من الصحابة وهم تسعة ومنهم ، الحباب بن المنذر بن الجموح ، وعلى فرض ثبوت صحتها فإن النهي فيها عن التسمية بالحباب للكراهة . والله أعلم ــ.

وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي هذا من فضلاء الصّحابة وشهد بدراً وما بعدها واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصّديق قال الحافظ: ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في قتله، قال: بل أحسن صحبته. أخرجه ابن مندة من حديث أبي هريرة بإسناد حسن.

الثّالثة: قوله «**فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه**» السّائل هو عبد الله بن عبد الله بن أبي والمسؤول هو رسول الله ﷺ وأراد عبد الله بن عبد الله بن أبي بذلك التبرك بثوب رسول الله ﷺ.

الرّابعة: قوله «**ثم سأله أن يصلي عليه**» ثم حرف عطف تفيد الترتيب مع التراخي وعلى هذا فإن ولد عبد الله بن أبي سأل النبي ﷺ أن يصلي على أبيه بعد سؤاله قميصه وقد أطمعه في هذه المسائل كريم خلق النبي ﷺ وشفقته بأمته ومحبته الخير لهم.

الخامسة: قوله «**فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه**» في حديث ابن عباس عن عمر ثاني حديثي الباب «فلما قام رسول الله ﷺ» وعند الترمذي في تفسير الآية من هذا الوجه «فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصّلاة عليه وثبت إليه فقلت يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا: كذا وكذا أعدد عليه قوله» يشير بذلك إلى مثل قوله ﴿**لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا**﴾ وإلى مثل قوله ﴿**ليخرجن الأعز منها الأذل**﴾ وهاتان الآيتان من سورة إذا جاءك المنافقون.

السّادسة: قوله «**فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه**» كذا في هذه الرواية إطلاق النّهي عن الصلاة، وقد استشكل جداً حتى أقدم بعضهم فقال: هذا وهم من بعض رواته، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع إلى نهي خاص في ذلك. قال الحافظ: وقال القرطبي لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله ﴿**ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين**﴾ قلت: الثّاني يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث «قال فأنزل الله ولا تصلي على أحد منهم» والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزاً بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر قلت: ولفظها عن عبيد الله بن عمر «فقال تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم» وأخرج ابن جرير من طريق الشّعبي عن ابن عمر عن عمر قال أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي فأخذت بثوبه فقلت: والله ما أمرك الله بهذا لقد قال إن

تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم. قلت وعزاه الحافظ إلى عبد بن حميد. قلت: ما أحسن هذا الإستنباط فإن النهي عن الإستغفار للمنافقين يستلزم عدم الصّلاة عليهم لتضمن الصّلاة الدّعاء والإستغفار له.

السّابعة: قوله «**إنما خيرني الله فقال**» وفي حديث ابن عباس عن عمر من الزيادة «فتبسم رسول الله ﷺ وقال أخر عني يا عمر فلما أكثرت عليه قال إني خيرت فاخترت» أي خيرت بين الإستغفار وعدمه وقد بين ذلك حديث ابن عمر حيث ذكر الآية المذكورة.

الثّامنة: قوله «**إنه منافق**» يعني مظهراً للإسلام مبطناً للكفر وقد قال ذلك عمر تعليلاً لمشورته على النبي ﷺ بعدم الصّلاة على ابن أبي.

التّاسعة: قوله: «**فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ولا تصلي على أحد منهم﴾** الآية في حديث ابن عباس «فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة **﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً﴾** إلى قوله **﴿وهم فاسقون﴾** وسيأتي شرحها في الباب الذي يليه.

العاشرة: قوله «**أخر عني يا عمر**» أي أخر عني مقولتك ومشورتك. وقوله إني خيرت فاخترت تعليل لأمره ﷺ عمر بالسّكوت عن مشورته.

الحادية عشرة: قوله «فصلى عليه ثم انصرف» زاد ابن إسحاق في المغازي قال: حدثني الزهري بسنده في ثاني حديثي الباب قال فما صلى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله، ومن هذا الوجه أخرجه ابن أبي حاتم وأخرجه ابن جرير من وجه آخر عن ابن إسحاق فزاد فيه «**ولا قام على قبره**».

الثّانية عشرة: قوله «**فعجبت بعد**» بضم داله لإنقطاعه عن الإضافة والمضاف إليه محذوف تقديره بعد ذلك.

الثّالثة عشرة: قوله «**من جرأتي على رسول الله ﷺ**» يعني من شدة الإقدام على رسول الله ﷺ.

الرّابعة عشرة: قوله «**والله ورسوله أعلم**» ظاهره أنه قول عمر ويحتمل أن يكون قول ابن عباس والأول أظهر لمناسبته ظاهر الخبر.

من فقه الحديثين:

أولاً: جواز تكفين الميت في القميص. وفي المغني (٣٨٣/٣) قال: «الأفضل عند إمامنا ـ رحمه الله ـ أن يكفن الرجل في ثلاث لفائف بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، لا يزيد عليها ولا ينقص منها، قال الترمذي: والعمل عليها عند أكثر أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وهو مذهب الشافعي ويستحب كون الكفن أبيض لأن النبي ﷺ كفن في ثلاثة أثواب بيض ولقول رسول الله ﷺ إلبسو من ثيابكم البيض فإنه أطهر وأطيب وكفنوا فيه موتاكم . رواه النسائي وحكي عن أبي حنيفة أن المستحب أن يكفن في إزار ورداء وقميص لما روي عن ابن المغفل أن النبي ﷺ كفن في قميصه ولأن النبي ﷺ ألبس عبدا لله بن أبي قميصه وكفنه به رواه النسائي»انتهى محل الغرض

ثانياً: كريم خلق النبي ﷺ وسعة صدره.

ثالثاً: عظيم شفقته على أمته.

رابعاً: فقه عمر ﷺ.

خامساً: نهي الإمام عن الصّلاة على المنافقين نفاقاً اعتقادياً.

١٦١- [باب **﴿ولا تصل على أحدٍ منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾**].

ش: تمامها، **﴿إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾**. يأمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه وهذا حكم عام في كل من عرف نفاقه وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين.

قلت: فالآية نص صريح على كفر من مات على النّفاق الإعتقادي.

١٩٢- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا أنس بن عياض عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق، وقد نهاك الله أن تستغفر لهم قال: إنما خيرني الله ـ أو أخبرني ـ فقال: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾. فقال: سأزيده على سبعين قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل الله عليه ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾.

مضى شرحه في الباب قبله.

١٦٢- [باب قوله ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون﴾].

ش: يقول تعالى ذكره سيحلف أيها المؤمنون با لله لكم هؤلاء المنافقون الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول ا لله **﴿إذا انقلبتم إليهم﴾** يعني إذا انصرفتم إليهم من غزوكم لتعرضوا عنهم فلا تأنبوهم فأعرضوا عنهم يقول جل ثناؤه للمؤمنين، فدعوا تأنيبهم وخلوهم وما اختاروا لأنفسهم من الكفر والنّفاق **﴿إنهم رجس ومأواهم جهنم﴾** يقول: إنهم نجس ومأواهم جهنم، يقول ومصيرهم إلى جهنم وهي مسكنهم الذي يأوونه في الآخرة **﴿جزاء بما كانوا يكسبون﴾**. يقول: ثواباً بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدّنيا من معاصي ا لله.

١٩٣- حدثنا يحيى حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن[١] بن عبد الله أن عبد الله[٢] بن كعب بن مالك قال: سمعت كعب[٣] ابن مالك حين تخلف عن تبوك: والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته، فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أُنزل الوحي ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم﴾ ـ إلى ـ ﴿الفاسقين﴾.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى:قوله «**والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني**» يعني هداني

---

(١) هو أبو الخطاب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المري ثقة عالم من الثالثة مات في خلافة هشام. خ. م. د. س.

(٢) هو عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري المدني ثقة يقال له رؤية مات سنة سبع أو ثمان وتسعين. خ. م. د. س. ق.

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري السَّلمي بالفتح المدني صحابي مشهور وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا، مات في خلافة عليّ. ع.

للإسلام وفيه التحدث بالنعمة ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

الثّانية: قوله «**أعظم من صدقي رسول الله ﷺ**» يعني حين يسألني عن سبب تخلفي عن غزوة تبوك فلا أكتمه شيئاً من خبري، يوضحه قوله كما أخرجه عنه المصنف في المغازي باب حديث كعب. «فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ما خلفك ألم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت: بلى إني والله ـ يا رسول الله ـ لو جلست عند غيرك من أهل الدّنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر ولقد أعطيت جدلاً ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك عليّ ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله، ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ أما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك.

الثّالثة: قوله «**أن لا أكون كذبته**» بدل من قوله «من صدقي» أي ما أنعم الله عليّ من نعمة أعظم من عدم كذبي ثم عدم هلاكي قال النووي رحمه الله: قالوا: لفظة «لا» زائدة ومعناه أن أكون كذبته نحو ما منعك أن لا تسجد.

الرّابعة: قوله «**فأهلك كما هلك الذين كذبوا**» ما أُراه إلا يشير إلى ما نزل في المتخلفين من المنافقين من الوعيد والفضيحة ومن ذلك آية الباب.

١٦٣- [باب قوله ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم**﴾ إلى قوله ﴿**الفاسقين**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾.

يقول تعالى ذكره يحلف لكم أيها المؤمنون با لله هؤلاء المنافقون إعتذاراً بالباطل والكذب ﴿**لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾ يقول فإن أنتم أيها المؤمنون رضيتم عنهم وقبلتم معذرتهم إذ كنتم لا تعلمون صدقهم من كذبهم فإن رضاكم عنهم غير نافعهم عند ا لله لأن ا لله يعلم من سرائر أمرهم ما لا تعلمون ومن خفيّ إعتقادهم ما تجهلون وأنهم على الكفر با لله يعني أنهم الخارجون من الإيمان إلى الكفر با لله ومن الطاعة إلى المعصية.

تنبيه

لم يذكر المصنف ههنا حديثاً وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره لهذه الآية قال: أخبرنا حجاج بن حمزة عن شبابة عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يحلفون لكم لترضوا إلى قوله الفاسقين قال في المنافقين.

قلت: وهذا خبر مرسل كما هو ظاهر الإسناد فلا تقوم به الحجة وأظن أن البخاري رحمه ا لله لم يخرجه في الباب لهذه العلة.

١٦٤- [باب قوله ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾].

لما بين الله تعالى حال المنافقين المتخلفين عن الغزاة رغبة عنها وتكذيباً وشكاً شرع في بيان حال المذنبين الذين تأخروا عن الجهاد كسلاً وميلاً إلى الراحة مع إيمانهم وتصديقهم بالحق فقال **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** أي أقروا بها واعترفوا فيما بينهم وبين ربهم ولهم أعمال أخر صالحة خلطوا هذه بتلك فهؤلاء تحت عفو الله وغفرانه وهذه الآية وإن كانت نزلت في أُناس معينين وهم أبو لبابة وجماعة من أصحابه كما قال ابن عباس إلا أنها عامة في كل المذنبين الخطائين المتلوثين.

وقوله **﴿عسى الله أن يتوب عليهم﴾** دليل على أنه قد وقع منهم مع الإعتراف ما يفيد التوبة أو أن مقدمة التوبة وهي الإعتراف قامت مقام التوبة، وحرف الترجي وهو عسى هو في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع لأن الإطماع من الله سبحانه إيجاب لكونه أكرم الأكرمين.

وقوله **﴿إن الله غفور رحيم﴾** أي يغفر الذنوب ويتفضل على عباده.

من فقه الآية

أولاً: سعة فضل الله وسعة رحمته بقبول التوبة.

ثانياً: الحث على التوبة والإستغفار.

ثالثاً: إثبات صفتي الرحمة والمغفرة لله.

١٩٤ـ حدثنا مؤمل هو ابن هشام[١] حدثنا إسماعيل بن إبراهيم[٢] حدثنا عوف[٣] حدثنا أبو رجاء[٤] حدثنا سمرة بن جندب[٥] ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لنا: أتاني الليلة آتيان، فابتعثاني، فانتهيا بي إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم إذهبوا فقعوا في ذلك النّهر، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السّوء عنهم فصاروا في أحسن صورة قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك قالا: أما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم.

ش: فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**أتاني الليلة**» في تفسير الرؤية بعد صلاة الصبح من هذا الوجه «**أنه أتاني**» والليلة منصوب على الظرفية.

الثانية: قوله «**آتيان**» في رواية هوذة عن عوف عند ابن أبي شيبة «اثنان أو آتيان» بالشّك وفي رواية جرير «رأيت رجلين أتياني» وفي حديث عليّ «رأيت

(١) هو أبو هشام مؤمل بن هشام اليشكري البصري ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وخمسين.ومائتين خ. د. س.

(٢) هو أبو بشر إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم الأسدي مولاهم البصري المعروف بابن علية ثقة حافظ من الثامنة مات سنة ثلاث وتسعين [ومائة] وهو ابن ثلاث وثمانين ع.

(٣) هو عوف بن أبي جميلة الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع من السّادسة مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة وله ست وثمانون. ع.

(٤) هو عمران بن ملحان ويقال ابن تيم العطاردي مشهور بكنيته مخضرم ثقة معمر مات سنة خمس ومائة وله مائة وعشرون سنة. ع.

(٥) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار صحابي مشهور له أحاديث مات بالبصرة سنة ثمان وخمسين. ع.

ملكين».

الثّالثة: قوله «**ابتعثاني**» في التعبير «وأنهما ابتعثاني بموحدة ثم مثناة وبعد العين المهملة مثلثة كذا للأكثر، ومعنى ابتعثاني أرسلاني، كذا قال في الصحاح بعثته وابتعثته أرسلته، يقال ابتعثه إذا أثاره وأذهبه، وقال ابن هبيرة معنى ابتعثاني أيقظاني، ويحتمل أن يكون رأى في المنام أنهما أيقظاه فرأى ما رأى في المنام ووصفه بعد أن أفاق على أن منامه كاليقظة.

الرابعة: قوله «**فانتهيا بي**» في التعبير «واني انطلقت معهما» زاد جرير ابن حازم في روايته إلى الأرض المقدسة و عند احمد إلى أرض فضاء أو أرض مستوية، وفي حديث عليّ «فانطلقا بي إلى السماء» قال مقيده والجمع بينهما وا لله أعلم أن ذينك الآتيين انطلقا برسول ا لله ﷺ أولاً إلى الأرض المقدسة وهي الأرض المستوية وفي فضاء ثم انطلقا به بعد إلى السماء حيث رأى ما رأى.

الخامسة: قوله «**فانتهيا بي إلى مدينة مبينة بلبن ذهب ولبن فضة**» وفي التعبير «فانتهيا إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن قال: قالا لي إرق فيها» وفي رواية أحمد والنسائي في التفسير وأبي عوانة «إلى دوحة» بدل «روضة» والدوحة الشجرة الكبيرة، وفيه «وصعدا في الشجرة» وهي التي تناسب الرقي والصعود واللبن بفتح اللام وكسر الموحدة جمع لبنة وأصلها ما يبنى به من طين وفي رواية جرير بن حازم «فأدخلاني داراً لم أر قط أحسنَ منها، فيهارجالٌ شيوخٌ وشباب ونساءٌ وفتيان، ثم أخرجاني منها فأدخلاني داراً هي أحسن منها.

السادسة: قوله «**فتلقانا رجالٌ، شطرٌ مِن خَلْقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راءٍ**» بفتح الخاء وسكون اللام بعدها قاف أي هيئتهم، وقوله شطر مبتدأ وكَأحسن الخبر والكاف صلة والجملة صفة رجال وهذا الإطلاق يحتمل أن يكون المراد أن نصفهم حسن كله ونصفهم قبيح كله ويحتمل أن يكون كل واحد منهم نصفه حسن ونصفه قبيح، والثاني هو الأظهر

ويؤيده قولهم في صفتهم «هؤلاء قوم خلطوا» أي عمل كل منهم عمـ ؟ وخلطه بعمل سيء.

السابعة: قوله «**فقعوا في ذلك النهر**» بصيغة فعل الأمر بالوقوع والمراد أنهم ينغمسون فيه ليغسل تلك الصفة بهذا الماء الخاص.

الثامنة: قوله «**ذهب ذلك السوء عنهم**» أي صار القبيح كالشطر الحسن فلذلك قال «فصاروا في أحسن صورة».

التاسعة: قوله «**قالا لي هذه جنة عدن**» يعني المدينة التي رآها مبنية من ذهب وفضة.

العاشرة: قوله «**وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسن وشطر منهم قبيح**» كذا في الموضعين بالرفع على أن كان تامة وفي التعبير بالنصب فيهما على أن كان ناقصة.

الحادية عشرة: قوله «**فإنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**» هذا وجه الشاهد من الحديث وفيه دليل على ما قدمناه في تفسير الآية بأنها عامة وإن كانت في معينين كما أن فيه دليل على عفو الله عن من تساوت حسناته وسيئاته.

تنبيه:

أورد المصنف هذا الحديث بتمامه من هذا الوجه في كتاب التعبير وفيه من الفقه والفوائد.

أولاً: أن بعض العصاة يعذبون في البرزخ.

ثانياً: فيه نوع من تلخيص العلم وهو أن يجمع القضايا جملة ثم يفسرها على الولاء ليجتمع تصورها في الذهن.

ثالثاً: التحذير من النوم عن الصلاة المكتوبة ورفض القرآن لمن يحفظه وعن الزنا وأكل الربا وتعمد الكذب.

رابعاً: أن الذي له قصر في الجنة لا يقيم فيه وهو في الدنيا بل إذا مات حتى النبي والشهيد.

ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح.١٢/٥٤٤.

١٦٥- [باب **﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين﴾**].

ش:تمامها **﴿ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾**.

يقول تعالى ذكره: ما كان ينبغي للنبي محمد ﷺ والذين ءامنوا به أن يستغفروا يقول أن يدعوا بالمغفرة للمشركين ولو كان المشركون الذين يستغفرون لهم أولي قربى، ذوي قرابة لهم **﴿من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾** يقول من بعد ما ماتوا على شركهم با لله وعبادة الأوثان وتبين لهم أنهم من أهل النار لأن ا لله قد قضى أن لا يغفر لمشرك، فلا ينبغي لهم أن يسألوا ربهم أن يفعل ما قد علموا أنّه لا يفعله.

من فقه الآية

أولاً: وجوب المعاداة والبغض في ا لله.

ثانياً: النهي عن الدعاء للمشرك والإستغفار له.

١٩٥- حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبيه[١] قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية فقال النبي ﷺ أي عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فنزلت ﴿ما كان للنبي والذين ءامنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾.

ش: سيأتي الحديث بتمامه في تفسير سورة القصص ضمن الباب رقم ثلاث وستين ومائتين وهناك يأتي الكلام عليه إن شاء ا لله.

---

(١) هو المسيب بن حزن بن أبي وهب المخزومي أبو سعيد له ولأبيه صحبة عاش إلى خلافة عثمان.خ. م. د. س.

١٦٦- [باب ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لقد رزق الله الإنابة إلى أمره وطاعته نبيه محمد ﷺ والمهاجرين ديارهم وعشيرتهم إلى دار الإسلام وأنصار رسوله في الله الذين اتبعوا رسول الله في ساعة العسرة منهم من النفقة والظهر والزاد والماء **﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾** يقول من بعد ما كاد يميل قلوب بعضهم عن الحق ويشك في دينه ويرتاب بالذي ناله من المشقة والشدة في سفره وغزوه **﴿ثم تاب عليهم﴾** يقول ثم رزقهم جل ثناؤه الإنابة والرجوع إلى الثبات على دينه وإبصار الحق الذي كان قد كاد يلتبس عليهم **﴿إنه بهم رؤوف رحيم﴾** يقول إن ربكم بالذي خالط قلوبهم ذلك لما نالهم في سفرهم من الشدة والمشقة رؤوف رحيم أن يهلكهم فينزع منهم الإيمان بعد ما قد أبلوا في الله ما أبلوا مع رسوله وصبروا عليه من البأساء والضراء.

فائدة:

قال الشوكاني في تفسيره ٢/٤١٣ «قوله لقد تاب الله على النبي» فيما وقع منه ﷺ من الإذن في التخلف أو فيما وقع منه من الإستغفار للمشركين وليس من لازم التوبة أن يسبق الذنب ممن وقعت منه أو له لأن كل العباد محتاج إلى التوبة والإستغفار وقد تكون التوبة منه تعالى على النبي من باب أنه ترك ما هو الأولى والأليق كما في قوله **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾** ويجوز أن يكون ذكر النبي ﷺ لأجل التعريض للمذنبين بأن يتجنبوا الذنوب ويتوبوا عما قد لابسوه منها».

فائدة أخرى:

قال ابن القيم: «وتأمل تكريره سبحانه توبته عليهم مرتين في أول الآية وآخرها فإنه تاب عليهم أولاً بتوفيقهم للتوبة فلما تابوا تاب عليهم، ثانيا بقبولها

منهم، وهو الذي وفقهم لفعلها وتفضل عليهم بقبولها فالخير كله منه وبه، وله وفي يده يعطيه من يشاء إحساناً وفضلاً ويحرمه من يشاء حكمة وعدلاً» انتهى من بدائع التفسير ٢/٣٨١

١٩٦ـ حدثنا أحمد بن صالح قال حدثني ابن وهب قال أخبرني يونس قال أحمد وحدثنا عنبسة[1] حدثنا يونس عن ابن شهاب قال أخبرني عبد الرحمن بن كعب قال أخبرني عبد الله بن كعب وكان قائد كعب من بنيه حين عمي قال سمعت كعب بن مالك في حديثه ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ قال في آخر حديثه إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله فقال النبي ﷺ «أمسك بعض مالك فهو خير لك».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إن من توبتي أن أنخلع من مالي**» يعني من كامل توبة الله عليّ أن أخرج من مالي كله فرحاً بالتوبة التي جاءت فضلاً من الله بعد ضيق الأرض عليّ بما رحبت وإظهاراً لشكر الله إذ منّ بالتوبة

الثانية: قوله «**صدقة**» مصدر جاء في موضع الحال.

الثالثة: قوله «**امسك بعض مالك فهو خير لك**» في رواية أبي داود عن كعب أنهْ قال «من توبتي أن أخرج من مالي كله إلى الله ورسوله صدقة قال لا قلت نصفه قال لا قلت فثلثه قال نعم».

قلت: وفي هذا جواز الصدقة عند تجدد النعم أو اندفاع النقم وفيه مشورة أهل الفضل في ذلك وفيه أن إمساك بعض المال خير من إنفاقه كله وذلك حتى لا يكون الرجل وأهله عالة على الناس.

---

(١) هو عنبسة بن خالد بن يزيد الأموي مولاهم الأيلي صدوق من التاسعة مات سنة ثمان وتسعين ومائة. خ. د.

فائدة إسنادية:

في قوله حدثنا أحمد بن صالح حدثني ابن وهب أخبرني يونس قال أحمد ثنا عنبسة حدثنا يونس مراده أن أحمد بن صالح روى هذا الحديث عن شيخين عن يونس لكن فرقهما لاختلاف الصيغة ثم إن ظاهره أن السند عنهما متحد وليس كذلك بل هو في رواية ابن وهب عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب كذلك أخرجه النسائي عن سليمان بن داود المهري عن ابن وهب ولعل البخاري بناه على أن عبد الرحمن نسب لجده فتتحد الروايتان نبه على ذلك الحافظ أبو عليّ الصدفي فيما قرأته بخطه بهامش نسخته

قلت: قد أفرد البخاري رواية ابن وهب بهذا الإسناد في النذر فوقع في رواية أبي ذر «عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب» وإنما أخرج النسائي بعض الحديث وقد وجدت بعض الحديث أيضاً في سنن أبي داود عن سليمان بن داود شيخ البخاري فيه كما في النسائي وعن ابن طاهر بن السرح عن ابن وهب كذلك» انتهى من الفتح ٣٤٢/٨

١٦٧- [باب **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار وعلى الثلاثة الذين خلفوا وهؤلاء الثلاثة الذين وصفهم الله في هذه الآية بما وصفهم به فيما قيل هم الآخرون الذين قال جل ثناؤه **﴿وآخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم وإما يتوب عليهم والله عليم حكيم﴾** فتاب عليهم عز ذكره وتفضل عليهم ...إلى أن قال: فتأويل الكلام إذاً ولقد تاب الله على الثلاثة الذين خلفهم الله عن التوبة فأرجأهم عمن تاب عليه ممن تخلف عن رسول الله ﷺ.اهـ من جامع البيان.

وقوله **﴿حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾** إلى **﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾** معناه أخروا عن قبول التوبة إلى هذه الغاية وهي وقت أن ضاقت عليهم الأرض بما رحبت و«ما» مصدرية أي برحبها لإعراض الناس عنهم وعدم مكالمتهم من كل أحد لأن النبي ﷺ نهى الناس أن يكالموهم والرحب الواسع يقال منزل رحب ورحيب ورحاب وفي هذه الآية دليل على جواز هجران أهل المعاصي تأديباً لهم لينزجروا عن المعاصي ومعنى ضيق أنفسهم عليهم أنها ضاقت صدورهم بما نالهم من الوحشة وبما حصل لهم من الفجوة وعبر بالظن في قوله **﴿وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه﴾** عن العلم أي علموا أن لا ملجأ يلجئون إليه قط إلا الله سبحانه بالتوبة والإستغفار» قاله الشوكاني ٢/٤١١.

قوله **﴿ثم تاب عليهم ليتوبوا﴾** فأخبر سبحانه أن توبته عليهم سبقت توبتهم وأنها هي التي جعلتهم تائبين فكانت سبباً مقتضياً لتوبتهم فدل على أنهم ما تابوا حتى تاب الله تعالى عليهم والحكم ينتفي لانتفاء موانعه قاله في بدائع التفسير نقلاً عن ابن القيم.

وقوله ﴿إن الله هو التواب﴾. أي الكثير القبول لتوبة التائبين ﴿الرحيم﴾ أي الكثير الرحمة لمن طلبها من عباده.

١٩٧- حدثني محمد[(١)] حدثنا احمد بن أبي شعيب[(٢)] حدثنا موسى ابن أعين[(٣)] حدثنا إسحاق بن راشد ان الزهري حدثه قال أخبرني عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه قال سمعت أبي كعب بن مالك وهو أحد ثلاثة الذين تيب عليهم انه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين غزوة العسرة وغزوة بدر قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى وكان يبدأ بالمسجد. فيركع ركعتين ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي علىّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمني أحد منهم ولا يصلى علىّ، فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخر من الليل ورسول الله ﷺ عند أم سلمة وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري فقال رسول الله ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب» قالت أفلا أرسل إليه فأبشره قال: إذاً يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى رسول الله ﷺ

(١) اختلف في محمد فقال الحاكم: ((هو محمد بن النظر النيسابوري)) يعني الذي تقدم ذكره في تفسير الأنفال وقال مرة: ((هو محمد بن إبراهيم البوشنجي)) لأن هذا الحديث وقع له من طريقه وقال أبو علي الغساني هو الذهلي)) قاله الحافظ.

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أبي شعيب مسلم الحراني مولى قريش ثقة من العاشرة مات سنة ثلاث وثلاثين [ومائتين] وقيل غير ذلك.خ.د.ت.س.

(٣) هو أبو سعيد موسى بن أعين الجزري مولى قريش، ثقة عابد من الثامنة مات سنة خمس أو سبع وسبعين [ومائة].خ.م.د.س.ق.

صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر إستنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر وكنّا أيها الثلاثة الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين إعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشرٍّ ما ذكر به أحد، قال الله سبحانه ﴿يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ الآية.

ش: فيه تسع عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ**» في باب حديث كعب من المغازي من رواية عقيل «لم أتخلف» ولا منافاة فأحدهما بالتكلم من لفظ كعب والآخر بضمير الغائب من لفظ الراوي.

الثانية: قوله «**غير غزوتين**» في رواية عقيل بين سبب تخلفه عن بدر فقال: «غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر ولم يعاتب أحداً تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

الثالثة: قوله «**فأجمعت صدق رسول الله ﷺ ضحى**» أي لما بلغه أنه عليه الصلاة والسلام توجه قافلاً من الغزو واهتم لتخلفه من غير عذر وتفكر فيما يخرج به من سخط الرسول فطفق يتذكر الكذب لذلك فأزاح الله عنه الباطل فأجمع على الصدق أي جزم به وعقد عليه قصده وأصبح رسول الله ﷺ قادماً في رمضان ضحى. قاله القسطلاني.

الرابعة: قوله «**قلّما يقدم من سفر سافره إلا ضحى**» يعني أن قدوم رسول الله ﷺ من سفره في غير الضحى قليل ومفهومه أن غالب قدومه ضحى وهذا والله أعلم حتى لا يطرق أهله ليلاً خشية أن يرى منهم ما يكره.

الخامسة: قوله «**وكان يبدأ بالمسجد**» فيه دليل على أن الأفضل في حق القادم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلي فيه.

السادسة: قوله «**ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي**» يعني منع الناس من كلامي وكلام صاحبي وهما مرارة بن الربيع وهلال بن أمية الواقفي وذلك بعد إعترافهم أنهم تخلفوا عن غزوة تبوك بغير عذر وهذا من قبيل الزجر.

السابعة: قوله «**ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا**» أي لم يمنع عن كلام أحد من المتخلفين سوانا فامتثل النّاس نهي رسول الله ﷺ فتركوا كلامنا وهذا دليل على مكانة كعب وصاحبيه من أصحاب رسول الله ﷺ وفيه دليل على أن القوي في دينه يعامل في الغلظة بما لا يعامل به غيره.

الثامنة: قوله «**فلبثت كذلك حتى طال عليّ الأمر**» في رواية يونس عند مسلم «فلبثنا على ذلك خمسين ليلة».

التاسعة: قوله «**وما من شيء أهم إليّ من أن أموت فلا يصلي علىّ النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة**».

قلت: الباعث على هذا الخوف وهذه الخشية شدة ما لقيه من عقوبة الهجر والزجر وفيه دليل على قوة إيمان كعب ﷺ.

العاشرة: قوله «**فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل**» يعني بعد أن كملت المدة وهي خمسون ليلة ولم أقف على تاريخ نزول توبته.

الحادية عشرة: قوله «**ورسول الله ﷺ عند أم سلمة**» يعني وقت نزول توبتهم من الله والجملة حالية.

الثانية عشرة: قوله «**وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري**» يعني مهتمة بأمري. قلت ولعل من اهتمامها قولها «أفلا أرسل إليه فأبشره» حين قال الرسول ﷺ «يا أم سلمة تيب على كعب».

الثالثة عشرة: قوله «**إذاً يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة**» من الحطم وأصله التكسير ومراده أن الناس يدوسونكم ويتزاحمون عليكم وقوله

«فيمنعونكم النوم سائر الليلة» أي بقيتها وذلك لفرحهم بما من الله من توبة كعب وصاحبيه.

الرابعة عشرة: قوله «**حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا**» هذا بيان الوقت الذي أعلم النبي ﷺ الناس بتوبة الله على أولئك الرهط.

الخامسة عشرة: قوله «**وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر**» يعني أن وجهه يتلالأ من شدة السرور والفرح حتى كأنه يعلوه نور وفيه دليل على فرح النبي ﷺ بتوبة الله على أصحابه وهذا من كمال شفقته وكريم خلقه.

السادسة عشرة: قوله «**وكنا أيها الثلاثة**» بلفظ النداء ومعناه الإختصاص.

السابعة عشرة: قوله «**الذين خلفوا عن الأمر الذي قبل**» بضم أوله مبنياً للمفعول أي إعتذارهم وقوله «من هؤلاء الذين اعتذروا» ووكل رسول الله ﷺ سرائرهم إلى الله عز وجل وليس المراد التخلف عن الغزو بل التخلف عن حكم أمثالهم من المتخلفين وهو قبول عذرهم.

الثامنة عشرة: قوله «**فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به أحد**» فسره بعد بقوله ﴿**يعتذرون إليكم**﴾ الآية.

التاسعة عشرة: قوله «**يعتذرون إليكم إذا رجعتم إليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من أخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله**». تمام السياق ﴿**ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين**﴾.

فتأمل ما تضمنته هذه الآيات الثلاث من فضح حال المنافقين والكشف عن باطلهم وبيان كذبهم على رسول الله ﷺ.

تنبيه:

في هذا الحديث فقه عظيم وفوائد جمة منها:

أولاً: جواز طلب أموال الكفار من ذوي الحرب.

ثانياً: جواز الغزو في الشّهر الحرام.

ثالثاً: التصريح بجهة الغزو إذا لم تقتضي المصلحة ستره.

رابعاً: أن الإمام إذا استنفر الجيش عموماً لزمهم النفير ولحق اللوم بكل فرد تخلف.

خامساً: أن العاجز عن الخروج بنفسه أو بماله لا لوم عليه.

سادساً: ترك قتل المنافقين ومنه ترك قتل الزّنديق إذا أظهر التوبة.

سابعاً: أن القوي في الدّين يؤاخذ بأشد مما يؤاخذ الضعيف في الدّين.

ثامناً: جواز مدح المرء بما فيه من الخير إذا أمن الفتنة.

تاسعاً: الحلف للتأكيد من غير إستحلاف.

عاشراً: أن المرء إذا لاحت له فرصة في الطاعة فحقه أن يبادر إليها ولا يسوف بها لئلا يحرمها.

حادي عشر: جواز تمني ما فات من الخير.

ثاني عشر: جواز هجر العاصي أكثر من ثلاث وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعياً.

ثالث عشر: سقوط رد السّلام على المهجور عمن سلم عليه إذ لو كان واجباً لم يقل كعب: هل حرك شفتيه برد السّلام.

ذكر هذه الفوائد وغيرها الحافظ في الفتح جزء ثمانية صفحة مائة وثلاث وعشرين فراجعها إن شئت.

قال مقيده: واعلم هدانا الله وإياك إلى مراشد أمورنا وصواب الأقوال والأعمال أن هذه القصة نص صريح في بطلان بدعة العصر التي يسمونها (الموازنة) ويعنون به غمر السيئات بالحسنات ، ووجه الاستدلال على ما قلنا في صنيع النبي ﷺ من هجر كعب وصاحبيه رضي الله عنهم نحواً من خمسين يوماً عقوبة على تخلفهم عن غزوة تبوك غير ناظر إلى فضلهم وسابقتهم في الإسلام ويزيد هذا المعنى وضوحاً وجلاءً هذه القاعدة الشريفة التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في مجموع الفتاوى (١٠/٣٧٣) حيث قال:

«وهنا قاعدة شريفة ينبغي التفطن لها: وهو أن ما عاد من الذنوب بإضرار الغير في دينه ودنياه فعقوبتنا له في الدنيا أكبر ، وأما ما عاد من الذنوب بمضرة الإنسان في نفسه فقد تكون عقوبته في الآخرة أشد ، وإن كنا نحن لا نعاقبه في الدنيا.

وإضرار العبد في دينه ودنياه هو ظلم الناس؛ فالظلم للغير يستحق صاحبه العقوبة في الدنيا لا محالة لكف ظلم الناس بعضهم عن بعض ، ثم هو نوعان:

أحدهما: منع ما يجب لهم من الحقوق ، وهو التفريط .

والثاني: فعل ما يضر بهم وهو العدوان .

ولهذا يعاقب الداعية إلى البدع بما لا يعاقب به الساكت، ويعاقب من أظهر المنكر بمالا يعاقب به من استخفى به، ونمسك عن عقوبة المنافق في الدين وإن كان في الدرك الأسفل من النار .

وهذا لأن الأصل أن تكون العقوبة من فعل الله تعالى ، فإنه الذي يجزي الناس على أعمالهم في الآخرة ، وقد يجزيهم أيضاً في الدنيا، وأما نحن فعقوبتنا للعباد بقدر ما يحصل به أداء الواجبات وترك المحرمات بحسب إمكاننا، كما قال ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله)

وقال تعالى: ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ وقال: ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ .

ولهذا من تاب من الكفار والمحاربين وسائر الفساق قبل القدرة عليه سقطت عنه العقوبة التي لحق ا لله .

فإذا أسلم الحربي قبل القدرة عليه عصم دمه وأهله وماله، وكذلك قاطع الطريق والزاني والسارق والشارب إذا تابوا قبل القدرة عليهم لحصول المقصود بالتوبة ، وأما إذا تابوا بعد القدرة لم تسقط العقوبة كلها ؛ لأن ذلك يفضي إلى تعطيل الحدود وحصول الفساد؛ ولأن هذه التوبة غير موثوق بها؛ ولهذا إذا أسلم الحربي عند القتال صح إسلامه لأنه أسلم قبل القدرة عليه ؛ بخلاف من أسلم بعد الأسر فإنه لا يمنع استرقاقه وإن عصم دمه .

ويبنى على هذه القاعدة: أنه قد يقر من الكفار والمنافقين بلا عقوبة من يكون عذابه في الآخرة أشد إذا لم يتعد ضرره إلى غيره: كالذين يؤتون الجزية عن يد وهم صاغرون، والذين أظهروا الإسلام والتزموا شرائعه ظاهراً مع نفاقهم؛ لأن هذين الصنفين كفوا ضررهم في الدين والدنيا عن المسلمين ، ويعاقبون في الآخرة على ما اكتسبوه من الكفر والنفاق، **وأما من أظهر ما فيه مضرة فإنه تدفع مضرته ولو بعقابه وإن كان مسلماً فاسقاً أو عاصياً أو عدلاً مجتهداً مخطئاً ؛ بل صالحاً أو عالماً ، سواء في ذلك المقدور عليه والممتنع ...**

وكذلك يجوز قتال البغاة وهم الخارجون على الإمام أو غير الإمام بتأويل سائغ مع كونهم عدولاً، ومع كوننا ننفذ أحكام قضائهم ونسوّغ ما قبضوه من جزية أو خراج أو غير ذلك ... فتدبر كيف عوقب أقوام في الدنيا على ترك واجب أو فعل محرم بين في الدين أو الدنيا، وإن كانوا معذورين فيه لدفع ضرر فعلهم في الدنيا ، كما يقام الحد على من تاب بعد رفعه إلى الإمام وإن كان قد تاب توبة نصوحاً، .... فهذا أصل عظيم أن عقوبة الدنيا المشروعة من الهجران

إلى القتل لا يمنع أن يكون المعاقب عدلاً أو رجلاً صالحاً كما بينت من الفرق بين عقوبةالدنيا المشروعة والمقدورة؛ وبين عقوبة الآخرة ، وا لله سبحانه أعلم . انتهى ملخصاً .

تنبيه:

وإن قال قائل: ألا يشكل على حديث الباب ما أخرجه الشيخان واللفظ لمسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام) وذلك في تحديد النبي ﷺ هجر المسلم أخاه بثلاث ليال وتحريمه مازاد على ذلك .

فالجواب كما قاله البغوي رحمه ا لله في (شرح السنة) (١/٢٢٤) تعليقاً على حديث أبي هريرة: (سيكون في آخر أمتي ناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم) . «والنهي عن الهجران فوق الثلاث فيما يقع بين الرجلين من التقصير في حقوق الصحبة والعشرة دون ما كان ذلك في حق الدّين فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا».

قلت: فالزم هذا فإنه جمع حسن يندفع به التعارض ويزول به الإشكال.

١٦٨- [باب ﴿يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾].

أي أصدقوا وألزموا الصدق تكونوا من أهله وتنجوا من المهالك ويجعل لكم فرجاً من أموركم ومخرجاً.

وفي الصحيحين وغيرهما عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً.

١٩٨- حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك أن عبد الله بن كعب بن مالك وكان قائد كعب بن مالك قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وكونوا مع الصادقين﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**فوالله ما أعلم أحداً أبلاه الله**» أي أنعم عليه وفي قوله «في صدق الحديث أحسن مما أبلاني» وفي المغازي «في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني وكذلك قوله بعد ذلك في المغازي فوالله ما أنعم الله عليّ من نعمة قط بعد أن هداني إلى الإسلام أعظم من صدقي لرسول الله ﷺ ففي قوله «أحسن وأعظم» شاهد على أن هذا السياق يورد ويراد به نفي الأفضلية لا المساواة لأن كعباً شاركه في ذلك رفيقان وقد نفى أن يكون أحد حصل له أحسن مما حصل له وهو كذلك لم ينف المساواة.

الثانية: قوله «**ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذباً**» وقع لأبي ذر بدل قوله «منذ» «مذ ذكرت ذلك» أي القول الصدق قلت: وفيه جواز إظهار المرء ما من الله عليه من حسن الحال بعدما أصابه من مصيبة تحدثاً بنعمة الله عليه واعترافاً بفضله ولا يجوز أن يفهم منه عن كعب عكس ذلك قبل المصيبة بدليل قوله والله ما أنعم الله عليّ من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته».

الثالثة: قوله «**وأنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿لقد تاب الله على النبي ...الخ﴾**.

قلت: الشاهد من الحديث الأخيرة وما بينها وبين سابقتها قوله **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾**.

١٦٩- [باب قوله ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾].

ش: يقول تعالى ممتناً على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم**﴾ وقال تعالى ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم**﴾ أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب ﷺ للنجاشي والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولاً منا نعرف نسبه وصفته ومدخله ومخرجه وصدقه وكذبه.

وقوله تعالى ﴿**عزيز عليه ما عنتم**﴾ أي يعز عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشق عليها ولهذا جاء في الحديث المروي من طرق عنه أنه قال: بعثت بالحنفية السمحة. وفي الصحيح «إن الدين يسر» وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه ﴿**حريص عليكم**﴾ أي على هدايتكم ووصول النفع الدنيوي والأخروي إليكم وقوله ﴿**بالمؤمنين رؤوف رحيم**﴾ كقوله ﴿**واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون وتوكل على العزيز الرحيم**﴾.

[**قوله من الرأفة**]

ش: قال أبو عبيدة: فعول من الرأفة وهي أرق الرحمة قال كعب بن مالك الأنصاري:

نطيع نبينا ونطيع ربنا هو الرحمن كان بنا رؤوفا

وقال:

ترى للمسلمين عليك حقاً كفعل الوالد الرؤوف الرحيم.

١٩٩- حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني ابن

السّباق[١] أن زيد بن ثابت الأنصاري ﷺ وكان ممن يكتب الوحي قال: أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: أن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرهما وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

تابعه عثمان بن عمر والليث عن يونس عن ابن شهاب وقال الليث حدثني عبد الرحمن بن خالد[٢] عن ابن شهاب وقال مع أبي خزيمة الأنصاري

---

(١) هو أبو سعيد بن السباق بمهملة وموحدة شديدة المدني الثقفي ثقة من الثالثة. ع.

(٢) هو عبد الرحمن بن خالد بن مسافر الفهمي أمير مصر صدوق من السابعة مات سنة سبع وعشرين و[مائة]. خ. م. مد. ت. س.

وقال موسى عن إبراهيم:حدثنا ابن شهاب مع أبي خزيمة وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه وقال أبو ثابت حدثنا إبراهيم وقال مع خزيمة أو أبي خزيمة.

ش: فيه عشرون مسألة:

الأولى: قوله «**أرسل إليّ أبو بكر الصّديق**» لم يعرف اسم ذلك الرسول ولم يترتب على ذكره فائدة كما لم يترتب على إغفاله ضرر.

الثانية: قوله «**مقتل أهل اليمامة**» أي عقب قتل أهل اليمامة والمراد بأهل اليمامة هنا من قتل بها من الصحابة في الوقعة مع مسيلمة الكذاب، وكانت تلك الوقعة سنة إحدى عشرة وكان من شأنها أن مسيلمة إدعى النبوة وقوي أمره بعد موت النبي ﷺ بارتداد كثير من العرب، فجهز أبو بكر الصديق خالد بن الوليد في جمع كثير من الصحابة فحاربوه أشد المحاربة، إلى أن خذله الله وقتله، وقتل في غضون ذلك من الصحابة جماعة كثيرة قيل سبعمائة وقيل أكثر.

الثالثة: قوله «**قد استحر**» بسين مهملة ساكنة ومثناة مفتوحة بعدها حاء مهملة مفتوحة ثم راء ثقيلة، أي اشتد وكثر، وهو استفعل من الحر لأن المكروه غالباً يضاف إلى الحر، كما أن المحبوب يضاف إلى البرد يقولون: أسخن الله عينه وأقر عينه.

الرّابعة: قوله «**بالقراء في المواطن**» أي الأماكن التي يقع فيها القتال مع الكفار، وفي رواية سفيان «وأنا أخشى أن لا يلقى المسلمون زحفاً آخر إلا استحر القتل بأهل القرآن» وهذه الجملة الأخيرة من عزو الحافظ ولم أقف عليها.

الخامسة: قوله «**فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه**» هذا وما قبله من الأسباب التي دعت عمر إلى أن يشير على أبي بكر بجمع القرآن.

السادسة: قوله «**قلت لعمر كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ**» هو خطاب أبي بكر لعمر، حكاه ثانيا لزيد بن ثابت لما أرسل إليه، وهو كلام يؤثر الاتباع وينفر من الابتداع وفي رواية سفيان بن عيينة تصريح زيد بن ثابت

بذلك، وفي رواية عمارة بن غزية «فنفر منها أبـو بكـر وقـال: أفعـل مـا لم يفعـل رسول الله ﷺ» ؟.كذا حكاه الحافظ. قال الخطابي وغـيره: يحتمـل أن يكـون ﷺ إنما لم يجمع القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامـه أو تلاوته، فلما انقضى نزوله بوفاته ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين ذلـك وفـاء لوعـد الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة المحمدية زادها الله، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق ﷺ بمشورة عمر» اهـ.

قلت: وأما ما أخرجه مسلم في الزهد باب التثبت في الحديـث مـن حديـث أبي سعيد قال «قال رسول الله ﷺ: لا تكتبوا عني شيئا غير القرآن الحديث. فلا ينافي ذلك، لأن الكلام في كتابة مخصوصة على صفة مخصوصة، وقد كان القـرآن كله في عهد النبي ﷺ لكن غير مجموع في موضع واحـد ولا مرتـب السـور، وقـد تسول لبعض الروافض أنه يوجه الاعتراض على أبي بكر بما فعله من جمع القـرآن في المصحف فقال: كيف جاز أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول عليه أفضل الصـلاة والسلام ؟ والجواب: أنه لم يفعل ذلك إلا بطريق الاجتهـاد السـائغ الناشـيء عن النصح منه لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسـلمين وعـامتهم، وقـد كـان النبي ﷺ أذن في كتابة القرآن ونهى أن يكتب معه غيره، فلم يأمر أبـو بكـر إلا بكتابـة مـا كان مكتوبا، ولذلك توقف عن كتابة الآية من آخر سـورة بـراءة حتـى وجدهـا مكتوبة، مع أنه كان يستحضرها هو ومن ذكر معه. وإذا تأمل المنصـف مـا فعلـه أبو بكر من ذلك جزم بأنه يعد في فضائله وينوه بعظيـم منقبتـه، لثبـوت قولـه ﷺ «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها» فما جمـع القـرآن أحـد بعـده إلا وكان له مثل أجره إلى يوم القيامة. قاله الحافظ

قلت ويرد على اعتراض الرافضة جمع أبـي بكـر القـرآن إجمـاع الأمـة علـى ذلك وتلقيها إياه بالقبول فكانت حجتهم داحضة.

السّابعة: قوله «فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله بذلك صـدري»

فيه دليل على أن أبا بكر لم يقبل مشورة عمر بكتب القرآن وجمعه حتى استبان له أن ذلك من النصيحة لله ولكتابه وأنه ليس من الإحداث في دين الله.

الثّامنة: قوله «**قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم وقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي**» ذكر له أربع صفات مقتضية خصوصيته بذلك: كونه شابا فيكون أنشط لما يطلب منه، وكونه عاقلا فيكون أوعى له، وكونه لا يتهم فتركن النفس إليه، وكونه كان يكتب الوحي فيكون أكثر ممارسة له وفي قول زيد: «وعمر عنده جالس لا يتكلم» دليل على توقير أهل الفضل إذ لم يتفوه عمر بكلمة مع الخليفة وتركه يقول لزيد ما قال.

فائدة: قال الحافظ: «وقال ابن بطال: إنما نفر أبو بكر أولاً ثم زيد بن ثابت ثانيا لأنهما لم يجدا رسول الله ﷺ فعله فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد إحتياطاً للدين على احتياط الرسول فلما نبههما عمر على فائدة ذلك وأنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه» اهـ.

ودل ذلك على أن فعل الرسول إذا تجرد عن القرائن ـ وكذا تركه ـ لا يدل على وجوب ولا تحريم انتهى نقله الحافظ.

التّاسعة: قوله «**فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به**» وقع في الفضائل «كلفوني» فأفرد أولاً باعتبار أنّ أبا بكر هو الآمر وحده وجمع ثانيا باعتبار من وافقه. وإنما قال زيد بن ثابت ذلك لما خشيه من التقصير في إحصاء ما أمر بجمعه، لكن الله تعالى يسر له ذلك كما قال تعالى ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾.

العاشرة: قوله «**فقمت فتتبعت القرآن أجمعه**» أي من الأشياء التي عندي وعند غيري.

الحادية عشرة: قوله «**من العسب**» بضم المهملتين ثم موحدة جمع عسيب وهو جريد النخل، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض. وقيل العسيب طرف الجريدة العريض الذي لم ينبت عليه الخوص، والذي ينبت عليه الخوص هو العسف.

الثّانية عشرة: قوله «**من الرقاع**» جمع رقعة، وقد تكون من جلد أو ورق أو كاغد.

الثّالثة عشرة: قوله «**الأكتاف**» جمع كتف وهو العظم الذي للبعير أو الشاة، كانوا إذا جف كتبوا فيه.

الرّابعة عشرة: قوله «**وصدور الرجال**» أي حيث لا أجد ذلك مكتوبا.أو الواو بمعنى مع أي أكتبه من المكتوب الموافق للمحفوظ في الصدر.

الخامسة عشرة: قوله «**حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري**».في الفضائل «وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة» فتكون مفسرة لرواية الباب.

السّادسة عشرة: قوله «**لم أجدها مع أحد غيره**» أي مكتوبة، لما تقدم من أنه كان لا يكتفي بالحفظ دون الكتابة. ولا يلزم من عدم وجدانه إياها حينئذ أن لا تكون تواترت عند من لم يتلقها من النبي ﷺ، وإنما كان زيد يطلب التثبت عمن تلقاه بغير واسطة، ولعلهم لما وجدها زيد عند أبي خزيمة تذكروها كما تذكرها زيد. وفائدة التتبع المبالغة في الإستظهار، والوقوف عندما كتب بين يدي النبي ﷺ

قال الخطابي: هذا مما يخفى معناه ويوهم أنه كان يكتفي في إثبات الآية بخبر الشخص الواحد وليس كذلك، فقد اجتمع في هذه الآية زيد بن ثابت وأبوخزيمة وعمر.

السّابعة عشرة: قوله ﴿**لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما**

عنتم حريص عليكم﴾ إلى آخرها.

قلت: هذه إحدى الآيتين والأخرى **﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾**.

الثّامنة عشرة: قوله «**عند أبي بكر حتى توفاه الله**» في موطأ ابن وهب عن مالك عن ابن شهاب عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: «جمع أبو بكر القرآن في قراطيس، وكان سأل زيد بن ثابت في ذلك فأبى حتى استعان عليه بعمر ففعل»، وعند موسى بن عقبة في المغازي عن ابن شهاب قال: «لما أصيب المسلمون باليمامة فزع أبو بكر وخاف أن يهلك من القراء طائفة، فأقبل الناس بما كان معهم وعندهم، حتى جمع على عهد أبي بكر في الورق فكان أبو بكر أول من جمع القرآن في الصحف وهذا كله أصح مما وقع في رواية عمارة بن غزية «أن زيد بن ثابت قال: فأمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعسب، فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده» وإنما كان في الأديم والعسب أولاً قبل أن يجمع في عهد أبي بكر، ثم جمع في الصحف في عهد أبي بكر كما دلت عليه الأخبار الصحيحة المترادفة انتهى من الفتح.

التّاسعة عشرة: قوله «**ثم عند حفصة بنت عمر**» أي بعد عمر في خلافة عثمان، إلى أن شرع عثمان في كتابة المصحف. وإنما كان ذلك عند حفصة لأنها كانت وصية عمر فاستمر ما كان عنده عندها حتى طلبه منها من له طلب ذلك.

العشرون: قوله «**تابعه عثمان بن عمر**» يعني تابع شعيب بن أبي حمزة عن ابن شهاب عثمان بن عمر بن فارس العبدي بصري أصله من بخارى ثقة من التاسعة مات سنة تسع ومائتين. ع.

وهذه المتابعة وصلها أحمد في مسنده قال: حدثنا عثمان بن عمر قال أخبرنا يونس عن الزهري.

وقوله «**والليث**» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في فضائل القرآن باب

كاتب النبي ﷺ وفي التوحيد باب وكان عرشه على الماء.

وقوله «**وتابعه يعقوب بن إبراهيم عن أبيه**» إبراهيم بن سعد المذكور على قوله ابي خزيمة بالكنية وهذه وصلها أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف وغيره. قاله القسطلاني.

وقوله «**وقال أبو ثابت**» قلت هذه المتابعة وصلها المصنف في الأحكام باب يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلاً.

وقوله «**مع خزيمة أو أبي خزيمة**» بالشك والأرجح كما قال الحافظ ١٥/٩: أن الذي وجد معه آخر سورة التوبة أبو خزيمة بالكنية والذي وجد معه الآية من الأحزاب خزيمة.

من فقه الحديث.

أولاً: فقه عمر ﷺ وشدة نصحه لله ولكتابه.

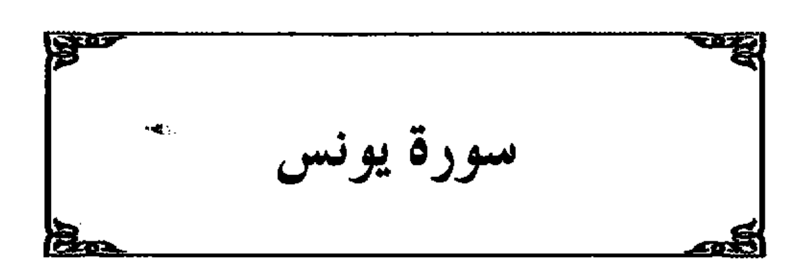
ثانياً: حرص أبي بكر وزيد رضي الله عنهما على إيثار الإتباع والنفرة من الإبتداع.

ثالثاً: يسوغ للإمام قبول الشورى من واحد إذا علم منه سداد الرأي وخالص النصيحة وأنه لا عبرة بجمع الأصوات.

رابعاً: في قول أبي بكر ﷺ لزيد إنك شاب ... الخ جواز الثناء على المرء ومدحه بما هو فيه للمصلحة العامة.

خامساً: شدة تحري زيد ﷺ إذ جمع القرآن من المكتوب والصدور.

آخر تفسير سورة براءة والحمد لله.



١٧٠ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس

ش: قد تقدم معنى البسملة، وشاهد التسمية قوله تعالى ﴿**فلولا كانت قرية ءامنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما ءامنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين**﴾.

وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس في قوله ﴿**ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني**﴾ قال البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس.

وهي مكية إلا ثلاث آيات وهي من قوله ﴿**فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك**﴾ إلى قوله ﴿**ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم**﴾.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال ابن عباس: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾ فنبت بالماء من كل لون].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.ورواه ابن أبي حاتم من طريق العباس بن الوليد بن يزيد البيروتي قراءة أخبرني محمد بن شعيب أخبرني عثمان بن عطاء عن أبيه قال: أما ما اختلط به نبات الأرض فاختلط فنبت بالماء من كل لون.

والآية المشار إليها هي قوله تعالى ﴿**إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام...**﴾ الآية.

٢- [﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني﴾].

ش: تمام الآية ﴿**له ما في السموات وما في الأرض إن عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون**﴾.

ولم يذكر المصنف ههنا حديثاً ولا أثراً ولعله يشير إلى ما أخرجه عن ابن عباس في التفسير وقد مضى ولفظه «قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأما شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولداً»

٣- [وقال زيد بن أسلم: ﴿أن لهم قدم صدق﴾ محمد ﷺ].

ش: رواه ابن جرير قال حدثني المثنى قال ثنا إسحاق قال ثنا عبد الله بن الزّبير عن ابن عيينة عن زيد بن أسلم فذكره.

كما أخرجه عن الحسن وقتادة بزيادة «شفيع لهم» وهو أحد ثلاثة أقوال حكاها في الأية

ثانيها: بمعنى أن لهم أجراً حسناً بما قدموا من صالح الأعمال وبه قال الضحاك وابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وابن زيد

وثالثها: بمعنى سابق صدق في اللوح المحفوظ من السعادة وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية.اهـ

قلت: وثاني هذه الأقوال وثالثها أرجح عندي لموافقتهما ظاهر الآية ولا حجة في صرفه.

٤- [وقال مجاهد خير].

ش: رواه ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو غاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

٥- [يقال ﴿تلك ءايات﴾ يعني هذه أعلام القرآن].

ش: قال أبو عبيدة: مجازها هذه آيات الكتاب الحكيم أي القرآن قال الشاعر:

ـ مافهم من الكتاب أم آي القرآن ـ

وقال الحافظ: «وفي تفسير السدي: آيات الكتاب الأعلام».

والآية المشار إليها هي **﴿الـر تلك ءايت الكتب الحكيم﴾**.

قال قتادة: الكتب التي كانت قبل القرآن.

وقال مجاهد: التوراة والإنجيل.

وقال آخرون: آيات القرآن.

أخرج القولين ابن جرير ورجح ثانيهما.

٦- [ومثله ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾ المعنى بكم].

ش: قال الحافظ: «و الجامع بينهما أن في كل منهما صرف الخطاب عن الغيبة إلى الحضور وعكسه»

والآية المشار إليها **﴿هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في**

الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنّوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدّين...﴾ الآية

٧- [﴿دعواهم﴾ دعاؤهم].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي قولهم وكلامهم.

والآية المشار إليها هي قوله: **﴿دعواهم فيها سبحانك اللّهمّ وتحيتهم فيها سلام وءاخر دعواهم أن الحمد لله رب العلمين﴾.**

٨- [أ﴿أحيط بهم﴾ دنوا من الهلكة ﴿أحاطت به خطيئته﴾].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال إنه محاط بك والإدراك أي إنك مدرك فمهلك.

والآية المشار إليها مضت في الأثر السادس.

٩- [﴿فاتبعهم﴾ وأتبعهم واحد].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه تبعهم وهما سواء.

والآية المشار إليها: **﴿وجاوزنا ببني إسراءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا﴾.**

١٠- [﴿عدوا﴾ من العدوان].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه عدواناً.

١١- [وقال مجاهد: ﴿ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير﴾ قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللّهمّ لا تبارك فيه والعنه ﴿لقضى إليهم أجلهم﴾ لأهلك من دعي عليه ولأماته].

ش: أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم كلاهما من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وقال قتادة: هو دعاء الرجل على نفسه وماله بما يكره أن يستجاب له.

والآية المشار إليها ﴿**ولو يعجل ا لله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي إليهم أجلهم**﴾.

١٢- [﴿للذين أحسنوا الحسنى﴾ مثلها حسنى ﴿وزيادة﴾ مغفرة].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد «ورضوان».

وفي الآية ثلاثة أقوال أخرى:

أحدها: الحسنى الجنة و الزيادة عليها النظر إلى ا لله تعالى قاله أبو بكر الصديق وعامر بن سعد وحذيفة وأبو إسحاق وأبو موسى وعبد الرحمن بن أبي ليلى والحسن وعبد الرحمن بن مهدي وقتادة وعبد الرحمن بن سابط وعليّ.

وثانيها: أن الحسنى واحدة من الحسنات بواحدة والزيادة التضعيف إلى تمام العشر قاله ابن عباس وعلقمة بن قيس والحسن في رواية.

ثالثها: أن الزيادة ما أعطوا في الدنيا وهو قول ابن زيد وابن عباس في رواية.

حكاها جميعا ابن جرير ورجح أوّلها.

قال مقيده: ونحن نرجح ما قاله الصديق ومن وافقه لما رواه أحمد ومسلم وغيرهما عن صهيب رضي ا لله عنه (أن رسول ا لله ﷺ تلى هذه الآية ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ وقال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند ا لله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون وما هو ألم يثقل موازيننا؟، ألم يبيض وجوهنا ؟ ويدخلنا الجنة ؟ ويجرنا من النار؟ قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوا لله ما أعطاهم ا لله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه ولا أقر لأعينهم). والآية المشار إليها هي ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة**﴾.الآية.

١٣- [﴿الكبرياء﴾ الملك].

ش: رواه ابن جرير حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وتكون لكما الكبرياء في الأرض**﴾ قال: الملك.وأخرج عن الضحاك قال الطاعة ثم قال بعد ذلك وهذه الأقوال كلها متقاربات المعانى وذلك أن الملك سلطان والطاعة ملك غير أن معنى الكبرياء هو ما ثبت في كلام العرب ثم يكون ذلك عظمة بملك وسلطان وغير ذلك.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا أجئتنا لتلفتنا عمّا وجدنا عليه ءاباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض**﴾.

١٧١- [باب ﴿وجاوزنا ببني إسراءيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنوا إسراءيل وأنا من المسلمين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره وقطعنا ببني إسراءيل البحر حتى جاوزوه **﴿فأتبعهم فرعون﴾** يقول فتبعهم فرعون **﴿وجنوده﴾** يقال منه أتبعته وتبعته بمعنى واحد **﴿بغيا﴾** على موسى وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسراءيل **﴿وعدوا﴾** يقول واعتداء عليهم وهو مصدر من قولهم عدا فلان على فلان في الظلم يعدو عليه عدواً، مثل غزا يغزو غزواً **﴿حتى إذا أدركه الغرق﴾** يقول حتى إذا أحاط به الغرق وفي الكلام متروك قد ترك ذكره بدلالة ما ظهر من الكلام عليه وذلك فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فيه فغرقناه حتى إذا أدركه الغرق.

وقوله **﴿ءامنت أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسراءيل وأنا من المسلمين﴾** يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون حين أشرف على الغرق وأيقن بالهلكة **﴿ءامنت﴾** يقول أقررت **﴿أنه لا إله إلا الذي ءامنت به بنو إسراءيل﴾**.اهـ

[﴿ننجيك﴾ نلقيك على نجوة من الأرض وهو النشز المكان المرتفع].

ش:قال أبو عبيدة مجازه نلقيك على نجوة أي ارتفاع ليصير علَماً أنه قد غرِق.وقال ابن جرير: «والنجوة الموضع المرتفع على ما حوله من الأرض ومنه قول أوس بن حجر:

فمن بعقوته كمن بنجوته والمستكن كمن يمشي بقرواح»اهـ

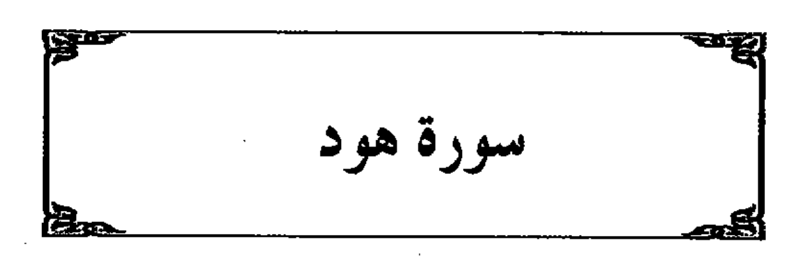
والآية المشار إليها:**﴿فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك ءاية وإن كثيرا من الناس عن ءايتنا لغافلون﴾.**

٤٠٠- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشورا فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا.

سيأتي في تفسير سورة طه ضمن الباب رقم تسع وعشرين ومائتين.

آخر سورة يونس و لله الحمد والمنة.



١٧٢ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود.

ش: شاهد التّسمية قوله تعالى ﴿**وإلى عاد أخاهم هود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**﴾.

قال بعض أهل العلم هو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن العوص بن أرم بن سام بن نوح

قلت: فهو نبي من نسل نبي ﷺ.

وأخرج الطبراني وابن مردويه عن عقبة بن عامر أن رجلاً قال يا رسول الله شبت قال: شيبتني هود وأخواتها قال في المجمع رجاله رجال الصحيح وقال السيوطي رواه الطبراني وابن مردويه بسند صحيح.

وعن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ سألت النبي ﷺ ما شيبك قال سورة هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت.أخرجه الحاكم والبيهقي في الشعب والدارقطني في العلل.

وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر وقال ابن عباس وقتادة إلا آية وهي قوله ﴿**أقم الصلاة طرفي النهار...**﴾ وآياتها ثلاث وعشرون ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات

١- [قال ابن عباس ﴿عصيب﴾ شديد].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني عليّ قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن عليّ عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن قتادة ومجاهد

والآية المشار إليها: **﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب﴾.**

٢- [﴿لا جرم﴾ بلى].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿لاجرم أنهم في الآخرة هم الأخسرون﴾.**

٣- [وقال غيره ﴿وحاق﴾ نزل].

ش: **قلت:** يعني غير ابن عباس والقائل هو أبو عبيدة وزاد «بهم وأصابهم»

والآية المشار إليها: **﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون﴾.**

٤- [﴿يحيق﴾ : ينزل].

ش: **قلت:** والآية المشار إليها: **﴿ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله﴾.** وقد ذكرها المصنف رحمه الله استشهادا لما قبلها.

٥- [﴿يؤوس﴾ فعول من يئست].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها: **﴿ولئن أذقنا الإنسن منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس كفور﴾.**

٦- [وقال مجاهد: ﴿تبتئس﴾ تحزن].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: فلا تبتئس قال لا تحزن. كما أخرجه عن ابن

عباس وقتادة

والآية المشار إليها﴿**وأوحي إلى نوح أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد ءامن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون**﴾.

٧- [﴿يثنون صدورهم﴾ شك وامتراء في الحق ﴿ليستخفوا منه﴾ من الله إن استطاعوا].

ش:رواه ابن جرير: حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها:﴿**ألا إنّهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرّون وما يعلنون إنّه عليم بذات الصّدور**﴾.

٨- [وقال أبو ميسرة الأوّاه الرحيم بالحبشية].

ش: أخرجه ابن جرير عند تفسير الآية الرابعة عشرة بعد المائة من سورة براءة: حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة قال: الأوّاه الرحيم.

والآية المشار إليها:﴿**إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب**﴾.

٩- [وقال ابن عباس: ﴿بادىء الرأي﴾ ما ظهر لنا].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا القاسم قال ثنا الحسين ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره.

وقال أبو عبيدة ﴿بادىء الرأي﴾ مهموز لأنه من بدأت عن أبي عمرو. ومعناه أول الرأي، ومن لم يهمز جعله ظاهر الرأي من بدا يبدو وقال الراجز وقد علتني ذراة بادي بدي فلم يهمز جعلها من بدا الذارة الشّمط القليل في السّواد، ملح ذراني الكثير البياض وكبش اذرأ، ونعجة ذرعاء في أذنها بياض شبه النمش.

والآية المشار إليها ﴿**فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلاّ بشراً**

مِّثْلنا وما نراك اتبعك إلاّ الذين هم أراذلنا بادى الرأى وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنّكم كاذبين﴾.

١٠- [وقال مجاهد ﴿الجودى﴾ جبل بالجزيرة].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا أبن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.وبه قال سفيان وقال قتادة هو جبل بالموصل وقال ابن عباس: على الجبل واسمه الجودي.

قلت: وهذه الأقوال قد اتفقت كما ترى على أن الجودي اسم جبل وإنما اختلفت في موضعه ولعل البخاري اختار قول مجاهد لأنه قول الأكثر.

والآية المشار إليها:**﴿وقيل يأرض ابلعى ماءك ويسماء أقلعى وغيض المآء وقضى الأمر واستوت على الجودىّ وقيل بعداً لّلقوم الظّالمين﴾.**

١١- [وقال الحسن ﴿إنّك لأنت الحليم ﴾ يستهزؤون به].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق أبي المليح عن الحسن البصري بهذا وأراد الحسن أنهم قالوا له ذلك على سبيل الإستعارة التهكمية قاله في الفتح ٦/٤٥٠.

والذي وجدته عند ابن أبي حاتم في تفسير هذه الآية حدثنا المنذر بن شاذان عن زكريا بن عدي عن أبي المليح عن ميمون بن مهران في قول الله **﴿إنك لأنت الحليم الرّشيد﴾** قال هزواً.

وأخرجه ابن جرير عن ابن جريج وابن زيد.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا يشعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد ءاباؤنا أو أن نّفعل فى أموالنا ما نشؤا إنّك لأنت الحليم الرشيد﴾.**

١٢- [وقال ابن عباس ﴿اقلعى﴾ امسكي].

ش: وصله ابن أبي حاتم:حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وياسماء اقلعي﴾** يقول أمسكي.

وروى عن قتادة نحو ذلك.

والآية المشار إليها قد مضت ضمن الأثر رقم عشرة.

١٣- [﴿وفار التنور﴾ نبع الماء].

ش: أخرجه ابن أبي حاتم ثني أبي عن أبي صالح حدثنا معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله **﴿وفار التنور﴾** يقول نبع.

وأخرجه ابن جرير عنه من وجه آخر قال: التنور وجه الأرض قيل له إذا رأيت الماء على وجه الأرض فاركب أنت ومن معك.

١٤- وقال عكرمة: وجه الأرض.

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن إدريس قال أخبرنا الشيباني عن عكرمة في قوله **﴿وفار التنورْ﴾** قال وجه الأرض.

وقال الحسن ومجاهد وهو رواية عن ابن عباس هو التنور الذي يختبز فيه أخرجه عنهم ابن جرير واختاره.

والآية المشار إليها: **﴿حتىإذا جآء أمرنا وفار التّنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن ءامن ومآ ءامن معه إلا قليل﴾**.

١٧٣ـ [باب ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾.

ش: في معنى قوله تعالى **﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾** خمسة أقوال لأهل التفسير:

أولها: أنه من فعل بعض المنافقين كان إذا مر برسول الله ﷺ غطى وجهه وثنى ظهره وبه قال عبد الله بن شدّاد.

وثانيها: أنهم يفعلون ذلك جهلا منهم بالله وظنا أن الله يخفى عليه ما تضمره صدورهم إذا فعلوا ذلك وبه قال مجاهد والحسن وأبو رزين.

وثالثها: إنما كانوا يفعلون ذلك لئلا يسمعوا كلام الله وهو قول قتادة.

ورابعها: إنما هذا إخبار من الله نبيه ﷺ عن المنافقين الذين كانوا يضمرون له العداوة والبغضاء ويبدون له المحبة والمودة.

وخامسها: وهو قول ابن زيد وابن عباس أنهم كانوا يفعلون ذلك إذا ناجى بعضهم بعضاً.

حكاها ابن جرير واختار تأويل من قال أنهم كانوا يفعلون ذلك جهلاً منهم بالله.

قوله **﴿يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾** يقول جل ثناؤه يعلم ما يسر هؤلاء الجهلة بربهم الظانون أن الله يخفى عليه ما أضمرته صدورهم إذا حنوها على ما فيها وثنوها وما تناجوه بينهم فأخفوا وما يعلنون سواء عنده سرائر عباده وعلانيتهم.

قوله **﴿إنه عليم بذات الصدور﴾** وجملة إنه عليم بذات الصدور تعليل لما قبلها وتقرير له وذات الصدور هي الضمائر التي تشتمل عليها الصدور وقيل هي القلوب والمعنى أنه عليم بجميع الضمائر أو عليم بالقلوب وأحوالها في الإسرار والإظهار فلا يخفى عليه شيء من ذلك.

٢٠١ـ حدثنا الحسن بن محمد بن صباح[1] حدثنا حجاج قال: قال ابن جريج:أخبرني محمد بن عباد بن جعفر[2] أنه سمع ابن عباس يقرأ (ألا إنهم تثنوني صدورهم) قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء فنزل ذلك فيهم.

٢٠٢ـ حدثني إبراهيم بن موسى أخبرنا هشام عن ابن جريج وأخبرني محمد بن عباد بن جعفر أن ابن عباس قرأ (ألا إنهم تثنوني صدورهم) قلت يا أبا العباس ما تثنوني صدورهم ؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحي أو يتخلى فيستحي فنزلت (ألا إنهم تثنوني صدورهم).

٢٠٣ـ حدثنا الحميدي[3] حدثنا سفيان حدثنا عمرو[4] قال قرأ ابن عباس ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم﴾ وقال غيره عن ابن عباس يستغشون يغطون رؤوسهم.

ش: قلت اتفق الخبر الأول والثاني على أن نزول الآية فيمن كانوا يستحيون أن يفضوا بعوراتهم إلى السّماء حين التّخلي أو حين الجماع وعليه فإن الآية دليل على أنه لا حرج من الإفضاء بالعورة إلى السّماء في هذين الحالين وقوله تثنوْني على وزن تفعوْلل وإعراب الصدور فاعلا هو قراءة عكرمة أيضاً أخرج ذلك ابن جرير واختار قراءة العامة وهي يثنون.

---

(١) الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي صاحب الشافعي وقد شاركه في الطبقة الثانية من شيوخه ثقة من العاشرة مات سنة ستين ومائتين أو قبلها بسنة.خ. ٤.

(٢) محمد بن عباد بن جعفر بن مخزوم المخزومي المكي ثقة من الثالثة.ع.

(٣) الحميدي هو أبو بكر عبد الله بن الزّبير بن عيسى القرشي الأسدي ثقة حافظ فقيه من العاشرة مات بمكة سنة تسع عشرة [ومائتين] وقيل بعدها. خ.م.د.ت.س.فق.

(٤) أبو محمد عمرو بن دينار المكي الأثرم الجمحي مولاهم ثقة ثبت من الرابعة مات سنة ست وعشرين ومائة.ع.

وقوله في الخبر الثالث «وقال غيره» أي غير عمرو بن دينار. وقد أخرجه ابن أبي حاتم ثنا أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ﴿**يستغشون ثيابهم**﴾ يقول يغطون رؤوسهم.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿سيء بهم﴾ ساء ظنه بقومه ﴿وضاق بهم﴾ بأضيافه].

ش: اخرجه ابن جرير ثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ﴿**ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً**﴾.يقول ساء ظنا بقومه وضاق ذرعا بأضيافه.

والآية المشار إليها سبق ذكرها في الباب قبله ضمن الأثر رقم واحد.

٢- [﴿بقطع من الليل﴾ بسواد].

ش: رواه ابن أبي حاتم: حدثني أبي عن أبي صالح حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله بقطع من الليل سواد من الليل.

وأخرجه عن قتادة قال: بطائفة من الليل أي سواده.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا يالوط إنّا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب**﴾.

٣- [وقال مجاهد: ﴿أنيب﴾ أرجع].

ش: اخرجه ابن جرير ثنا ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وإليه أنيب**﴾ قال: أرجع.

والآية المشار إليها:﴿**وما توفيقى إلا با لله عليه توكلت وإليه أنيب**﴾.

١٧٤ـ باب قوله ﴿وكان عرشه على الماء﴾.

ش: قلت الآية **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إنْ هذا إلا سحر مبين﴾**.

قوله **﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾**.يخبر تعالى عن قدرته على كل شيء وأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام وأن عرشه كان على الماء قبل ذلك وأخرج الإمام أحمد والشيخان واللفظ للبخاري عن عمران ابن حصين رضي الله عنهما قال: دخلت على النبي ﷺ وعقلت ناقتي بالباب فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يابني تميم قالوا: قد بشرتنا فأعطنا مرتين ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قد قبلنا يا رسول الله قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر قال: كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض وفي رواية أنهم قالوا جئناك نسألك عن أول هذا الأمر فقال: كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والأرض.

قوله **﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾** اللام متعلقة بخلق أي خلق هذه المخلوقات ليبتلي عباده بالإعتبار والتفكر والإستدلال على كمال قدرته وعلى البعث والجزاء أيهم أحسن عملا فيما أمر به ونهى عنه فيجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته ويوفر الجزاء لمن كان أحسن عملا من غيره ويدخل في العمل الإعتقاد لأنه من أعمال القلب.

قوله **﴿ولئن قلت إنكم مبعوثون﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ولئن

قلت لهؤلاء المشركين من قومك إنكم مبعوثون أحياء من بعد مماتكم فتلوت عليهم بذلك تنزيلي ووحيي ليقولن إن هذا إلا سحر مبين أي ما هذا الذي تتلوه علينا مما تقول إلا سحر لسامعه مبين حقيقته أنه سحر.

من فقه الآية:

أولاً: عظيم قدرة الله عزوجل.

ثانياً: سبق العرش في الخلق للسموات والأرض كما دلت عليه السنة التي ذكرناها في معنى الآية.

ثالثاً: ليست العبرة بكثرة العمل وحدها بل بإحسانه وهو أن يكون خالصا لله صوابا على سنة رسوله ﷺ.

رابعاً: وجوب الإيمان بالبعث والجزاء وأن منكر ذلك كافر.

٢٠٤ـ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: أَنفق أُنفق عليك وقال يد الله ملأى لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماءَ والأرض؟ فإنه لم يغض ما في يده وكان عرشه على الماء وبيده الميزان يخفض ويرفع.

ش / فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**قال الله عزوجل**» في رواية سفيان قال «قال الله تبارك وتعالى يا ابن آدم» وفي رواية همام بن منبه «إن الله قال لي» وكلتاهما عند مسلم في الزكاة باب الحث على النفقة، والجامع بينهما أن توجيه الخطاب للنبي ﷺ لكونه الواسطة في التشريع وتوجيه الخطاب لغيره من بني آدم لكونهم المأمورين.

الثانية: قوله «**أَنفق أُنفق عليك**» فيه التحريض على النفقة، واجبة كانت أو مندوبة ووعد الله على ذلك بالإنفاق على المنفق يتضمن الخلف له وهو في الدنيا بالزيادة والبركة في ماله وفي الآخرة بالأجر، وفي الحديث الصحيح «ما من يوم

يصبح فيه العباد إلا وملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم اعـط منفقـاً خلفـا...» الحديث.

الثالثة: قوله «**يد ا لله ملأى**» بفتح الميم وسكون اللام وهمزة مع القصر تأنيث ملآن ووقع بلفظ «ملآن» في رواية لمسلم في الزكاة ووجَهَها بعضهم بإرادة اليمين فإنها تذكر وتؤنث وكذلك الكف

الرابعة: قوله «**لايغيضها**» بالمعجمتين بفتح أوله أي لا ينقصها، يقال غاض الماء يغيض إذا نقص

الخامسة: قوله «**سَحَّاء**» بفتح المهملتين مثقل ممدود أي دائمة الصب يقال سح بفتح أوله مثقل يسح بكسر السين في المضارع ويجوز ضمها وضبط عند مسلم «سحاً» بلفظ المصدر.

السادسة: قوله «**الليل والنهار**» بالنصب على الظرف أي فيهما ويجوز الرفع ووقع في رواية لمسلم «**سحَ الليلِ والنهار**» بالإضافة وفتح الحاء ويجوز ضمها.

السابعة: قوله «**أرأيتم ما أنفق**» أي أخبروني والمراد به التنبيه على وضوح ذلك لمن له بصيرة.

الثامنة: قوله «**منذ خلق السموات والأرض**» في التوحيد من هذا الوجه «**منذ خلق ا لله**» وكذا في رواية همام.

التاسعة: قوله «**فإنه لم يغض**» أي ينقص ووقع في رواية همام عند مسلم «لم ينقص ما في يمينه قال الحافظ: قال الطيبي: يجوز أن تكون ملأى ولا يغيضها «وسحاء وأرأيت» أخبارا مترادفة ليد ا لله ويجوز أن تكون الثلاثة أوصافا لملأى ويجوز أن يكون «أرأيتم» استئنافا فيه معنى الترقي كأنه لما قيل ملأى أوهم جواز النقصان فأزيل بقوله لا يغيضها شيء وقد يمتلىء الشيء ولا يغيض فقيل سحاء

إشارة إلى الغيض وقرنه بما يدل على الإستمرار من ذكر الليل والنهار ثم أتبعه بما يدل على أن ذلك ظاهر غير خاف على ذي بصر وبصيرة بعد أن اشتمل من ذكر الليل والنهار بقوله أرأيتم على تطاول المدة لأنه خطاب عام والهمزة فيه للتقرير قال وهذا الكلام إذا أخذته بجملته من غير نظر إلى مفرداته أبان زيادة الغنى وكمال السّعة والنّهاية في الجود والبسط في العطاء.

العاشرة: قوله «**كان عرشه على الماء**» مناسبة ذكر العرش هنا أن السّامع يتطلع من قوله «خلق السموات والأرض» ما كان قبل ذلك فذكر ما يدل على أن عرشه قبل خلق السموات والأرض كان على الماء كما وقع في حديث عمران بن حصين المتقدم في شرح الآية بلفظ «كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض».

الحادية عشرة: قوله «**وبيده الميزان**» في التوحيد وبيده الأخرى وفيه دليل على أن الرب له يدان وقوله الميزان قال الخطابي: الميزان مثل والمراد القسمة بين الخلق وإليه الإشارة بقوله يخفض ويرفع وقال الداودي معنى الميزان أنه قدر الأشياء ووقتها وحددها فلا يملك أحد نفعا ولا ضرا إلا منه وبه وعند المصنف في رواية همام «وبيده الأخرى الفيض أو القبض» بالشك وعند مسلم «القبض» بالجزم.

قال مقيده: فتحصل عندنا من هذه الروايات أن الله جل علاه ينفق كيف يشاء وأنه يخفض ويرفع ويعطي ويمنع وكل ذلك منه بحكمة وعدل، ويحتمل أن يكون المراد بالقبض المنع لأن الإعطاء قد ذكر في قوله قبل ذلك سحاء الليل والنهار، فيكون مثل قوله تعالى ﴿**والله يقبض ويبسط**﴾ ووقع في حديث النواس بن سمعان عند مسلم «الميزان بيد الرحمن يرفع أقواما ويضع آخرين» وفي حديث أبي موسى عند مسلم في الإيمان باب إن الله لا ينام «إن الله لا ينام ولا ينبغي أن ينام يخفض القسط ويرفعه» وظاهره أن المراد بالقسط الميزان، وهو مما يؤيد أن

الضمير المستتر في قوله يخفض ويرفع للميزان قال المازري: ذكر القبض والبسط وإن كانت القدرة واحدة لتفهيم العباد أنه يفعل بها المختلفات.

من فقه الحديث:

أولاً: سعة فضل الله وكثرة جوده.

ثانياً: كمال قدرته.

ثالثاً: إثبات اليدين لله ﷻ وهما صفتا ذات حقيقيتان.

رابعاً: أن خلق العرش قبل خلق السماوات والأرض.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿اعتراك﴾ افتعلك من عروته أي أصبته ومنه يعروه واعتراني].

ش: قاله أبو عبيدة وأنشد

«تذكر دخلاً عندنا وهو فاتك من القوم يعروه اجتراء ومأثم»اهـ

والآية المشار إليها: **﴿إن نّقول إلاّ اعتراك بعض ءالهتنا بسوء قال إنّى أشهد الله واشهدوا أنّي بريء مّمّا تشركون﴾.**

٢- [﴿ءاخذ بناصيتها﴾ أي في ملكه وسلطانه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: إلا هو في قبضته.

والآية المشار إليها: **﴿إنّي توكلت على الله ربي وربكم ما من دآبة إلا هو ءاخذ بناصيتهآ إنّ ربي على صراط مستقيم﴾.**

٣- [﴿عنيد﴾ وعنود وعاند واحد هو تأكيد التجبر].

ش: قال أبو عبيدة: «وهو العنود أيضاً والعاند سواء وهو الجائر العادل عن الحق قال الراجز: إني كبير لا أطيق العنّدا.

يعني الإبل ويقال عرق عاند أي ضار لا يرقأ قال العجاج مما ضرى العرق به الضري»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد**﴾.

٤- [﴿استعمركم﴾جعلكم عمارا أعمرته الدار فهي عمرى جعلتها له].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه جعلكم عمار الأرض يقال أعمرته الدار أي جعلتها له أبداً وهي العمرى وأرقبته أسكنته إياها إلى موته»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب**﴾.

٥- [﴿نكِرَهم﴾ وانكرهم واستنكرهم واحد].

ش: قال أبو عبيدة: «نكرهم وانكرهم سواء قال الأعشى:

فأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة**﴾.

٦- [﴿حميد مجيد﴾ كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد].

ش: قال أبو عبيدة في الآية: «أي محمود ماجد».

وقال ابن جرير: «يقول إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم وعلى سائر خلقه ﴿**مجيد**﴾ يقول ذو مجد ومدح وثناء كريم يقال في فعل منه مجد الرجل يمجد مجادة إذا صار كذلك وإذا أردت أنك مدحته قلت مجدته تمجيداً».

والآية المشار إليها:﴿**قالوا أتعجبين من أمر الله رحمت الله وبركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد**﴾.

٧- [﴿سجيل﴾ الشديد الكبير سجيل وسجين ،اللام والنون أختان وقال تميم ابن مقبل:

ورجْلةٍ يضربون البِيْضَ ضاحيةً   ضربا تَواصى به الأبطالُ سجّينا .أهـ

ش: قال أبو عبيدة في الآية: «وهو الشديد من الحجارة الصلب ومن الضرب قال ضربا تواصى به الأبطال سجيلا.

وبعضهم يحول اللام نونا كقول النابغة:

بكل مدجج كالليث يسمو   على أوصال ذيّال رفن

يريد رفل»اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود﴾**.

٨- [﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾ إلى أهل مدين لأن مدين بلد ومثله ﴿واسأل القرية﴾ واسأل العير يعني أهل القرية وأصحاب العير].

ش: قال أبو عبيدة: «مدين لا ينصرف لأنه إسم مؤنث ومجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير وإلى أهل مدين وفي القرآن مثله قال **﴿وسئل القرية﴾** أي أهل القرية **﴿وسئل العير﴾** أي من في العير»اهـ.

وأخرج ابن جرير عند تفسير الآية الخامسة والثمانين من سورة الأعراف عن ابن إسحاق: «أن مدين قبيلة كتميم وزعم أيضا ابن إسحاق أن شعيبا الذي ذكر الله أنه أرسله إليهم من ولد مدين هذا وأنه شعيب ين ميكيل بن يشجر قال واسمه بالسريانية بثرون»اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان﴾**.

٩- [﴿ورآءكم ظهريا﴾ يقول لم تلتفتوا إليه ويقال إذا لم يقض الرجل حاجته ظهرتَ بحاجتي وجعلتني ظهريا والظهري ههنا أن تأخذ معك دابة أو وعاء تستظهر به].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه ألقيتموه خلف ظهوركم فلم تلتفتوا إليه ويقال للذي لا يقضي حاجتك ولا يلتفت إليها ظهرت بحاجتي وجعلتها ظهرية أي خلف ظهرك وقال:

وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر.

أي من الذين يظهرون بهم ولا يلتفتون إلى أرحامهم»اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**قال يقوم أرهطى أعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا إن ربي بما تعملون محيط**﴾.

١٠- [﴿أراذلنا﴾ سقاطنا].

ش: قال ابن جرير في الآية يقول: «وما نراكك اتبعك إلا الذين هم سفلتنا من الناس دون الكبراء والأشراف».

والآية المشار إليها مضت ضمن الأثر العاشر من الباب الثاني والسبعين بعد المائة.

١١- ﴿إجرامي﴾ هو مصدر من أجرمت وبعضهم يقول جرمت

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «تجرم وقال الهيردان السعدي أحد لصوص بني سعد:

طريد عشيرة ورهين ذنب بما جرمت يدي وجنى لساني».

والآية المشار إليها:﴿**أم يقولون افتراه قل إن افتريته فعلي إجرامي وأنا برىء مما تجرمون**﴾.

١٢- [﴿الفُلك﴾ والفَلَك واحد وهي السّفينة والسّفن].

ش: «قال أبو عبيدة: «الفلك واحد وجميع وهي السفينة والسفن مثل السلام واحدها السلامة مثل نعام ونعامة وقتاد وقتادة» إنتهى.

وقال ابن جرير: «والفلك هو السفن واحده وجمعه بلفظ واحد ويذّكر ويؤنّث».

والآية المشار إليها:﴿**واصنع الفلك بأعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون**﴾.

١٣- [﴿مجراها﴾ مَدْفعها وهو مصدر أجريتُ وأرسيتُ حبستُ ويُقرأ مَرْسَاهامن رستْ هي ومَجراها من جرَت هي، ومجرِيها ومرسِيها من فعل بها].

ش: قوله ومجراها قرأ حفص وحمزة والكسائي بفتح الميم والإمالة بنون على جريت فهو مصدر جرت دليله قوله تجري بهم ولو حمل على الضم لقال تجريهم وقرأ الباقون بضم الميم وأمال أبو عمرو وقرأ ورش بين اللفظين بنون مصدرا من أجرى وهما لغتان يقال جريت به وأجريته مثل ذهبت به وأذهبته وقد أجمعوا على الضم في مرساها من رسيت وهم يقولون رست وقد أجمعوا على ﴿**الجبال أرساها**﴾ النازعات وعلى الضم في ﴿**أيان مرساها**﴾ الأعراف والضم في الميم في ﴿**مجراها**﴾ الإختيار لأن الأكثر عليه». قاله مكي في الكشف.

والآية المشار إليها:﴿**وقال اركبوا فيها بسم ا لله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم**﴾.

١٤- [﴿راسيات﴾ : ثابتات].

ش: قال أبو عبيدة في قوله تعالى من سورة سبأ «﴿**وقدور راسيات**﴾ عظام ويقال ثابتات دائمات قال زهير:

وأين الذين يحضرون جفانه إذا قدمت ألقوا عليها المراسيا.

أي أثبتوا عليها»انتهى.

قلت: وليست الكلمة من سورة هود بل هي الآية الثالثة عشرة من سورة سبأ وقد ذكر ذلك استطرادا واستشهادا لما قبله.

١٧٥ـ باب ﴿ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾.

ش: قلت: الآية **﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلآء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾.**

يقول تعالى ذكره: وأي الناس أشد تعذيبا ممن اختلق على الله كذبا فكذب عليه أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين يكذبون على ربهم يعرضون يوم القيامة على ربهم فيسألهم عما كانوا في دار الدنيا يعملون.

وقوله **﴿ويقول الأشهاد﴾** يعني الملائكة والأنبياء الذين شهدوهم وحفظوا عليهم ما كانوا يعملون وهم جمع شاهد مثل الأصحاب الذي هو جمع صاحب **﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم﴾** يقول شهد هؤلاء الأشهاد في الآخرة على هؤلاء المفترين على الله في الدنيا فيقولون هؤلاء الذين كذبوا في الدنيا على ربهم.

يقول الله **﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾** وهذا بيان بسوء مصيرهم يوم القيامة وذلك أنّ عليهم من الله اللعنة واللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله ولازم هذا شدة غضبه وسخطه عليهم.

[واحد الأشهاد شاهد مثل صاحب وأصحاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «ويقول بعضهم شهيد في معنى شاهد بمنزلة شريف والجميع أشراف». اهـ

٢٠٥ـ حدثنا مسدد حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد وهشام قالا حدثنا قتادة عن صفوان بن محرز[1] قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال:

(١) صفوان بن محرز بن زياد المازني أو الباهلي ثقة عابد من الرابعة مات سنة أربع وسبعين.[ومائة] خ.م.ت.س.ق.

يا أبا عبد الرحمن أو قال: يا ابن عمر سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ فقال سمعت النبي ﷺ يقول:((يُدْني المؤمنُ من ربه وقال هشام يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه، تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: ربِّ أعرف مرتين فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم ثم تُطوى صحيفة حسناته وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين)).

وقال شيبان عن قتادة حدثنا صفوان.

ش: فيه عشر مسائل:

الأولى: قوله ((**بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل**)) في المظالم باب قوله تعالى ﴿**ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ من رواية همام عن قتادة عن صفوان قال ((بينما أنا أمشي مع ابن عمر آخذ بيده)) وفي الأدب باب ستر المؤمن على المؤمن ((أن رجلا سأل ابن عمر)) ولم يعرف السائل قال الحافظ: لكن يمكن أن يكون هو سعيد بن جبير فقد أخرج الطبراني من طريقه قال ((قلت لابن عمر حدثني)) فذكر الحديث.

الثانية: قوله ((**سمعت النبي ﷺ في النجوى؟**)) وفي الأدب ((كيف سمعت؟)) والنجوى هي ما تكلم به المرء يُسمع نفسه ولا يُسمع غيره أو يُسمع غيره سرا دون من يليه قال الراغب: ((ناجيته إذا ساررته وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض وقيل أصله من النجاة وهي أن تنجو بسرك من أن يطلع عليه والنجوى أصله المصدر وقد يوصف بها فيقال هو نجوى وهم نجوى))، والمراد بها هنا المناجاة التي تقع من الرب سبحانه وتعالى يوم القيامة مع المؤمنين.

الثالثة: قوله ((**يدني المؤمن من ربه**)) وفي الأدب ((يدنو أحدكم من ربه)) وفي رواية سعيد بن أبي عروبة ((يدنو المؤمن من ربه)) والمعنى يقرب منه وهذا

القرب على حقيقته والمقرب هو الله سبحانه وتعالى كما هو مصرح به في المظالم من رواية همام «إن الله يدني المؤمن».

الرابعة: قوله «**حتى يضع عليه كنفه**» وفي الأدب «حتى يضع كَنَفه» والكنف بفتحتين الجانب، والجمع أكناف مثل سبب وأسباب واكتنفه القوم كانوا منه يمنة ويسرة والكنيف الساتر وسمي الترس كنيفا لأنه يستر صاحبه قاله في المصباح.

قلت: ويبدو لي أن الكنف في الحديث شيء يستر الله به عبده المؤمن حين مناجاته له حتى لا يراه الناس يوضحه ما وقع في رواية سعيد بن جبير بلفظ «يجعله في حجابه» زاد في رواية همام «وستره».

الخامسة: قوله «**فيقرره بذنوبه**» وفي الأدب «فيقول عملت كذا وكذا» وفي رواية همام فيقول «أتعرف ذنب كذا وكذا» وفي رواية سعيد بن جبير عند الطبراني «فيقول له إقرأ صحيفتك فيقرأ ويقرره بذنب ذنب ويقول أتعرف أتعرف».

السادسة: قوله «**يقول رب أعرف**» وفي الأدب «فيقول نعم» وفي رواية همام «أي رب».

السابعة: قوله «**فيقول سترتها في الدنيا**» وفي الأدب «ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم» وفي رواية سعيد بن جبير «فيلتفت يمنة ويسرة فيقول: لا بأس عليك إنك في ستري لا يطلع على ذنوبك غيري.

الثامنة: قوله «**ثم تطوى صحيفة حسناته**» وفي المظالم «فيعطى كتاب حسناته» وفي رواية سعيد بن جبير «اذهب فقد غفرتها لك».

التاسعة: قوله «**وأما الآخرون أو الكفار**» ووقع عند الثلاثة «وأما الكافر والمنافق» ولبعضهم «الكفار والمنافقون» قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده بستره لذنوبهم يوم القيامة وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم بخلاف قول من

أنفذ الوعيد على أهل الإيمان لأنه لم يستثن في هذا الحديث ممن يضع عليه كنفه وستره أحدا إلا الكفار والمنافقين فإنهم الذين ينادى عليهم على رؤوس الأشهاد باللعنة حكاه الحافظ.

قلت: واعلم أن هذا فيما بين العبد وربه أما ما كان بين العباد فإنه لا بد فيه من المقاصة فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» رواه مسلم.

العاشرة: قوله «**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم**» **قلت**: هذا هو الشاهد من الحديث وقد تقدم شرحه في تفسير الآية

وقول البخاري: «**وقال شيبان عن قتادة...الخ**» ليثبت سماع قتادة من صفوان.

من فقه الحديث:

أولاً: فضل الله على أهل الإيمان بستر ذنوبهم عن الناس يوم القيامة ومغفرتها.

ثانياً: إثبات الكَنَف لله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: فضح الكفار والمنافقين يوم القيامة بذنوبهم.

١٧٦- باب [قوله ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه اليم شديد﴾].

ش: يقول تعالى ذكره: وكما أخذت أيها الناس أهل هذه القرى التي اقتصصت عليك نبأ أهلها بما أخذتها به من العذاب، على خلافهم أمري، وتكذيبهم رسلي، وجحودهم آياتي، فكذلك أخذي القرى وأهلها إذا أخذتهم بعقابي وهم ظلمة لأنفسهم بكفرهم با لله وإشراكهم به غيره وتكذيبهم رسله **﴿إن أخذه أليم﴾** يقول إن أخذ ربكم بالعقاب من أخذه أليم يقول موجع شديد الإيجاع وهذا أمر من ا لله وتحذير لهذه الأمة أن يسلكوا في معصيته طريق من قبلهم من الأمم الفاجرة، فيحل بهم ما حل بهم من المثلات.اهـ.من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿الرفد المرفود﴾ العون المعين، رفدته أعنته].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز العون المعان يقال رفدته عند الأمير أي أعنته وهو من كل خير وعون وهو مكسور الأول وإذا فتحت أوله فهو القدح الضخم قال الأعشى:

رب رفد» اهـ.

وقال ابن جرير: وأصل الرفد العون يقال منه رفد فلان فلاناً عند الأمير يرفده رِفداً بكسر الراء، ويقال رفد فلان حائطه وذلك إذا أسنده بخشبة لئلا يسقط والرفد بفتح المصدر يقال منه رفده يرفده رفداً، والرفد إسم الشيء الذي يعطاه الإنسان وهو المرفد.

والآية المشار إليها: **﴿وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة بئس الرفد المرفود﴾.**

٢- [﴿تركنوا﴾ تميلوا]

ش: قال أبو عبيدة: «أي لا تعدلوا ولا تنزعوا إليهم ولا تميلوا، ويقال

ركنت إلى قولك أي أردته وأحببته وقبلته».اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**﴾.

٣- [﴿فلولا كان﴾ فهلا كان].

ش: قاله أبو عبيدة والآية المشار إليها:﴿**فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا مآ أترفوا فيه وكانوا مجرمين**﴾.

٤- [﴿أترفوا﴾ اهلكوا].

ش: قلت هذا تفسير باللازم لأن لازم إتراف القوم وإسرافهم على أنفسهم إهلاكهم وقال أبو عبيدة في قوله تعالى ﴿**ما أترفوا فيه**﴾ أي ما تجبروا وتكبروا عن أمر الله وصدوا عنه وكفروا قال:

تهدي رؤوس المترفين الصدّاد إلى أمير المؤمنين الممتاد

الممتاد من ماد يميد.اهـ.

قلت: وهو قول مجاهد وقال ابن عباس وقتادة «ما أنظروا فيه»

أخرج القولين كليهما ابن جرير ١٣٩/٧

والآية المشار إليها تقدمت في الأثر الثالث.

٥- [وقال ابن عباس: ﴿زفير وشهيق﴾ شديد وصوت ضعيف].

ش: قلت أخرج ابن جرير: حدثنا المثنى قال ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وكذا ابن أبي حاتم عن أبي صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس به وقال أبو العالية: الزفير في الحلق والشهيق في الصدر وقال قتادة: صوت الكافر في النار صوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق.أخرجه عنهما ابن جرير.

والآية المشار إليها:﴿**فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق**﴾.

٢٠٦ـ حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا أبو معاوية حدثنا بريد ابن أبي بردة[١] عن أبي بردة[٢] عن أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.قال ثم قرأ ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾.

ش: فيه خمس مسائل:

الأولى: قوله «**إن الله ليملي**» في رواية ابن نمير عند مسلم في البر والصلة باب تحريم الظلم «إن الله عزوجل يملي» وعند الترمذي في تفسير الآية من رواية أبي كريب «إن الله تبارك وتعالى يملي وربما قال يمهل» **قلت:** ولا يضر الشك ههنا لأن الإملاء والإمهال بمعنى واحد.

الثانية: قوله «**للظالم**» يحتمل أن المراد به عموم الظلمة كفارا كانوا أو فساقاً لكن ظاهر الإستشهاد بالآية يؤيد الأول.

الثالثة: قوله «**حتى إذا أخذه لم يفلته**» وعند مسلم من رواية ابن نمير «فإذا أخذه» وقوله «لم يفلته» لم يخلصه وفي الحديث دليل على أنه لا خلاص للظالم ولا نجاة له من عقوبة الله إذا وقعت عليه.

الرابعة: قوله «**ثم قرأ**» هو النبي ﷺ كما هو الظاهر من لفظ الحديث وفيه جواز الإستشهاد للسنة من القرآن تأكيداً للمعنى.

الخامسة: قوله «**وكذلك أخذ ربك**» هذا هو محل الشاهدمن الحديث وقد مضى شرحه ضمن تفسير الآية.

---

(١) هو بريد بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري الكوفي ثقة يخطىء قليلا من السادسة.ع.

(٢) أبو بردة بن أبي موسى الأشعري قيل اسمه عامر وقيل الحارث ثقة من الثالثة مات سنة أربع ومائة وقيل غير ذلك جاز الثمانين.ع.

١٧٧ـ [باب قوله ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾].

ش: قوله «**﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وأقم الصلاة يا محمد يعني صل طرفي النهار يعني الغداة والعشي وأما قوله **﴿وزلفا من الليل﴾** فإنه يعني ساعات من الليل وهي جمع زلفة والزلفة الساعة والمنزلة والقربة».اهـ من ابن جرير.

قوله **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾** أي إن الحسنات على العموم ومن جملتها بل عمادها الصلاة يذهبن السيئات على العموم وقيل المراد بالسيئات الصغائر ومعنى يذهبن السيئات أي يكفرنها حتى كأنها لم تكن.

قال مقيده: وهذا الأخير هو الذي ينبغي المصير إليه لقوله تعالى **﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾** فالآية نص في أن تكفير الصغائر مشروط باجتناب الكبائر وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر».

قوله **﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾** يعني به ما ذكر قبله وهو يتضمن شيئين

أولهما: الأمر بإقام الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل

وثانيهما: الإخبار أن الحسنات يذهبن السيئات فيه موعظة لمن تذكر واتعظ.

[﴿وزلفا﴾ ساعات بعد ساعات ومنه سميت المزدلفة، الزُّلَف منزلة بعد منزلة، وأما ﴿زلفى﴾ فمصدر من القربى، إزدلفوا اجتمعوا، أزلفنا جمعنا].

ش: قال نحوه أبو عبيدة وزاد قال العجاج:

ناج طواه الأين مما وجفا طيّ الليالي زلفاً فزلفا.

وقول البخاري «**زلفى**» هي من سورة ص و «أزلفنا» من سورة الشعراء

وقد ذكر الكلمتين على سبيل الإستطراد.

٢٠٧- حدثنا مسدد حدثنا يزيد - هو ابن زريع - حدثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان[1] عن ابن مسعود ﷺ أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾ قال الرجل: ألي هذه؟ قال لمن عمل بها من أمتي.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «إن رجلاً» ليس له تسمية في هذا الحديث وعند ابن جرير في تفسير الآية من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعي قال: جاء فلان ابن معتب الأنصاري فقال: يا رسول الله دخلت على امرأة فنلت منها ما ينال الرجل من أهله إلا أني لم أجامعها.

الثانية: قوله «**أصاب من امرأة قبلة**» في رواية معتمر بن سليمان التيمي عن أبيه عند مسلم في التوبة باب قوله تعالى ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ «فذكر أنه أصاب من امرأة قبلة أو مساً بيد أو شيئا كأنه يسأل عن كفارة ذلك». وعند عبد الرزاق في التفسير عن معمر عن سليمان التيمي بإسناده «ضرب رجل على كفل امرأة» الحديث. وفي رواية مسلم وأصحاب السنن من طريق سماك بن حرب عن إبراهيم النخعي عن علقمة و الأسود عن ابن مسعود «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني وجدت امرأة في بستان ففعلت بها كل شيء غير أني لم أجامعها، قبلتها ولزمتها، فافعل بي ما شئت» الحديث.

قال الحافظ: «وذكر بعض الشراح في اسم هذا الرجل نبهان التمار، وقيل

---

(١) هو عبد الرحمن بن مل بلام مثقلة والميم مثلثة أبو عثمان النهدي مشهور بكنيته مخضرم من كبار الثانية، ثقة ثبت عابد، مات سنة خمس وتسعين وقيل بعدها وعاش مائة وثلاثين سنة، وقيل أكثر. ع.

عمرو بن غزية وقيل أبو عمرو زيد بن عمرو بن غزية وقيل عامر بن قيس وقيل عباد».

الثالثة: قوله «فأتى رسول الله ﷺ» في رواية عبد الرزاق في تفسيره أنه أتى أبا بكر وعمر أيضاً، وقال فيها «فكل من سأله عن كفارة ذلك قال: أمعزبة هي؟ قال نعم.قال لا أدري.حتى أنزل» فذكر بقية الحديث.وهذه الزيادة وقعت في حديث يوسف بن مهران عن ابن عباس عند أحمد في المسند بمعناه دون قوله لا أدري.

الرابعة: قوله «**فأنزلت عليه ﴿وأقم الصلاة طرفي النهار...﴾**» قلت هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم في تفسير الآية أول الباب.

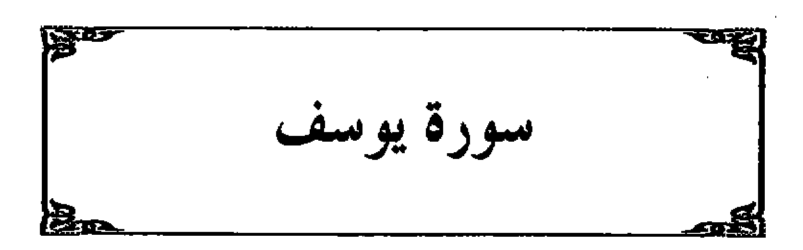
الخامسة: قوله «**قال الرجل ألي هذه؟**» أي الآية يعني خاصة بي بأن صلاتي مذهبة لمعصيتي.وظاهر هذا أن صاحب القصة هو السائل عن ذلك.ولأحمد والطبراني من حديث ابن عباس «قال يا رسول الله ألي خاصة أم للناس عامة؟ فضرب عمر صدره وقال: لا ولا نعمة عين، بل للناس عامة، فقال النبي ﷺ صدق عمر» وفي حديث أبي اليسر عند الترمذي والنسائي في تفسير الآية «فقال إنسان: يا رسول الله له خاصة» وفي رواية إبراهيم النخعي عند مسلم «فقال معاذ يا رسول الله أله وحده أم للناس كافة» والجمع بينهما بتعدد السائلين عن ذلك وقوله «ألي» بفتح الهمزة استفهاماً، وقوله «هذا» مبتدأ تقدم خبره عليه، وفائدته التخصيص.

السادسة: قوله «قال لمن عمل بها من أمتي» في الصلاة من هذا الوجه بلفظ «قال لجميع أمتي كلهم» قلت وفيه دليل على أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وتمسك بظاهر قوله **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾** المرجئة وقالوا: إن الحسنات تكفر كل سيئة كبيرة كانت أو صغيرة، وحمل الجمهور هذا المطلق على المقيد في الحديث الصحيح «أن الصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما اجتنبت

الكبائر».

قال الحافظ: وقال ابن عبد البر: ذهب بعض أهل العصر إلى أن الحسنات تكفر الذنوب، واستدل بهذه الآية وغيرها من الآيات والأحاديث الظاهرة في ذلك قال: ويرده الحث على التوبة في أي كبيرة، فلو كانت الحسنات تكفر جميع السيئات لما احتاج إلى التوبة. واستدل بهذا الحديث على عدم وجوب الحد في القبلة واللمس ونحوهما، وعلى سقوط التعزير عمن أتى شيئا منها وجاء تائبا نادما.انتهى من الفتح.

آخر سورة هود والحمد لله.



١٧٨ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يوسف.

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**إذ قال يوسف لأبيه يا أبتي إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين**﴾ وهي مكية كلها، وقال ابن عباس في رواية عنه وعن قتادة إلا أربع آيات، وعدد آياتها أحد عشرة ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال فضيل عن حصين عن مجاهد «متّكأ» الأترج قال فضيل الأترج بالحبشية متكاً].

ش: رواه ابن أبي حاتم: ثنا أبي عن أحمد بن عبد الله بن يوسف عن فضيل بن عياض عن حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله ﴿**وأعتدت لهن متكأ**﴾ قال: الأترج.

وأخرج ابن جرير: «ثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال: من قرأ ﴿**متكئا**﴾ فهو الطعام ومن قرأ ﴿**متكاً**﴾ فخفضها فهو الأترج».

وأخرج عن عطية والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة وابن زيد قالوا المتكأ الطعام.

٢- [وقال ابن عيينة عن رجل عن مجاهد:متكأ كل شيء قطع بالسكين]

قال الحافظ: هكذا رويناه في تفسير ابن عيينة رواية سعيد بن عبد الرحمن المخزومي بهذا.

والآية المشار إليها:﴿**فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ..**﴾ الآية.

٣- [وقال قتادة: ﴿لذو علم لما علمناه﴾ عاملٌ بما علم].

ش: رواه ابن جرير: ثني المثنى ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزّبير عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم عن سفيان عن ابن أبي عروبة عن قتادة به.

والآية المشار إليها:﴿**ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

٤ـ [وقال سعيد بن جبير ﴿صواع﴾ مَكّوك الفارسي الذي يلتقي طرفاه كانت تشرب به الأعاجم].

ش: رواه ابن جرير: ثني المثنى ثنا الحجاج بن منهال ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير فذكره.

وأخرجه ابن أبي حاتم من وجه آخر عن أبي عوانة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير به

والآية المشار إليها: **﴿قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم﴾.**

٥ـ [وقال ابن عباس: ﴿تفنّدون﴾ تجهّلون].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثنى وعلي بن داود قالا: ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وهذا أحد أقوال ثلاثة.

ثانيها: معناه لولا أن تكذبون وبه قال سالم والسدي وهو الرواية الثانية عن مجاهد والضحاك وعطاء وابن عباس.

وثالثها: معناه تهرمون وبه قال مجاهد في الرواية الثالثة.والحسن.واختار ابن جرير أنه الإفساد فقال: وقد بينا أن أصل التفنيد الإفساد، وإذا كان ذلك كذلك فالضعف والهرم والكذب وذهاب العقل وكل معاني الإفساد تدخل في التفنيد، لأن أصل ذلك كله الفساد، والفساد في الجسم الهرم وذهاب العقل والضعف وفي الفعل الكذب واللوم بالباطل.

والآية المشار إليها: **﴿ولما فصلت العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون﴾.**

٦ـ [وقال غيره ﴿غيابة﴾ كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة، والجب الركية التي لم تطو].

ش: قاله أبو عبيدة «وزاد في الأول قال المنخل بن سبيع العنبري:

فإن أنا يوم غيبتني غيابـــتي فسيروا مسيري في العشيرة والأهل.

وزاد في الثاني: قال الأعشى:

لئن كنت في جب ثمانين قامة ورقـــيت أسباب السماء بسلم»اهـ

والآية المشار إليها:﴿**قال قائل منهـم لا تقتلـوا يوسـف وألقـوه في غيـابت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين**﴾.

٧- [﴿بمؤمن لنا﴾ بمصدق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد ولا مقر لنا أنه صدق.

والآية المشار إليها:﴿**قالوا يا أبانا إنـا ذهبنـا نسـتبق وتركنـا يوسـف عنـد متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين**﴾.

٨- [﴿أشده﴾ قبل أن يأخذ في النقصان يقال بلغ أشده وبلغوا أشـدهم، وقال بعضهم: واحدها شَدّ].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه إذا بلغ منتهـى شـبابه وحـده وقوتـه مـن قبـل أن يأخذ في النقصان وليس له واحد من لفظه.وقوله «وقـال بعضهـم واحدهـا شـد» قلت هو الكسائي.

والآية المشار إليها:﴿**ولما بلغ أشده ءاتيناه حكما وعلما**﴾.

٩- [والمُتّكأ: ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام، وأبطـل الـذي قال الأترج، وليس في كلام العرب الأترج، فلما احتج عليهم بـأن المتكـأ مـن نمارق، فروا إلى شر منه فقالوا: إنما هو المتْك ساكنة التـاء، وإنمـا المتك طـرف البظر، ومن ذلك قيل لها متكـاء وابـن المتكـاء، فـإن كـان ثـمّ أتـرج فإنـه بعـد المتكأ].

ش: **قلت**: مضـت الكلمـة برقـم واحـد وكـان حـق هـذا التفسـير أن يقـع هناك.وأما المتكأ فقال أبو عبيدة في الآية ﴿**وأعتدت لهن متكأ**﴾ أفعلت من العتاد

ومعناه: اعدت له متكأ أي نمرقا تتكيء عليه وزعم قوم أنه الأترج وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أن يكون مع المتكأ أترج يأكلونه ويقال: ألق له متكئاً.

وقوله «**ليس في كلام العرب الأترج**» يريد أنه ليس في كلام العرب تفسير المتكأ بالأترج قال صاحب المطالع: وفي الأترج ثلاث لغات، ثانيها بالنون وثالثها مثلها بحذف الهمزة وفي المفرد كذلك،وعند بعض المفسرين اعتدت لهن البطيخ والموز، وقيل كان مع الأترج عسل، وقيل كان للطعام المذكور بزماورد لكن ما نفاه المؤلف رحمه الله تبعا لأبي عبيدة،قد أثبته غيره، وقد روى عبد بن حميد من طريق عوف الأعرابي حديث ابن عباس أنه كان يقرأها متكا مخففة ويقال هو الأترج، وقد حكاه الفراء وتبعه الأخفش وأبو حنيفة الدينوري والقالي وابن فارس وغيرهم كصاحب «المحكم» و «الجامع» و «الصحاح» وفي الجامع المتكأ ما تبقيه الخاتنة بعد الختان من المرأة، والمتكاء التي لم تختن، وعن الأخفش المتكأ الأترج.

تنبيه:

«مُتْكاً بضم أوله وسكون ثانيه وبالتنوين على المفعولية هو الذي فسره مجاهد وغيره بالأترج أو غيره وهي قراءة، وأما القراءة المشهورة فهو ما يتكأ عليه من وسادة وغيرها كما جرت به عادة الأكابر عند الضيافة، وبهذا التقرير لا يكون بين النقلين تعارض».انتهى من الفتح ٣٥٩/٨.

١٠- [﴿ شغفها ﴾ : يقال بلغ شغفها ، وهو غلاف قلبها ، وأما شعفها فمن المشعوف]

ش/قال أبو عبيدة : ﴿ قد شغفها حباً ﴾ أي قد وصل الحب إلى شغاف قلبها وهو غلافه ، قال النابغة الذبياني :

ولكنّ هماً دون ذلك والِجٌ　　　مكان الشغاف تبتغيه الأصابع

ويقرؤه قوم (قد شعفها) : وهو من المشعوف .أهـ

وفي الفتح : أي وصل الحب إلى شغاف قلبها وهو غلافه ، قال ويقرأه قوم (شعفها) أي بالعين المهملة وهو من الشعوف .أهـ

والذي قرأهابالمهملة : أبو رجاء والأعرج وعوف .رواه الطبري

ورويت عن علي والجمهور بالمعجمة ، يقال : فلان مشغوف بفلان إذا بلغ الحب أقصى المذاهب ، وشعاف الجبال أعلاها ، والشغاف بالمعجمة : حبة القلب ، وقيل علقة سوداء في صميمه ، وروى عبد بن حميد من طريق قرّة عن الحسن قال : الشغف ــ يعني بالمعجمة ــ : أن يكون قُذف في بطنها حبه ، والشعف بالعين المهملة البغض وبالمعجمة الحب ، وغلّطه الطبري ،وقال : إن الشعف بالعين المهملة بمعنى عموم الحب أشهرُمن أن يجهله ذو علم بكلامهم .أهـ

١١- [﴿أصْبُ﴾: أمِل صبا مال].

ش: قال أبو عبيدة: «أي أهواهن وأميل إليهن قال يزيد بن ضبه:

إلى هند صبا قلبي وهند مثلها تصبى.

وقال:

صبا صبوة بل لج وهو لجوج وزالت له بالأنعمين حدوج» انتهى.

والآية المشار إليها:**﴿قال رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين﴾.**

١٢- [﴿أضغاث أحلام﴾ ما لا تأويل له، والضِّغث مل اليد من حشيش وما أشبهه، ومنه ﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾ لا من قوله أضغاث أحلام واحدها ضغث].

ش: قاله أبو عبيدة مع اختلاف يسير وزاد:قال عوف بن الجزع التيمي:

وأسفل مني نهدة قد ربطتها وألقيت ضغثا من خلى متطيب.

أي تطيب لها أطايب الحشيش.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام**

بعالمين﴾.

١٣- [﴿نمير﴾ من الميرة].

ش: قال أبو عبيدة: من مرت تمير ميرأوهي الميرة أي نأتيهم ونشتري لهم طعومهم قال أبو ذؤيب:

أتى قرية كانت كثيراً طعامها كرفع التراب كل شيء يميرها.

والآية المشار إليها:﴿ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير﴾

١٤- [﴿ونزداد كيل بعير﴾ ما يحمل بعير].

ش: قال أبو عبيدة: أي حمل بعير يكال له ما حمل بعير.

١٥- [﴿آوى إليه﴾ ضم إليه].

ش: قال أبو عبيدة وهو يؤوي إليه إيواء أي ضمه إليه.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿ولما دخلوا على يوسف ءاوى إليه أخاه قال إني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون﴾.

١٦- [﴿السقاية﴾ مكيال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يكال به ويشرب فيه.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون﴾.

١٧- [﴿تفتأ﴾ لا تزال].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: تذكره قال أوس بن حجر:

فما فتئت خيلٌ تثوب وتدّعي ويلحق منها لاحق وتقطع.

أي فما زالت قال خداش بن زهير:

وأبرح ما أدام الله قومي بحمد الله منتطقاً مُحيداً .اهـ

والآية المشار إليها: ﴿قالوا تا لله تفتؤا تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين﴾.

١٨- [﴿حرضاً﴾ محرضاً يذيبك الهم].

ش: قال أبو عبيدة: والحرض الذي أذابه الحزن أو العشق وهو في موضع محرض قال: كأنك صم بالأطباء محرض.

وقال العرجي:

إني امرؤ لج بي حبٌ فأحرضني حتى بكيت وحتى شفني السقم.

أي أذابني فتبقى محرضا.اهـ

١٩- [﴿تحسّسوا﴾ تخبروا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والتمسوا في المضان.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾.**

٢٠- [﴿مزجاة﴾ قليلة].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحاجة غير مزجاة من الحاج اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين﴾.**

٢١- [﴿غاشية من عذاب الله﴾ عامة مجلّلة].

ش: قال أبو عبيدة الكلمة الأخيرة منه وفي المصباح يقال جللت الشيء إذا غطيته والجُلي فعلى الأمر الشديد والخطب القطيع.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون﴾.**

٢٢- [﴿استيأسوا﴾ يئسوا].

ش: قال أبو عبيدة: استفعلوا من يئست.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

٢٣- [﴿لا تيأسوا من روح الله﴾ معناه الرجاء].

ش: روى ابن أبي حاتم عن قتادة «ولا تيأسوا من روح الله أي من رحمة الله».

وأخرج ابن جرير عن السدّي وابن زيد «من روح الله» من فرج الله

قلت: وليس بين هذه العبارات وبين عبارة المصنف إختلاف في المعنى.

٢٤- [﴿خلصوا نجيا﴾ اعتزلوا نجيا، والجميع أنجيةٌ].

ش: قال أبو عبيدة: أي اعتزلوا نجياً يتناجون، والنجي يقع لفظه على الواحد والجميع أيضاً وقد يجمع، فيقال نجيّ وأنجية قال لبيد:

وشهدت أنجية الأفاقة عاليا كعبى وأرداف الملوك شهود.

وستأتي الآية المشار إليها ضمن الباب رقم أربعة وثمانين ومائة.

١٧٩- [باب قوله ﴿**ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق**﴾].

ش: قلت الآية ﴿**وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى ءال يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إن ربك عليم حكيم**﴾.

قوله ﴿**وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث**﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل يعقوب لابنه يوسف، لما قص عليه رؤياه ﴿**وكذلك يجتبيك ربك**﴾ وهكذا يجتبيك ربك، يقول: كما أراك ربك الكواكب والشمس والقمر لك سجوداً فكذلك يصطفيك ربك.

وقوله : ﴿**ويتم نعمته عليك**﴾ فيجمع لك بين النبوة والملك كما تدل عليه هذه الرؤيا التي أراك الله، أو يجمع لك بين خيري الدنيا والآخرة ﴿**وعلى ءال يعقوب**﴾ وهم قرابته من إخوته وأولاده ومن بعدهم، وذلك أن الله سبحانه أعطاهم النبوة كما قاله جماعة من المفسرين، ولا يبعد أن يكون إشارة إلى ما حصل لهم بعد دخول مصر من النعم التي من جملتها كون الملك فيهم مع كونهم أنبياء. ﴿ **كما أتمها على أبويك** ﴾ أي إتماماً مثل إتمامها على أبويك، وهي نعمة النبوة عليهما مع كون إبراهيم اتخذه الله خليلاً، ومع كون إسحاق نجاه الله سبحانه من الذبح ـ قلت والتحقيق أن الذبيح هو إسماعيل ﷺ ـ وصار لهما الذرية الطيبة وهم يعقوب ويوسف وسائر الأسباط ومعنى «من قبل» من قبل هذا الوقت الذي أنت فيه أو من قبلك، وإبراهيم وإسحاق عطف بيان لأبويك، وعبر عنهما بالأبوين مع كون أحدهما جداً، وهو إبراهيم، لأن الجد أب. ﴿ **إن ربك عليم**﴾ بكل شيء. ﴿ **حكيم** ﴾. في كل أفعاله، والجملة مستأنفة مقررة لمضمون ما قبلها وتعليلاً له، أي فعل ذلك لأنه عليم حكيم وكان هذا كلام من يعقوب مع ولده يوسف تعبيراً لرؤياه على طريق الإجمال، أو علم ذلك من الوحي أو عرفه

بطريق الفراسة.

من فقه الآية

أولاً: إثبات نبوة إسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام.

ثانياً: جواز عرض الرؤية الطيبة على أهل الصلاح والفضل لتعبيرها.

ثالثاً: التحدث بنعمة الله ظاهراً وهو أحد أركان الشكر.

٢٠٨- حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا عبد الصمد عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم،يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم.

ش: فيه الثناء على هؤلاء الأنبياء الأربعة ووصفهم بالكرم وكل نبي، الكرم من أبرز صفاته، فمن كرم يوسف ﷺ عفوه عن إخوته وقوله **لهم ﴿لاتثريب عليكم﴾** وقد أمكنه الله منهم، ومن كرم أبيه يعقوب ﷺ عفوه عن بنيه مع كيدهم ومكرهم ووعده إياهم بالإستغفار لهم، ومن كرم الخليل ﷺ ما قصه الله عنه مع أضيافه إذ راغ إلى أهله وجاء بعجل سمين.

١٨٠- [باب ﴿لقد كان في يوسف وإخوته ءايات للسآئلين﴾].

ش: يقول تعالى لقد كان في قصة يوسف وخبره مع إخوته آيات أي عبرة ومواعظ للسائلين عن ذلك المستخبرين عنه فإنه خبر عجيب يستحق أن يخبر عنه.

٢٠٩- حدثني محمد أخبرنا عبدة عن عبيد الله(١) عن سعيد بن أبي سعيد(٢) عن أبي هريرة ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم. قالوا: ليس عن هذا نسألك قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله.قالوا ليس عن هذا نسألك قال: فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.

تابعه أبو أسامة عن عبيد الله.

ش:فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله «**سئل رسول الله ﷺ**» في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿**واتخذ الله إبراهيم خليلا**﴾ من رواية المعتمر «قيل للنبي ﷺ» ولم نقف على تسمية السائل.

الثانية: قوله «**أي الناس أكرم**» وفي رواية المعتمر المذكورة «من أكرم الناس» يعني في الأصل والنسب.

الثالثة: قوله «**قال: أكرمهم عند الله أتقاهم**» قلت وهذا موافق لقوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ولقوله ﷺ «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» فالحديث مع الآية دليل على أن الناس يتفاضلون عند الله على قدر إيمانهم بالله وتقواهم له.

---

(١) هو أبو عثمان عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب العمري المدني ثقة ثبت من الخامسة مات سنة بضع وأربعين [ومائة]. ع.

(٢) هو أبو سعد سعيد بن أبي سعيد كيسان المقبري المدني ثقة من الثالثة تغير قبل موته بأربع سنين وروايته عن عائشة وأم سلمة مرسلة مات في حدود العشرين [ومائة] وقيل قبلها وقيل بعدها. ع.

الرابعة: قوله «**قالوا ليس عن هذا نسألك**» في الأنبياء «قالوا يا نبي الله ليس عن هذا نسألك».

الخامسة: قوله «**فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**».قلت لا منافاة بين الجوابين فإن أولهما من جهة الشرف بالأعمال الصالحة والثاني من جهة الشرف بالنسب الصالح فأنعم بهذين الشرفين وأكرم بهما

السادسة: قوله «**فعن معادن العرب تسألوني**» قلت المعادن المواضع التي تستخرج منها جواهر الأرض كالذهب والفضة والنحاس وغير ذلك واحدها معدن فأراد ﷺ أصولهم التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها وإنما جعلت معادن لما فيها من الاستعدان المتفاوت، أو شبههم بالمعادن لكونهم أوعية الشرف كما أن المعادن أوعية للجواهر.

السابعة: قوله «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا**» في رواية أبي أسامة في الأنبياء «الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا» يحتمل أن يريد بقوله «خياركم» جمع خير، ويحتمل أن يريد أفعل التفضيل تقول في الواحد خير وأخير ثم القسمة رباعية فإن الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام وكان شرفهم في الجاهلية بالخصال المحمودة من جهة ملائمة الطبع ومنافرته خصوصا بالإنتساب إلى الآباء المتصفين بذلك، ثم الشرف في الإسلام بالخصال المحمودة شرعاً ثم أرفعهم مرتبة من أضاف إلى ذلك التفقه في الدين، ومقابل ذلك من كان مشروفا في الجاهلية واستمر مشروفا في الإسلام فهذا أدنى المراتب، والقسم الثالث من شرف في الإسلام وفقه ولم يكن شريفا في الجاهلية، ودونه من كان كذلك لكن لم يتفقه، والقسم الرابع من كان شريفا في الجاهلية ثم صار مشروفا في الإسلام فهذا دون الذي قبله فإن تفقه فهو أعلى رتبة من الشريف الجاهل .اهـ من الفتح (٦/٤١٥).

وقال النووي ١٣٥/١٥: «ومعناه أن أصحاب المروءات ومكارم الخلائق في الجاهلية إذا أسلموا وفقهوا فهم خيار الناس قال القاضي: وقد تضمن الحديث في الأجوبة الثلاثة أن الكرم كله عمومه وخصوصه ومجمله ومبينه إنما هو الدين ومن التقوى والنبوة والأعراف فيها والإسلام مع الفقه».اهـ

وقوله تابعه يعني تابع عبدة بن سليمان أبو أسامة في عبيد الله وهذه المتابعة وصلها المصنف في الأنبياء: حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله.

١٨١- [باب قوله ﴿قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً﴾].

ش: قلت الآية **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون﴾**

يقول تعالى ذكره **﴿وجاءوا على قميصه بدم كذب﴾** وسماه ا لله كذباً لأن الذين جاءوا بالقميص وهو فيه كذبوا فقالوا ليعقوب هو دم يوسف ولم يكن دمه، وإنما كان دم سخلة وقوله **﴿بل سولت لكم أنفسكم أمرا﴾** يقول تعالى ذكره قال يعقوب لبنيه الذين أخبروه أن الذئب أكل يوسف مكذباً لهم في خبرهم ذلك ما الأمر كما تقولون بل سولت لكم أنفسكم أمراً يقول بل زينت لكم أنفسكم أمرا في يوسف وحسنته ففعلتموه

وقوله **﴿فصبر جميل﴾** يقول فصبري على ما فعلتم بي في أمر يوسف صبر جميل أو فهو صبر جميل وقوله **﴿وا لله المستعان على ما تصفون﴾** يقول وا لله أستعين على كفايتي شر ما تصفون من الكذب وقيل إن الصبر الجميل هو الصبر الذي لا جزع فيه.اهـ من ابن جرير.

[سولت زينت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وحسنت وتابعتكم على ذلك.

٢١٠- حدثنا عبد العزيز بن عبد ا لله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال وحدثنا الحجاج قال: حدثنا عبد ا لله بن عمر النميري حدثنا يونس بن يزيد الأيلي قال: سمعت الزهري سمعت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيد ا لله بن عبد ا لله عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها ا لله، كلٌ حدثني طائفة من الحديث قال النبي ﷺ إن كنت بريئة فسيبرؤك ا لله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري ا لله وتوبي إليه.قلت: إني وا لله لا أجد مثلاً إلا أبا يوسف فصبر جميل وا لله المستعان على ما تصفون وأنزل ا لله ﴿إن الذين جاءوا بالإفك﴾

العشر الآيات.

٢١١ـ حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة عن حصين عن أبي وائل قال حدثني مسروق بن الأجدع قال حدثتني أم رومان[1] وهي أم عائشة قالت: بينا أنا وعائشة أخذتها الحمى فقال النبي ﷺ: لعل في حديث تحدِّث؟ قالت: نعم وقعدت عائشة قالت: مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه وا لله المستعان على ما تصفون.

ش: قوله «**كل حدثني طائفة من الحديث**» القائل هذه العبارة هو محمد بن شهاب الزهري وقد عنى بقوله كلٌّ من سمى وهم عروة وابن المسيب وعلقمة وعبيد ا لله ومراده أن كل واحد منهم حدثه بعضاً من قصة الإفك وكلا الحديثين متضمن لقطعة من تلك القصة وسيأتي شرحها إن شاء ا لله في تفسير سورة النور ضمن الباب الرابع والأربعين بعد المائتين.

(١) أم رومان الفراسية زوج أبي بكر الصديق وأم عائشة وعبد الرحمن صحابية يقال اسمها زينب وقيل دعد والصحيح أنها عاشت بعد النبي ﷺ. خ.

١٨٢- [باب ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك﴾].

ش: تمامها ﴿**قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون**﴾.

«يخبر تعالى عن امرأة العزيز التي كان يوسف في بيتها بمصر وقد أوصاها زوجها به وبإكرامه فراودته عن نفسه أي حاولته على نفسه ودعته إليها وذلك أنها أحبته حباً شديداً لجماله وحسنه وبهائه فحملها ذلك على أن تجملت له وغلقت عليه الأبواب ودعته إلى نفسها ﴿**وقالت هيت لك**﴾ فامتنع من ذلك أشد الامتناع و﴿**قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي**﴾ أي منزلي وأحسن إليّ فلا أقابله بالفاحشة في أهله».اهـ من ابن كثير.

وقوله ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ تعليل آخر للامتناع منه عن إجابتها، والفلاح الظفر، والمعنى أنه لا يظفر الظالمون بمطالبهم، ومن جملة الظالمين الواقعون في مثل هذه المعصية التي تطلبها امرأة العزيز من يوسف.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وقال عكرمة: هَيْت لك بالحورانية هلم].

ش: أما قول عكرمة فوصله عبد بن حميد من طريقه، وأخرج من وجه آخر عن عكرمة قال: هيئت لك، يعني بضم الهاء وتشديد التحتانية بعدها أخرى مهموزة. قاله في الفتح. وفي تفسير عبد الرزاق قال معمر قال قتادة قال عكرمة: تهيأت لك.

٢- [وقال ابن جبير: تعاله].

ش: وصله الطبري وأبو الشيخ من طريقه قاله في الفتح.

٢١٢ـ حدثني أحمد بن سعيد[١] حدثنا بشر بن عمر[٢] حدثنا شعبة عن سليمان عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود قال: «هيت لك» قال:وإنما نقرؤها كما علمناها.

ش: أورده المصنف ههنا مختصراً وفي تفسير عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش عن أبي وائل قال: قال ابن مسعود: قد تسمعت القراءة فسمعتهم مقاربين فاقرؤوا كما علمتم وإياكم والتنطع والإختلاف فإنما هو كقول أحدهم هلم وتعال ثم قرأ عبد الله ﴿**هيت لك**﴾ قال: فقلت يا أبا عبد الرحمن إنّ ناسا يقرؤونها «هيتُ لك» فقال عبد الله: إني إن أقرأها كما علمت أحب إلي.

وقال مكي حاكياً القراءات في الآية: قوله «هِيْتَ لك» قرأه نافع وابن عامر بكسر الهاء وفتح التاء، غير أن هشاماً همز موضع الياء ساكنة. وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء، من غير همز، غير أن ابن كثير ضم التاء. وفتح الهاء وكسرها لغتان. وفتح التاء على المخاطبة من المرأة ليوسف على معنى الدعاء له والاستجلاب له إلى نفسها، على معنى: هلم لك، أي تعالى يا يوسف إلي، فأما من ضم التاء فعلى الإخبار عن نفسها بالإتيان إلى يوسف، ودل على ذلك قراءة من همز، لأنه يجعله من «تهيأت لك» تخبر عن نفسها أنها متصنعة له متهيأة. وقد تحتمل قراءة من لم يهمز أن تكون على إرادة الهمز، لكن خفف الهمزة، فيكون من «تهيأت» فيكون فعلاً، ولا يحسن ذلك ويتمكن إلا على قراءة من ضم التاء، لأنها تخبر عن نفسها بذلك.والتاء مضمومة، ويبعد الهمز في قراءة من فتح التاء لأنه إذا فتح التاء فإنه يخاطب، وتاء المخاطب مفتوحة، فيصير المعنى أنها تخبره أنه تهيأ لها، والمعنى على

(١) هو أبو جعفر أحمد بن سعيد بن صخر الدارمي السرخسي ثقة حافظ من الحادية عشر، مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين.خ.م.د.ت.ق.

(٢) هو أبو محمد بشر بن عمر بن الحكم الزهراني الأزدي البصري ثقة من التاسعة مات سنة سبع وقيل تسع ومائتين.ع.

خلاف ذلك، لأنها هي التي دعته وتهيأت له، ولم يدعها هو ولا تهيأ لها يعيذه الله من ذلك.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [«مثواه» مقامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «الذي ثواه ومنه قولهم هي أم مثوى وهو أبو مثوى إذا كنت ضيفا عليهم».

والآية المشار إليها: **﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾**.

٢- [«وألفيا» وجدا].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال:

«فألفيته غير مستعتب ولا ذاكرا الله إلا قليلاً.

أي وجدته»

والآية المشار إليها: **﴿واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدا الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾**.

٣- [«ألفوا ءاباءهم» ألفينا].

ش: ذكره استشهاداً لما قبله والآية المشار إليها هي التاسعة والستون من سورة الصافات.

٤- [وعن ابن مسعود: «بل عجبت ويسخرون»]

ش: قال الكرماني: «أورد البخاري هذه الكلمة وإن كانت في الصافات هنا إشارة إلى أن ابن مسعود كان يقرؤها بالضم كما يقرأ هيت بالضم.وقد أخرجه ابن مردويه من طريق شيبان وزائدة عن الأعمش عن أبي وائل عن ابن

مسعود» . حكاه في الفتح.

وقراءة الكسائي بضم التاء وقرأ الباقون بفتح التاء حكاه مكي.

٢١٣ـ حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم عن مسروق عن عبد الله ﷺ: أن قريشاً لما أبطؤوا على النبي ﷺ بالإسلام قال: اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف، فأصابتهم سنة حصّت كل شيء، حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾، قال الله ﴿إنا كاشفو العذاب قليلا إنكم عائدون﴾ أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة وقد مضى الدخان ومضت البطشة.

سيأتي شرحه في تفسير سورة الدخان ضمن الباب العاشر بعد الثلاثمائة.

١٨٣- [باب قوله ﴿فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاشى لله﴾].

ش: قلت الآيتان ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله﴾.- إلى قوله.﴿قلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصدقين﴾

قوله ﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقنه عرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن إطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال ﴿ائتوني به﴾ أي أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك إمتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته ببراءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال ﴿إرجع إلى ربك﴾ الآية اهـ من ابن كثير.

قوله ﴿إن ربي بكيدهن عليم﴾ وقد إكتفى هنا بالإشارة الإجمالية بقوله: إن ربي بكيدهن عليم فجعل علم الله سبحانه بما وقع عليه من الكيد منهن مغنيا عن التصريح.اهـ من الشوكاني.

قوله ﴿قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ وفي هذا الكلام متروك قد استغني بدلالة ما ذكر عليه عنه وهو فرجع الرسول إلى الملك من عند يوسف برسالته فدعى الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه﴾ ويعني بقوله ما خطبكن ما كان أمركن وما كان شأنكن إذ راودتن يوسف عن نفسه فأجبنه فقلن حاشى لله ما علمنا عليه من سوء.

قوله ﴿قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصدقين﴾ أي قالت امرأة العزيز منزهة لجانبه مقرة على نفسها بالمراودة له ﴿الآن حصحص الحق﴾ أي تبين وظهر وأصله حص فقيل حصحص كما قيل في كُبُّوا كبكبوا قاله الزجاج وأصل الحص إستئصال الشيء يقال حص شعره إذا استأصله ومنه قول أبي قيس بن الأسلت:

قد حصت البيضة رأسي فما أطعم نوماً غير تهجاع

والمعنى أنه إنقطع الحق عن الباطل بظهوره وبيانه ومنه:

فمن مبلغ عني خداشا فإنه كذوب إذا ما حصحص الحق ظالم.

وقيل هو مشتق من الحصة والمعنى: بانت حصة الباطل قال الخليل: معناه ظهر الحق بعد خفائه.اهـ من الشوكاني.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [وحاش وحاشي: تنزيه واستثناء].

ش: قال أبو عبيدة: «الشين مفتوحة ولا ياء فيه وبعضهم يدخل الياء في آخره كقوله:

حاشي أبي ثوبان إنّ به ظناً عن الملحاة والشتم.

ومعناه معنى التنزيه والإستثناء من الشر ويقال حاشيته أي استثنيته»اهـ.

٢- [﴿حصحص﴾:وضح].

ش: قال أبو عبيدة: أي الساعة وضح الحق وتبين.

٢١٤- حدثنا سعيد بن تليد[1] حدثنا عبد الرحمن بن القاسم عن بكر بن مضر عن عمرو بن الحارث عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

---

(١) هو سعيد بن عيسى بن تليد الرعيني القتباني ثقة فقيه من قدماء العاشرة مات سنة تسع عشرة ومائتين.خ.س.

رسول الله ﷺ: يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له ﴿أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾.

ش: مضى الحديث في تفسير سورة البقرة ضمن الباب الثامن والأربعين وفيه ههنا ثلاث مسائل.

الأولى: قوله «**يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» في باب ﴿**ولوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**﴾ من أحاديث الأنبياء برواية الأعرج «يغفر الله للوط إن كان ليأوي إلى ركن شديد» أي إلى الله سبحانه وتعالى يشير ﷺ إلى قوله تعالى ﴿**لو أن لي بكم قوة أو ءاوي إلى ركن شديد**﴾ قال النووي: «يجوز أنه لما اندهش بحال الأضياف قال ذلك أو أنه التجأ إلى الله في باطنه وأظهر هذا القول للأضياف اعتذاراً وسمى العشيرة ركنا لأن الركن يستند إليه ويمتنع به فشبههم بالركن من الجبل لشدتهم ومنعتهم».

الثانية: قوله «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**» في رواية ابن وهب في الأنبياء «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» أي لأسرعت الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمت طلب النزاهة فوصفه بشدة الصبر حيث لم يبادر بالخروج وإنما قاله ﷺ تواضعا والتواضع لا يحط مرتبة الكبير بل يزيده رفعة و إجلالاً

الثالثة: قوله «**ونحن أحق من إبراهيم**» في تفسير سورة البقرة من رواية ابن وهب المذكورة «نحن أحق بالشك من إبراهيم» وقد مضى شرحه.

١٨٤- [باب قوله ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾].

ش: تمامها ﴿وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشاء ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين﴾

قوله **﴿حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا﴾** «يخبر تعالى أن نصره ينزل على رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عند ضيق الحال وانتظار الفرج من الله تعالى في أحوج الأوقات إلى ذلك كما في قوله تعالى ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾».اهـ من ابن كثير.

وفي قوله **﴿كذبوا﴾** قراءتان حكاهما مكي فقال: قرأه الكوفيون بالتخفيف وشدد الباقون وحجة من شدد أنه حمله على معنى أن الرسل تلقاهم قومهم بالتكذيب، فالظن بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير الرسل فالهاء والميم في «أنهم» للرسل فعطفوه على استيأس الرسل والتقدير وأيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيما جاؤوهم به من عند الله جل ذكره ودليله قوله تعالى ﴿ولقد كذبت رسل من قبلك...﴾ وحجة من خفف أنه حمله على معنى أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما أتتهم به الرسل، فالظن بمعنى الشك أو بمعنى اليقين وفي ظنوا ضمير المرسل إليهم، والهاء والميم في أنهم للمرسل إليهم أي وظن المرسل إليهم أنهم لم يصدَقوا فيما قيل لهم وما توعدوا به من إتيان العذاب على كفرهم أي ظنوا أنهم لم يصدقهم الرسل فيما أتوهم به من عند الله جل ذكره من إتيان العذاب إليهم أو من الأمر بالإيمان والتوحيد.

قوله **﴿جاءهم نصرنا فنجي من نشاء﴾** أي فجاء الرسل نصر الله سبحانه فجأة، أو جاء قوم الرسل الذين كذبوهم نصر الله لرسله بإيقاع العذاب على المكذبين **﴿فننجي من نشاء﴾** قرأ عاصم **﴿فنجي﴾** بنون واحدة وقرأ الباقون **﴿فننجي﴾** بنونين واختار أبو عبيدة القراءة الأولى لأنها في مصحف عثمان

كذلك وقرأ ابن محيص ﴿فنجا﴾ على البناء للفاعل فتكون "من" على القراءة الأولى في محل رفع على أنها نائب فاعل وتكون على القراءة الثانية في محل نصب على أنها مفعول وعلى القراءة الثالثة في محل رفع على أنها فاعل، والذين نجاهم الله هم الرسل ومن آمن معهم وهلك المكذبون ﴿**ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين**﴾ عند نزوله بهم وفيه بيان من يشاء الله نجاته من العذاب وهم أعداء هؤلاء المجرمين.اهـ من الشوكاني.

٢١٥ـ حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن سعد عن صالح عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزّبير عن عائشة رضي الله عنها قالت له وهو يسألها عن قول الله تعالى ﴿حتى إذا استيأس الرسل﴾ قال قلت: أكذبوا أم كذّبوا؟ قالت عائشة: كذّبوا قلت: فقد استيقنوا أنّ قومهم كذّبوهم، فما هو بالظنّ قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله لم تكن الرسل تظن ذلك بربها قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدّقوهم، فطال عليهم البلاء واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك.

٢١٦ـ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال أخبرني عروة فقلت: لعلها كذبوا مخففة قالت: معاذ الله.نحوه.

ش: فيهما ست مسائل:

الأولى: قوله «**قالت له وهو يسألها**» في باب قول الله تعالى ﴿**لقد كان في يوسف وإخوته ءايات للسائلين**﴾ من أحاديث الأنبياء «أنه سأل عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ».

الثانية: قوله «**أكذبوا أم كذّبوا**» في أحاديث الأنبياء «أرأيت قوله «حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا أو كذّبوا».

الثالثة: قوله «**قالت عائشة كذّبوا**» يعني بالتثقيل وهو تشديد الذال المعجمة قال الحافظ وفي رواية الإسماعيلي مثقلة.

قلت: وقد تقدم في أول الباب حكاية القراءتين في الآية وتوجيه كل منهما.

الرابعة: قوله «**فما هو بالظن؟ قالت أجل**» زاد الإسماعيلي قلت فهي مخففة قالت معاذ الله.اهـ من الفتح

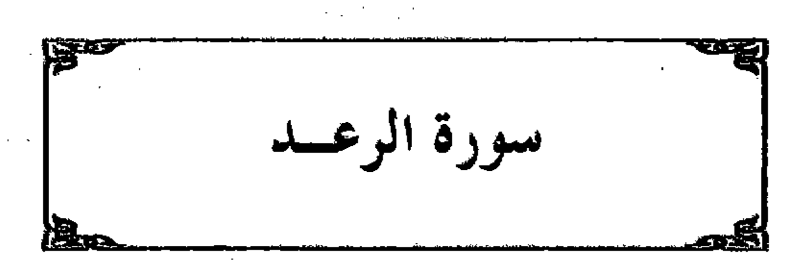
قلت: وهذا ظاهر في إنكارها قراءة التخفيف ولعلها لم يبلغها سوى قراءة التشديد وقد عرفت في أول الباب أن كلتا القراءتين صحيحة وعرفت من قرأ بكل منهما.

الخامسة: قوله «**لعمري لقد استيقنوا بذلك**» فيه إشعار بحمل عروة الظن على حقيقته وهو رجحان أحد الطرفين ووافقته عائشة لكن روى ابن جرير في تفسيره عن قتادة أن المراد بالظن هنا اليقين.

قلت: وعلى هذا فهي نظير قوله تعالى ﴿**وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه**﴾.

السادسة: قوله «**أخبرني عروة فقلت لعلها كذبوا مخففة قالت معاذ الله**» وقد ساقه أبو نعيم في المستخرج بتمامه ولفظه «عن عروة أنه سأل عائشة» فذكر نحو حديث صالح بن كيسان.انتهى من الفتح.

آخر تفسير سورة يوسف والحمد لله.



١٨٥- [بسم الله الرحمن الرحيم سورة الرعد]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء**﴾.

قد وقع الخلاف هل هي مكية أو مدنية فروى النحاس في ناسخه عن ابن عباس أنها نزلت بمكة، وروى أبو الشيخ وابن مردويه عنه أنها نزلت بالمدينة وممن ذهب أنها مكية سعيد بن جبير والحسن البصري وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد وممن ذهب إلى أنها نزلت بالمدينة ابن الزبير والكلبي ومقاتل، وقول ثالث أنها مدنية إلا آيتين منها وهما قوله ﴿**ولو أن قرءانا سيرت به الجبال**﴾ إلى قوله ﴿**ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب**﴾ وآياتها ثلاث وأربعون آية.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١ـ [وقال ابن عباس ﴿كباسط كفيه﴾ مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها غيره كمثل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر].

ش: رواه ابن جرير: حدثني المثنى ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فذكره.وروى هذا المعنى عن علي بن أبي طلحة ومجاهد وابن زيد وقتادة.

والآية المشار إليها:**﴿له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾.**

٢ـ [وقال غيره: ﴿سخّر﴾ ذلّل].

ش: قوله «قال غيره» يعني غير ابن عباس وفي تفسير أبي عبيدة «ذللهما فانطاعا».

والآية المشار إليها:**﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الأيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾.**

٣ـ [﴿متجاورات﴾ متدانيات].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: متقاربات غير جنات ومنهن جنات.

والآية المشار إليها:﴿وفي الأرض قطع متجاورات وجنت من أعنب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لأيات لقوم يعقلون﴾.

٤ـ [﴿المثلات﴾ واحدها مثلة وهي الأشباه والأمثال وقال «إلا مثل أيام الذين خلوا»].

ش: قال أبو عبيدة: واحدتها مثلة ومجازها مجاز الأمثال.

والآية المشار إليها:﴿ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب﴾.

قلت: وأشاربقوله(مثل أيام الذين خلوا) إلى الآية الثانية بعد المائة من سورة يونس وقد ذكره استطرادا واستشهادا لما قبله.

٥- [﴿بمقدار﴾ بقدر].

ش: قال أبو عبيدة: أي مقدر وهو مفعال من القدر.

والآية المشار إليها:﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.

٦- [﴿معقّبات﴾ ملائكة حفظة تَعْقُبُ الأولى منها الأخرى ومنه قيل العقيب يقال عقبت في إثره].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه ملائكة تعقب بعد ملائكة، وحفظة تعقب بالليل حفظة النهار وحفظة النهار تعقب حفظة الليل ومنه قولهم: فلان عقبني وقولهم عقبت في إثره.

وأخرج ابن جرير: ثنا ابن وكيع ثنا أبي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس **﴿يحفظونه من أمر ا لله﴾** قال: ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء قدره خلوا عنه.

والآية المشار إليها:**﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر ا لله إن ا لله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾**.

٧- [**﴿المِحال﴾ العقوبة**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والمكر والنكال قال الأعشى:

فرع نبع يهتز في غصن المجد غزير الندى شديد المحال.

والآية المشار إليها:﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل

الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال﴾.

٨- [﴿كباسط كفيه إلى الماء﴾ ليقبض على الماء].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه إن الذي يبسط كفه ليقبض على الماء حتى يؤديه إلى فيه لا يتم له ذلك ولا تسقه أنامله أي تجمعه قال صابىء بن الحارث:

فإني وإياكم وشوقا إليكم ... كقابض ماء لم تسقه أنامله»

وقد تقدمت الآية المشار إليها في الأثر الأول.

٩- [﴿رابيا﴾ من ربا يربو].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه فاعل من ربا يربو أي ينتفخ.

والآية المشار إليها: ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا﴾».

١٠- [﴿أو متاع زبد مثله﴾ المتاع ما تمتّعتَ به].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد قال المشعث:

تمتع يا مشعث إن شيئاً ... سبقت به الممات هو المتاع

والآية: ﴿ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله﴾.

١١- [﴿جُفاء﴾ أجفأت القدر إذا غلت فعلاها الزَبَد ثم تسكن فيذهب الزبد بلا منفعة فكذلك يميزُ الحقُّ من الباطل].

ش: قال أبو عبيدة: [قال أبو عمرو بن العلاء: يقال قد أجفأت القدر وذلك إذا غلت فانصب زبدها أو سكنت فلا يبقى منه شيء».

والآية المشار إليها: ﴿فأما الزبد فيذهب جفاء﴾.

١٢- [﴿المِهاد﴾ الفِراش].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «والبساط»

والآية المشار إليها: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب

ومأواهم جهنم وبئس المهاد﴾.

١٣- [﴿يدرؤون﴾ يدفعون درأته عني دفعته].

ش: قال أبو عبيدة: «أي يدفعون السيئة بالحسنة، درأته عني أي دفعته.

والآية المشار إليها:﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾»

١٤- [﴿سلامٌ عليكم﴾ أي يقولون سلام عليكم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز المختصر الذي فيه ضمير كقولك يقولون سلام عليكم».

والآية المشار إليها:**﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾.**

١٥- [﴿وإليه متاب﴾ توبتي].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر تبت إليه وتوبتي إليه سواء».

والآية المشار إليها:﴿قل هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب﴾.

١٦- [﴿أفلم ييأس﴾ أفلم يتبين].

ش: قال أبو عبيدة: «ألم يعلم ويتبين قال سحيم بن وثيل اليربوعي:

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونني ألم تيأسوا إني ابن فارس زهدم».

والآية المشار إليها:﴿أفلم ييأس الذين ءامنوا أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا﴾.

١٧- [﴿قارعة﴾ داهية].

ش: قاله أبو عبيدةوزاد مهلكة ويقال: قرعت عظمه أي صدعته.

والآية المشار إليها:**﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله إن الله لا يخلف الميعاد﴾.**

١٨- [﴿فأمليت﴾ أطلت من الملي والملاوة ومنه «مليا» ويقال للواسع

الطويل من الأرض ملى من الأرض].

ش: قال أبو عبيدة: «أي أطلت لهم ومنه الملى والملاوة من الدهر ومنه تمليت حينا ويقال لليل والنهار الملوان لطولهما وقال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحي بالسبعان　　　ألح عليها بالبلى الملوان

ويقال للخرق الواسع من الأرض ملاً مقصور».اهـ.

والآية المشار إليها:**﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب﴾.**

١٩- [﴿أشق﴾ أشد من المشقة].

ش: **قلت**: أشار الشيخ إلى قوله تعالى ﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق﴾ الشاهد منها ولعذاب الآخرة أشق.قال ابن جرير: «يقول ولتعذيب الله إياهم في الدار الآخرة أشد من تعذيبه إياهم في الدنيا، وأشق إنما هو أفعل من المشقة».

٢٠- [﴿معقّب﴾ مغيّر].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا راد له ولا مغير له عن الحق.

والآية المشار إليها:**﴿أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب﴾.**

٢١- [وقال مجاهد ﴿متجاورات﴾ طيبها عذبها وخبيثها السباخ].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد قال ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره».

والآية المشار إليها مضت في الأثر الثالث.

٢٢- [﴿صنوان﴾ النخلتان أو أكثر في أصل واحد.﴿وغير صنوان﴾ وحدها].

ش: أخرجه ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي

نجيح عن مجاهد فذكره».

وقال أبو عبيدة: «وواحده صنو والإثنـان صنـوان النـون مجـرورة في موضـع الرفع والنصب والجر كنون الإثنين فإذا جمعتـه قلـت صنـوان كثـير والإعـراب في نونه يدخله النصـب والرفـع والجـر ولم نجـد جمـع يجـري مجـراه غـير قنـو وقنـوان والجميع قنوان».

٢٣ـ [بماء واحد﴾ كصالح بني آدم وخبيثهم أبوهم واحد].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبـي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٤ـ [﴿السحاب الثقال﴾ الذي فيه الماء].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبـي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآيـة المشـار إليهـا:**﴿هـو الـذي يريكـم الـبرق خوفـاً وطمعـاً وينشـيء السحاب الثقال﴾.**

٢٥ـ [﴿كباسط كفيه﴾ يدعو المـاء بلسـانه ويشـير إليـه بيـده فـلا يأتيـه أبداً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبـي نجيح عن مجاهد فذكره.

٢٦ـ]﴿سالت أودية بقدرها﴾ تملأُ بطنَ كلِّ وادٍ بحسَبه].

ش: قال ابن جرير: «ثنا الحسن بن محمد الزعفراني ثنا حجاج بن محمد قال ابن جريج أخبرني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهداً يقول: ﴿أنزل من السماء مـاء فسالت أودية بقدرها﴾ قال ما أطاقت ملأها».

والآية تقدمت في الأثر الحادي عشر.

٢٧- [﴿زبدا رابيا﴾ الزبد زبد السيل].

ش: أخرجه ابن جرير قال ثني المثنى ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: الزبد السيل.

٢٨- [﴿زبد مثله﴾ خبث الحديد والحلية].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بإسناد ما قبله.

١٨٦- [باب قوله ﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام﴾].

ش: تمامها:**﴿وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار﴾.**

«قوله **﴿ا لله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾** يخبر تعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء وأنه محيط بما تحمله الحوامل من كل إناث الحيوانات كما قال تعالى:**﴿ويعلم ما في الأرحام﴾** أي ما حملت من ذكر أو أنثى أو حسن أوقبيح أو شقي أو سعيد أو طويل العمر أو قصيره كما قال تعالى: **﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن إتقى﴾** وقال تعالى:**﴿يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾** أي خلقكم طوراً بعد طور كما قال تعالى: **﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك ا لله أحسن الخالقين﴾**».اهـ من ابن كثير.

قوله «**﴿وما تغيض الأرحام وما تزداد﴾**والتحقيق في معنى الآية أنه يعلم مدة الحمل، وما يعرض فيها من الزيادة والنقصان فهو العالم بذلك دونكم كما هو العالم بما تحمل كل أنثى هل هو ذكر أو أنثى وهذا أحد أنواع الغيب التي لا يعلمها إلا ا لله تعالى».اهـ.من ابن القيم.

قوله **﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾** لا يجاوز شيء من قدره عن تقديره ولا يقصر أمر أراده، فدبره عن تدبيره، كما لا يزداد حمل أنثى على ما قدر له من الحمل، ولا يقصر عما حد له من القدر، والمقدار مفعال من القدر.اهـ من ابن جرير.

[غيض: نُقص].

ش: قال أبو عبيدة: غاضت الأرض والماء، وغاض الماء يغيض أي ذهب وقل.

والآية المشار إليها هي الرابعة والأربعون مــن سـورة هـود وإنما ذكـره هنـا لمناسبة تفسير قوله تعالى ﴿تغيض الأرحام﴾ لأن مادة الكلمتين واحدة.

٢١٧- حدثني إبراهيم بن المنذر حدثنا معن حدثني مالك عن عبد ا لله بن دينار عن ابن عمـر رضـي ا لله عنهمـا أن رسـول ا لله ﷺ قـال:مفـاتيح الغيـب خمس لا يعلمها إلا ا لله، لا يعلم ما في غد إلا ا لله، ولا يعلم ما تغيض الأرحـام إلا ا لله، ولا يعلم متـى يـأتي المطـرُ أحـدٌ إلا ا لله، ولا تـدري نفـس بـأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا ا لله

ش: سيأتي الحديث في تفسير سورة لقمان ضمن الباب التاسع والستين بعد المائتين ويأتي هناك شرحه إن شاء ا لله.

آخر تفسير سورة الرعد والحمد لله.

سورة إبراهيم

١٨٧- بسم ا لله الرحمن الرحيم سورة إبراهيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد ءامنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام**﴾.

وهي مكية كما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس وعن الزبير وحكاه القرطبي عن الحسن البصري وعكرمة وجابر بن زيد وقتادة إلا آيتين منها وقيل إلا ثلاث آيات وهي من قوله تعالى ﴿**ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا**﴾ إلى قوله ﴿**قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار**﴾.وعدد آياتها ثنتان وخمسون آية

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [قال ابن عباس ﴿هاد﴾ داع].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني المثنى ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

قلت: وهذه الكلمة من الآية السابعة من سورة الرعد ويبدو لي أن ذكرها ههنا من بعض النساخ والله أعلم.

٢- [وقال مجاهد: ﴿صديد﴾ قيحٌ ودم].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا الحسن بن محمد ثنا شبابة ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره

قلت: وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾**.

٣- [وقال ابن عيينة ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ أياديَ الله عندكم وأيامَه].

ش: رواه ابن جرير: ثنا المثنى ثنا إسحاق ثنا عبد الله بن الزبير عن ابن عيينة فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من ءال فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم﴾**.

٤- [وقال مجاهد: ﴿من كل ما سألتموه﴾ رغبتم إليه فيه].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿وءاتكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾**.

٥- [﴿يبغونها عوجاً﴾ يلتمسون لها عوجا].

ش: قال أبو عبيدة: يلتمسون ويحتالون لها، وعِوَجاً مكسور الأول مفتوح الثاني وذلك في الدين وغيره وفي الأرض مما لم يكن قائما وفي الحائط وفي الرمح وفي السن عَوَج وهو مفتوح الحروف.

والآية المشار إليها:﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً أولئك في ضلال بعيد﴾.

٦- [﴿وإذ تأذن ربكم﴾ أعلمكم آذنكم].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه وأذنكم ربكم و"إذ" من حروف الزوائد، وتأذن تفعل من قولهم آذنته».

والآية المشار إليها:﴿وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد﴾.

٧- [﴿ردّوا أيديَهم في أفواههم﴾ هذا مثل كَفُّوا عما أُمِروا به].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه مجاز المثل وموضعه موضع كفوا عما أمروا بقوله من الحق ولم يؤمنوا به ولم يسلموا، ويقال رد يده في فمه أي أمسك إذا لم يجب».اهـ.

وفي الآية أربعة أقوال أخرى.

أحدها:عضوا على أصابعهم تغيضا عليهم في دعائهم إياهم إلى ما دعوهم إليه وبه قال ابن مسعود وابن زيد.

وثانيها: وضعوا أيديهم على أفواههم تعجباً من سماع كتاب الله، وبه قال ابن عباس.

وثالثها: كذبوهم بأفواههم، وبه قال مجاهد وقتادة.

ورابعها: أنهم يضعون أيديهم على أفواه الرسل رداً عليهم قولهم.

حكاها ابن جرير واختار قول ابن مسعود واستدل له بقوله تعالى عن

المنافقين ﴿**وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ**﴾.

وقال ابن كثير: «ويؤيد قول مجاهد تفسير ذلك بتمام الكلام ﴿**وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب**﴾»اهـ.

قلت والآية المشار إليها: ﴿**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في أفواههم وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم به وإنا لفي شك مما تدعوننا إليه مريب**﴾.

٨- [﴿مقامي﴾ حيث يقيمه الله بين يديه].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه حيث أقيمه بين يديّ للحساب.

والآية المشار إليها: ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾.

٩- [﴿من ورائه﴾ قدامه].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «وأمامه يقال إن الموت من ورائك أي قدامك وقال:

أتوعدني وراء بني رياح كذبت لتقصرن يداك دوني

أي قدام بني رياح وأمامهم وهم دوني أي بيني وبينك».اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد**﴾.

١٠- [﴿لكم تَبَعاً﴾ واحدها تابِع، مثل غَيَبَ وغائِب].

ش: قال أبو عبيدة: جمع تابع، خرج مخرج غائب والجمع غيب.اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء**﴾.

١١- [﴿بمصرخكم﴾ استصرَخني استغاثني].

ش: قال أبو عبيدة: «أي بمغيثكم ويقال: استصرخني فأصرخته أي استعانني فأعنته واستغاثني فأغثته»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾**.

١٢- [يستصرخه من الصراخ].

ش: قال ابو عبيدة: وهو من الصارخ يقال: يا آل بني فلان يا صاحباه

قلت: وليست هذه الكلمة من سورة إبراهيم بل هي من الآية الثامنة عشرة من سورة القصص ولعل المصنف رحمه الله ذكرها استطراداً.

١٣- [﴿ولا خِلال﴾ مصدر خاللته خِلالاً، ويجوز أيضاً جمع خُلة وخلال].

ش: قال أبو عبيدة: «أي مخالة خليل وله موضع آخر تجعلها جمع خلة بمنزلة جلة والجميع جلال وقلة والجميع قلال وقال:

فيخبره مكان النون مني وما أعطيته عرق الخلال

أي المخالة»اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿قل لعبادي الذين ءامنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال﴾**.

١٤- [﴿اجتُثت﴾ استؤصلت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «يقال اجتث الله دابرهم أي أصلهم».

والآية المشار إليها: **﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار﴾**.

١٨٨- [باب قوله **﴿كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين﴾**].

ش: قلت: الآية **﴿ألم تر كيف ضرب ا لله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب ا لله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾**

«قوله **﴿ألم تر كيف ضرب ا لله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ألم تر يا محمد بعين قلبك فتعلم كيف مثل ا لله مثلاً وشبه شبهاً كلمة طيبة ويعني بالطيبة الإيمان به جل ثناؤه كشجرة طيبة الثمرة، وترك ذكر الثمرة استغناء بمعرفة السامعين عن ذكرها بذكر الشجرة

وقوله **﴿أصلها ثابت وفرعها في السماء﴾** يقول عز ذكره: أصل هذه الشجرة ثابت في الأرض وفرعها وهو أعلاها في السماء يقول: مرتفع علو نحو السماء.

وقوله **﴿تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها﴾** يقول تطعم ما يأكل منها من ثمرها **﴿كل حين بإذن ربها ويضرب ا لله الأمثال للناس﴾** يقول: ويمثل ا لله الأمثال للناس ويشبه لهم الأشياء **﴿لعلهم يتذكرون﴾** يقول: ليتذكروا حجة ا لله عليهم، فيعتبروا بها ويتعظوا فينزجروا عما هم عليه من الكفر به إلى الإيمان».اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «فشبه سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة لأن الكلمة الطيبة تثمر العمل الصالح، والشجرة الطيبة تثمر الثمر النافع وهذا ظاهر على قول جمهور المفسرين يقولون: الكلمة الطيبة: هي شهادة أن لا إله إلا ا لله.فإنها تثمر جميع الأعمال الصالحة، الظاهرة والباطنة، فكل عمل صالح مرضي لله فهو ثمرة هذه الكلمة.

وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: كلمة طيبة: شهادة أن لا إله إلا الله. كشجرة طيبة: وهو المؤمن. ﴿**أصلها ثابت**﴾ قول: لا إله إلا الله في قلب المؤمن ﴿**وفرعها في السماء**﴾ يقول: يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وقال الربيع بن أنس: كلمة طيبة: هذا مثل الإيمان، فالإيمان: الشجرة الطيبة، وأصلها الثابت الذي لا يزول: الإخلاص فيه. وفرعه في السماء: خشية الله.

والتشبيه على هذا القول أصح وأظهر وأحسن. فإنه سبحانه شبه شجرة التوحيد في القلب بالشجرة الطيبة الثابتة الأصل، الباسقة الفرع في السماء علواً، التي لا تزال تؤتي ثمرتها كل حين.

وإذا تأملت هذا التشبيه رأيته مطابقاً لشجرة التوحيد الثابتة الراسخة في القلب التي فروعها من الأعمال الصالحة صاعدة إلى السماء.

ولا تزال هذه الشجرة تثمر الأعمال الصالحة كل وقت، بحسب ثباتها في القلب، ومحبة القلب لها، وإخلاصه فيها، ومعرفته بحقيقتها، وقيامه بحقوقها، ومراعاتها حق رعايتها» انتهى محل الغرض من بدائع التفسير.

٢١٨ـ حدثني عبيد بن إسماعيل عن أبي أسامة عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا، ولا، ولا، تؤتي أكلها كل حين. قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ: هي النخلة. فلما قمنا قلت لعمر يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**أخبروني بشجرة تشبه أو كالرجل المسلم**» في طرح الإمام المسألة على أصحابه من كتاب العلم برواية عبد الله بن دينار «إن من الشجر شجرة» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فقال: كنا عند النبي ﷺ، فأتى بجمار وقال: إن من الشجر» وله عنه في البيوع باب بيع الجمار وأكله قال: «كنت عند النبي ﷺ وهو يأكل جُماراً»

الثانية: قوله «**لا يتحات ورقها**» في رواية ابن دينار المذكورة «لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم» قال الحافظ: ووجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق ما رواه الحارث بن أبي أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر ولفظه: «قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هي؟ قالوا لا قال: هي النخلة لاتسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة».

ووقع عند المصنف في الأطعمة من طريق الأعمش قال: حدثني مجاهد عن ابن عمر قال: بينا نحن عند النبي ﷺ إذ أتي بجمار فقال: إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم» وهذا أعم من الذي قبله وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تأكل أنواعاً ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد الممات.

الثالثة: قوله «**ولا، ولا، ولا**» كذا ذكر النفي ثلاث مرات على طريق الاكتفاء فقيل في تفسير ولا ينقطع ثمرها ولا يعدم فيؤها ولا يبطل نفعها.ووقع في رواية مسلم ذكر النفي مرة واحدة فظن إبراهيم بن سفيان الراوي عنه أنه متعلق بما بعده وهو قوله «تؤتي أكلها» فاستشكله وقال: لعل "لا" زائدة ولعله «وتؤتي

أكلها» وليس كما ظن بل معمول النفي محذوف على سبيل الاكتفاء.قاله الحافظ.

الرابعة: قوله «**تؤتي أكلها كل حين**» أي تعطي ثمرها كل وقت وهذه صفة خامسة للنخلة.

الخامسة: قوله «**فوقع في نفسي أنها النخلة**» وفي رواية ابن دينار «فوقع الناس في أشجار البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت».قال الحافظ: بيّن أبو عوانة في صحيحه من طريق مجاهد عن ابن عمر وجه ذلك قال: «فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذي أتي به» وفيه إشارة إلى أن الملغز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال وأن الملغز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز باباً يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه.)».

السادسة: قوله «**ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم**» في طرح المسألة «فاستحييت» وزاد في رواية مجاهد في باب الفهم في العلم «فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم» وله في الأطعمة «فإذا أنا عاشر عشرة أنا أحدثهم».

السابعة: قوله «**فلما لم يقولوا شيئاً قال رسول الله ﷺ: هي النخلة**» في رواية ابن دينار «قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله قال: هي النخلة»

الثامنة: قوله «**فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة**» في رواية ابن دينار «قال عبد الله: فحدثت أبي بما وقع في نفسي فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا» زاد ابن حبان في الإيمان باب ذكر الأخبار عن وصف ما يشبه المسلم من الشجر «أحسبه قال حمر النعم».

من فقه الحديث:

أولاً: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموا.

ثانياً: التحريض على الفهم في العلم كما بوب عليه المؤلف باب الفهم في العلم.

ثالثاً: استحباب الحياء ما لم يؤد إلى تفويت مصلحة ولهذا تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

رابعاً: فيه دليل على بركة النخلة وما تثمره وفضلها.

خامساً: توقير الأصاغر للأكابر.

١٨٩- [باب ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت﴾].

ش: تمامها **﴿في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.**

يعني تعالى ذكره بقوله **﴿يثبت الله الذين آمنوا﴾** يحقق الله أعمالهم وإيمانهم **﴿بالقول الثابت﴾** يقول بالقول الحق وهو فيما قيل شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله.

وأما قوله **﴿في الحياة الدنيا﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا فيه والصواب منه القول في ذلك ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ في ذلك وهو أن معناه يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وذلك تثبيته إياهم في الحياة الدنيا بالإيمان بالله وبرسوله محمد ﷺ وفي الآخرة بمثل الذي ثبتهم به في الحياة الدنيا، وذلك في قبورهم حيث يُسألون عن الذي هم عليه من التوحيد والإيمان برسوله ﷺ.

وأما قوله **﴿ويضل الله الظالمين﴾** فإنه يعني أن الله لا يوفّق المنافق والكافر في الحياة الدنيا وفي الآخرة عند المسألة في القبر لما هدى له من الإيمان المؤمن بالله ورسوله ﷺ.

وقوله **﴿ويفعل الله ما يشاء﴾** يعني تعالى ذكره بذلك: وبيد الله الهداية والإضلال، فلا تنكروا أيها الناس قدرته، ولا اهتداء من كان منكم ضالاً ولا ضلال من كان منكم مهتدياً فإن بيده تصريف خلقه، وتقليب قلوبهم، يفعل فيهم ما يشاء.اهـ من ابن جرير بتصرف.

فائدة:

قال ابن القيم: «تحت هذه الآية كنز عظيم، من وُفِّق لمظنته وأحسن استخراجه واقتنائه وأنفق منه، فقد غنم، ومن حرمه فقد حُرِم.

وذلك أن العبد لا يستغني عن تثبيت الله له طرفة عين.فإن لم يثبته، وإلا

زالت سماء إيمانه وأرضه عن مكانهما...إلى أن قال: فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتثبيت، ومخذول بترك التثبيت.

ومادة التثبيت أصله ومنشؤه من القول الثابت، وفعل ما أُمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده.فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تثبيتاً.قال تعالى **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً﴾**.

فأثبت الناس قلباً: أثبتهم قولاً.

والقول الثابت: هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب.

فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له.

وأثبت القول: كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة، ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوناً، وأقلهم ثباتاً.» انتهى مختصراً من بدائع التفسير.

٢١٩ـ حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة قال أخبرني علقمة بن مرثد[1] قال سمعت سعد بن عبيدة[2] عن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله ﴿يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**المسلم إذا سئل في القبر**» في الجنائز برواية حفص بن عمر «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد»

الثانية: قوله «يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» في الجنائز «ثم

(١) هو أبو الحارث علقمة بن مرثد الحضرمي الكوفي، ثقة من السادسة.ع.

(٢) هو أبو حمزة سعد بن عبيدة السلمي، الكوفي، ثقة من الثالثة، مات في ولاية عمر بن هبيرة على العراق.ع.

شهد أن لا إله إلا ا لله وأن محمداً رسول ا لله» وقد أخرجـه الإسماعيلي عـن أبـي خليفة عن حفص بن عمر شيخ البخاري فيه بلفظ أبين من لفظه قال: «إن المؤمن إذا شهد أن لا إله إلا ا لله وعرف محمداً في قبره فذلـك قولـه الخ.» وأخرجـه ابـن مردويه من هذا الوجـه وغـيره بلفـظ «إن النبي ﷺ ذكـر عـذاب القـبر فقـال: إن المسلم إذا شهد أن لا إله إلا ا لله وعرف أن محمـداً رسـول ا لله» الحديـث.حكـاه الحافظ (٣/٢٣٤).

الثالثة: قوله «**فذلك قولـه ﴿يثبـت ا لله الذيـن ءامنـوا بـالقول الثـابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾**» في رواية غندر في الجنـائز بهـذا وزاد «**﴿يثبـت ا لله الذين آمنوا﴾** نزلت في عذاب القبر» وعند مسـلم في كتـاب الجنـة بـاب عـرض مقعد المؤمن «فيقال له من ربك فيقول ربي ا لله ونبيي محمد ﷺ فذلـك قولـه ﷻ **﴿يثبت ا لله...﴾** الآية» وعند أحمد ٢٨٧/٤ وأبي داود في السنة باب المسـألة في القبر عن البراء بن عازب من حديث طويـل وفيـه قـال «فتعـاد روحـه في جسـده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربي ا لله فيقولان له مـا دينـك فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسـول ا لله ﷺ فيقولان له ومـا علمـك فيقـول قـرأت كتـاب ا لله فـآمنت بـه وصدقـت فينادي مناد في السماء أن صدق عبـدي فأفرشـوه مـن الجنـة وألبسـوه مـن الجنـة وافتحوا له باباً إلى الجنة» الحديث.

فائدة:

قال مقيده: فاعلم هديت إلى صواب الأقوال والأعمال والسـداد في صحـة العقيدة والمنهج، أن نعيم القبر وعذابه، قد جاءت به السنة المتواتـرة عـن النبي ﷺ وأجمع عليه أهل الحق، فلا تغتر بمـن خـالف في ذلـك، كالمعتزلـة وأتبـاع المدرسـة الفلسفية العقلية الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوسات ولا يقرون من النصوص إلا بمـا يوافق عقولهم ونحن سنذكر لك ثلاثة أحاديث إضافة على ما تقدم:

الأول: حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الميت إذا وضع في قبره يسمع خفق نعالهم إذا ولوا عنه مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الصدقةعن شماله، وكان فعل الخير من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه، فيأتيه الملكان من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يمينه، ويقول الصيام: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة، والمعروف والإحسان: ما قبلي مدخل !! فيقول له: اجلس. فيجلس قد مثلت له الشمس، وقد أصغت للغروب، فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي. أخبرنا عما نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقولون فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: محمد نشهد أنه رسول الله، جاء بالحق من عندا لله فيقال له: على ذلك حييت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقال: هذا مقعدك، وما أعد الله لك فيها؛ فيزداد غبطة وسروراً؛ ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدئ منه، وتجعل روحه نسم طير يعلق في شجر الجنة. قال: فذلك قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾.

وإن كان كافراً أتي من قبل رأسه فلا يوجد شيء، ويؤتى عن يمينه فلا يوجد شيء، ثم يؤتى عن يساره فلا يوجد شيء، ثم يؤتى من قبل رجليه فلا يوجد شيء، فيقال له: اقعد فيقعد خائفاً مرعوباً فيقال له: ما تقول في هذا الرجل الذي كان فيكم وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: أي رجل؟ فيقولون: الرجل الذي كان فيكم. قال: فلا يهتدى له. قال. فيقولون: محمد. فيقول: سمعت الناس قالوا فقلت كما قالوا. فيقولون على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث إن شاء الله ثم يفتح له باب من قبل الجنة. فيقال له انظر إلى منزلك وإلى ما أعد

ا لله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً، قال: ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، قال وذلك قوله تبارك وتعالى **﴿فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى﴾**.

أخرجه عبدالرزاق وابن أبي شيبة في مصنفيهما وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وجميعهم من طريق محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة.

الثاني: حديث أنس بن مالك رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، إذا انصرفوا: أتاه الملكان، فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل، محمد؟ فأما المؤمن، فيقول: أشهد أنه عبدا لله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك ا لله به مقعداً من الجنة، قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ـ ثم رجع إلى حديث أنس ـ وأما الكافر ـ أو المنافق ـ وفي رواية: وأما الكافر والمنافق ـ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيه، فيقال: لا دريت، ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين»

أخرجه الشيخان وغيرهما، وقال ابن الأثير في جامعه: «ولفظ الحديث للبخاري».

الثالث: حديث أبي هريرة رضي ا لله عنه أن رسول ا لله ﷺ قال: «إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول، هو عبدا لله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا ا لله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينور له فيه،ثم يقال له: نم، فيقول: ارجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة

العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه، حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولان قولاً، فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمي عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجه ذلك.

رواه الترمذي وحسنه.

١٩٠- باب **﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾**.

ش: تمام السياق **﴿وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار﴾**.

«يقول تعالى ذكره ألم تنظر يا محمد **﴿إلى الذين بدلوا نعمة الله كفراً﴾** يقول غيروا ما أنعم الله به عليهم من نعمة، فجعلوها كفراً به، وكان تبديلهم نعمة الله كفراً في نبي الله محمد ﷺ، أنعم الله به على قريش، فأخرجه منهم وابتعثه فيهم رسولاً رحمة لهم، ونعمة منه عليهم، فكفروا به وكذبوه، فبدلوا نعمة الله عليهم به كفراً.

وقوله **﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾** يقول وأنزلوا قومهم من مشركي قريش دار البوار وهي دار الهلاك، يقال منه: بار الشيء يبور بوراً إذا هلك وبطل، ومنه قول ابن الزبعرى، وقد قيل أنه لأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب:

يا رسول المليك إن لساني   راتق ما فتقت إذ أنا بور

ثم ترجم عن دار البوار وما هي؟ فقيل **﴿جهنم يصلونها وبئس القرار﴾** يقول وبئس المستقر هي جهنم لمن صلاها».اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار:

١- [﴿ألم تر﴾ ألم تعلم؟ كقوله ﴿ألم تر كيف﴾ ﴿ألم تر إلى الذين خرجوا﴾].

ش: قاله أبو عبيدة عند قوله تعالى **﴿ألم تر أن الله خلق...﴾** وزاد: ليس رؤية عين.

٢ـ [﴿البوار﴾ الهلاك، بار يبور بوراً].

ش:قاله أبوعبيدة وزاد:«والفناء،ويقال باريبورومنه قول عبدا لله بن الزبعري:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

البور والبوار واحد».اهـ

٣ـ [﴿قوما بوراً﴾ هالكين].

ش: قلت هذه الكلمة في سورة الفرقان ضمن الآية الثامنة عشرة وفي سورة الفتح ضمن الآية الثانية عشرة وقد ذكرها الشيخ ههنا للإستشهاد.

٢٢٠ـ حدثنا علي بن عبد ا لله حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس: ﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفراً﴾ قال هم كفار أهل مكة.

ش: في غزوة بدر من رواية الحميدي «**﴿الذين بدلوا نعمة ا لله كفراً﴾** قال هم وا لله كفار قريش قال عمرو هم قريش ومحمد ﷺ نعمة ا لله ﴿وأحلوا قومهم دار البوار﴾ قال النار يوم بدر».

وأخرج عبد الرزاق في تفسيره من طريق معمر عن وهب بن عبد ا لله عن أبي الطفيل أن ابن الكواء سأل علياً قال: من الذين **﴿بدلوا نعمة ا لله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾**؟ قال: الأفجران، وقال: قريش أو قال أهل مكة بنو مخزوم، وبنو أمية وكفيتهم يوم بدر.

وروى ابن جرير من طريق ابن بشار وأحمد بن إسحاق قالا: ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن علي بن زيد عن يوسف بن سعد عن عمر بن الخطاب في قوله **﴿ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة ا لله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار﴾** قال: هما الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما

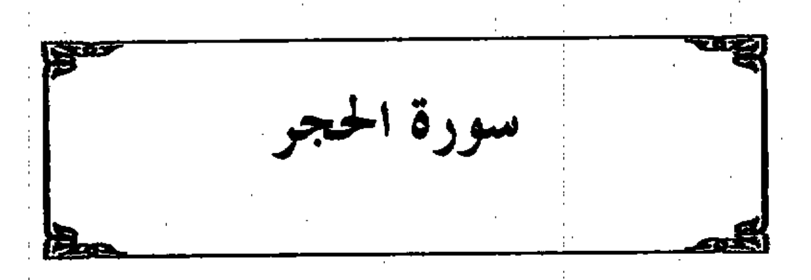
بنو أمية فمتعوا إلى حين.

قلت: ولا منافاة عندي بين هذه التفاسير لأن كفار بني مخزوم وبني أمية من كفار قريش ومن المعلوم أن هذين الحيين من قريش كانوا من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ، وإن كان تفسير ابن عباس أولى لموافقته ظاهر الآية وهو العموم.

وفي تفسير ابن كثير: «وقال العوفي عن ابن عباس في هذه الآية هو جبلة بن الأيهم والذين اتبعوه من العرب، فلحقوا بالروم».

قلت: وهذا خبر ضعيف لا تقوم به حجة وثمت سبب آخر وهو أن جبلة إرتد في خلافة عمر.

آخر تفسير سورة إبراهيم والحمد لله.



١٩١- [تفسير سورة الحجر بسم الله الرحمن الرحيم]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى:﴿**ولقد كذّب أصحاب الحجر المرسلين**﴾.

قلت: والحجر وادي القرى وهي منازل ثمود وتقع شمال مدينة العلا وتعرف اليوم بمدائن صالح وأصحاب الحجر هم ثمود.

وهي مكية باتفاق حكاه القرطبي، وعدد آياتها تسع وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [وقال مجاهد ﴿صراطٌ عليّ مستقيم﴾ الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد لا يعرِّج على شيء.

والآية المشار إليها: **﴿قال هذا صراط عليّ مستقيم﴾**.

٢- [﴿وإنهما لبإمام مبين﴾ الإمام كل ما ائتممت واهتديت به إلى الطريق].

ش: قاله أبو عبيدة دون الجملة الأخيرة وقال ابن جرير في قوله لبإمام: يقول لبطريق يأتمون به في سفرهم، ويهتدون به ﴿مبين﴾ يقول يبين لمن ائتم به استقامته، وإنما جعل الطريق إماماً لأنه يؤم ويُتبع.

ثم أخرج المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: **﴿فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين﴾**.

٣- [وقال ابن عباس: ﴿لعمرك﴾ لعيشك].

ش: رواه ابن جرير من طريق المثنى ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾**.

٤- [﴿قوم منكرون﴾ أنكرهم لوط].

ش: رواه ابن جرير من طرق جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿قال إنكم قوم منكرون﴾**.

٥- [وقال غيره ﴿كتاب معلوم﴾ أجل].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ومدّه معلوم مؤقت معروف.

والآية المشار إليها: **﴿وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم﴾**.

٦- [﴿لو ما تأتينا﴾ هلاَّ تأتينا].

ش: قال أبو عبيدة: «لو ما فعلت كذا، وهلاّ ولولا وألا، معناهن واحد، هلا تأتينا وقال الأشهب بن عبلة وقال في غير هذا الموضع ابن رميلة:

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم بني ضوطرى لولا الكمي المقنّعا

أي هلا تعدون قتل الكماة «لو ما» مجازها ومجاز «لو لا» واحد».اهـ.

والآية المشار إليها: **﴿لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾**.

٧- [**﴿شيع﴾ أمم، وللأولياء أيضاً شيعٌ**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين﴾**.

٨- [**وقال ابن عباس: ﴿يهرعون﴾ مسرعين**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها هي الثامنة والسبعون من سورة هود وأظن وقوعها هنا من قبيل بعض النساخ.

٩- [**﴿للمتوسمين﴾ للناظرين**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق المثنى ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره، كما رواه بهذا اللفظ عن الضحاك وأخرج عن مجاهد «المتفرسين» وعن قتادة «المعتبرين» وعن ابن زيد «المتفكرين» وهذه العبارات متفقة في المعنى وإن كانت مختلفة في اللفظ.

والآية المشار إليها: **﴿إن في ذلك لآيت للمتوسمين﴾**.

١٠- [**﴿سُكِّرَت﴾ غُشِّيت**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «سمادير فذهبت وخبأ نظرها قال:

جاء الشتاء واجثأل القنبر واستخفت الأفعى وكانت تظهر

وطلعت شمس عليها مغفر وجعلت عين الحرور تسكر

أي يذهب حرها ويخبو»اهـ

قال مقيده: واعلم أن أهل التفسير إختلفوا في معنى هذه الكلمة على أربعة أقوال:

أحدها: بمعنى سدت وهو قول مجاهد وابن كثير وهو المقرىء والضحاك.

وثانيها: بمعنى أخذت وهو قول ابن عباس وقتادة.

وثالثها: بمعنى غشي على أبصارنا كما يفعل السكر بصاحبه وهو قول ابن زيد.

ورابعها: بمعنى عميت وهو قول الكلبي.

أخرجها ابن جرير واختار ثالثها وهو موافق لقول البخاري.

والآية المشار إليها:﴿**لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون**﴾.

١١- [﴿**بروجاً**﴾ **منازل للشمس والقمر**].

ش: قاله ابو عبيدة.

«والآية المشار إليها:﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيناها للناظرين﴾»

١٢- [﴿**لواقح**﴾ **ملاقح ملقحة**].

ش: قال أبو عبيدة مجازها مجاز ملاقح لأن الريح ملقحة للسحاب والعرب قد تفعل هذا فتلقي الميم لأنها تعيده إلى أصل الكلام كقول نهشل بن حري يرثي أخاه:

ليبكي يزيد بائساً لضراعة وأشعث ممن طوحته الطوائح

فحذف الميم لأنها المطاوح».اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماءً فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين**﴾.

١٣- [﴿حمأ﴾ جماعة حمأة وهو الطين المتغير والمسنون المصبوب].

ش: قاله أبو عبيدة مع إختلاف يسير.

والآية المشار إليها:﴿ولقد خلقنا الإنسان من صلصال من حمإ مسنون﴾.

١٤- [﴿تَوْجَل﴾ تَخَف].

ش: قال ابن جرير: قال الضيف لإبراهيم لا توجل لا تخف إنا نبشرك بغلام عليم.

والآية المشار إليها:**﴿قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم﴾**.

١٥- [﴿دابر﴾ آخر].

ش: زاد أبو عبيدة: مجتذ مقطوع مستأصل.

والآية المشار إليها:**﴿وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾**.

١٦- [﴿الصيحة﴾ الهلكة].

ش: زاد أبو عبيدة: ويقال صيح بهم أي أهلكوا.اهـ

قلت: والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في قوم لوط **﴿فأخذتهم الصيحة مشرقين﴾** وثانيهما في أصحاب الحجروهم ثمود **﴿فأخذتهم الصيحة مصبحين﴾** ولا أدري أيتهما عنى الشيخ بهذه الإشارة.

١٩٢- [باب قوله ﴿إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾].

ش: قلت السياق: ﴿وحفظناها من كل شيطان رجيم إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين﴾.

يقول تعالى ذكره: وحفظنا السماء الدنيا من كل شيطان لعين قد رجمه الله ولعنه ﴿إلا من استرق السمع﴾ يقول لكن قد يسترق من الشياطين السمع مما يحدث في السماء بعضها، فيتبعه شهاب من النار مبين، يبين أثره فيه إما بإخباله وإفساده أو بإحراقه.اهـ من ابن جرير.

فائدة:

قال ابن كثير بعد ذكره خلق السماء وما جعل الله فيها من بروج وزينة: «وجعل الشهب حرساً لها من مردة الشياطين، لئلا يسمعوا إلى الملأ الأعلى فمن تمرد منهم لاستراق السمع جاءه ﴿شهاب مبين﴾ فأتلفه فربما يكون قد ألقى الكلمة التي سمعها قبل أن يدركه الشهاب إلى الذي هو دونه فيأخذها الآخر، ويأتي بها إلى وليه». اهـ

٢٢١- حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كالسلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال الحق وهو العلي الكبير.فيسمعها مسترقوا السمع، ومسترقوا السمع هكذا واحد فوق آخر ووصف سفيان بيده وفرج بين أصابع يده اليمنى نصبها بعضها فوق بعض، فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه، فيحرقه.وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفل منه، حتى يلقوها إلى الأرض ـ وربما قال سفيان: حتى تنتهي إلى

الأرض - فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة، فيصدق، فيقولون: ألم يخبرنا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا فوجدناه حقاً؟ للكلمة التي سمعت من السماء.

حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة: إذا قضى الله الأمر، وزاد: ... (والكاهن).

وحدثنا سفيان فقال قال عمرو سمعت عكرمة حدثنا أبو هريرة قال: إذا قضى الله الأمر وقال على فم الساحر قلت لسفيان: أأنت سمعت عمراً قال سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة؟ قال: نعم قلت لسفيان: إن إنساناً روى عنك عن عمرو عن عكرمة عن أبي هريرة ويرفعه أنه قرأ ﴿فُرّغ﴾ قال سفيان: هكذا قرأ عمرو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا قال سفيان: وهي قراءتنا.

ش: قوله «**حدثنا عمرو**» ليثبت سماع سفيان من عمرو.

وقوله «**قال عمرو سمعت عكرمة**» القائل هو سفيان وأراد به إثبات سماع عمرو من عكرمة.

قوله «**حدثنا أبو هريرة**» فيه النص على سماع عكرمة من أبي هريرة.

قوله «**قال أبو هريرة إذا قضى الله الأمر...الخ**» مفاده أن الحديث موقوف على أبي هريرة ولكن صرح في سورة سبأ كما سيأتي برفعه إلى النبي ﷺ قال عكرمة سمعت أبا هريرة قال إن نبي الله ﷺ قال.

قوله «**قلت لسفيان أأنت سمعت عمرواً...الخ**» القائل هو علي بن عبد الله المديني شيخ البخاري ومراده الإستثبات.

قوله «**نعم**» القائل هو سفيان جواباً لتلميذه علي بن المديني.

قوله «**إن إنسانا روى عنك**» لم نقف على تسميته.

قوله «**أنه قرأ فرغ**» بضم الفاء وتشديد الراء المكسورة فغين معجمة مفتوحة.

قوله «**وهي قراءتنا**»

قلت: وهي قراءة الحسن أيضاً حكاها ابن جرير والمعنى على هذه القراءة أي حتى إذا أفنى الله الوجل عن قلوبهم.

وسيأتي الحديث في تفسير سورة سبأ ضمن الباب الخامس والثمانين بعد المائتين وهناك يستوفى الكلام عليه.

١٩٣- [باب قوله ﴿ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين﴾].

ش: يخبر جل ثناؤه أن أصحاب الحجر وهم ثمود الذين كذبوا صالحاً نبيهم، ومن كذب برسول فقد كذب بجميع المرسلين ولهذا أطلق عليهم تكذيب المرسلين.

قلت: والدليل على أن تكذيب واحد من الرسل هو تكذيب بالجميع وكفر بهم قوله تعالى: **﴿إن الذين يكفرون با لله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين ا لله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾.**

٢٢٢- حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا معن قال حدثني مالك عن عبد ا لله بن دينار عن عبد ا لله بن عمر رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال لأصحاب الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

ش: فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله «**لأصحاب الحجر**» يعني لأصحابه الذين قدموا معه الحجر وهو وادي القرى حين مروا به قاصدين تبوك.

الثانية: قوله «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين**» في باب قوله تعالى **﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً﴾** من أحاديث الأنبياء برواية سالم «أن النبي ﷺ لما مر بالحجر قال: لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا» وفيه من رواية ابن دينار «**لما نزل الحجر في غزوة تبوك أمرهم أن لا يشربوا من بئرها**».

قلت: فتحصل من مجموع هذه الروايات أن هذا النهي كان حين توجه رسول ا لله ﷺ إلى غزوة تبوك.

الثالثة: قوله «**فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم**» ليس المراد الاقتصار في ذلك على ابتداء الدخول، بل دائما عند كل جزء من الدخول، وأما الاستقرار

فالكيفية المذكورة مطلوبة فيه بالأولوية.

قال مقيده: وفي باب نزول النبي ﷺ الحجر من المغازي برواية سالم أيضاً «ثم قنع رأسه، وأسرع السير حتى أجاز الوادي» فهذه الرواية نص صريح على أنه ﷺ لم ينزل في وادي الحجر. وهذا دليل على أنه لا تصح فيه الصلاة.

الرابعة: قوله «**أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» وكذا في الأنبياء وفي الصلاة «لا يصبكم ما أصابهم» والمعنى خشية أن يصيبكم، وهو نهي بمعنى الخبر ووجه هذه الخشية أن البكاء يبعثه على التفكر والاعتبار، فكأنه أمرهم بالتفكر في أحوال توجب البكاء من تقدير الله تعالى على أولئك بالكفر مع تمكينه لهم في الأرض وإمهالهم مدة طويلة.انتهى من الفتح ١/٥٣١.

١٩٤- [باب ﴿ولقد ءاتينك سبعا من المثاني والقرءان العظيم﴾].

ش: إختلف أهل التفسير في هذه السبع المثاني التي أخبر تعالى ذكره أنه أتاها نبيه ﷺ على أقوال أربعة:

أولها: أنها السبع السور من أول القرآن اللواتي يعرفن بالطول وبه قال ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك.

وثانيها: أنها آيات فاتحة الكتاب لأنهن سبع آيات وبه قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد في الرواية الثانية عنهم وعمر وعلي وأبو فاختة وأبيّ بن كعب وأبو العالية وعبد الله بن عبيد بن عمير وأبو مليكة وشهر بن حوشب والحسن وقتادة وخالد الحنفي.

وثالثها: أنها معاني القرآن وبه قال زياد بن أبي مريم.

ورابعها: أنه القرآن العظيم وبه قال أبو مالك وطاووس وابن عباس في الرواية الثالثة والضحاك في الرواية الثانية.

حكاها ابن جرير واختار القول الثاني منها وحديث الباب دليل على رجحان هذا القول

٢٢٣- حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي سعيد بن المعلى قال: «مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت فقال: ما منعك أن تأتي فقلت: كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله ﴿يا أيها الذين ءامنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ ثم قال: ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟ فذهب النبي ﷺ ليخرج من المسجد فذكّرته، فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته.»).

٢٢٤- حدثنا آدم حدثنا ابن أبي ذئب حدثنا سعيد المقبري عن أبي

هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أم القـرآن هـي السـبع المثـاني والقـرآن العظيم.».

ش: مضى حديث أبي سعيد بن المعلى في الباب الأول وأما قوله في حديث أبي هريرة «أم القرآن» فعند الترمذي من روايـة أبـي علـي الحنفـي «الحمـد لله أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» وعند ابن جرير من طريق سعيد المقبري «هـي أم الكتاب وهي أم القرآن وهي السبع المثاني».

قال الخطابي: «في الحديث رد على ابـن سـيرين حيـث قـال: إن الفاتحـة لا يقال لها أم القرآن وإنما يقال لها فاتحة الكتاب».

١٩٥- [**باب قوله ﴿الذين جعلوا القرءان عضين﴾**].

ش: وقبلها ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾.

يقول مثل الذي أنزل الله تعالى من البلاء والعقاب على الذين اقتسموا القرآن فجعلوه عضين.اهـ من ابن جرير.

واعلم أن أهل التأويل إختلفوا فيمن عنى بقوله ﴿**المقتسمين**﴾ على ستة أقوال:

أولها: أنهم اليهود والنصارى فأمنوا ببعضه وكفروا ببعضه وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن.

وثانيها: أنهم اليهود والنصارى أيضاً لكن سموا المقتسمين لأن بعضهم قال استهزاء بالقرآن هذه السورة لي وقال بعضهم هذه لي وبه قال عكرمة.

وثالثها: أنهم أيضاً اليهود والنصارى لكن سموا المقتسمين لاقتسامهم كتبهم وتفريقهم بينها بالإيمان ببعضها والكفر ببعضها وبه قال مجاهد.

ورابعها: أنهم رهط من كفار قريش بأعيانهم وهو قول قتادة.

وخامسها: أنهم رهط من قوم صالح الذين تقاسموا على تبييته وأهله وبه قال ابن زيد.

وسادسها: أنهم قوم اقتسموا طرق مكة أيام قدوم الحاج عليهم ليشيعوا لمن سألهم عن النبي ﷺ أنه مجنون وشاعر وساحر.

قال ابن جرير بعد حكايته لهذه الأقوال: وجائز أن يكون عنى بالمقتسمين أهل الكتابين التوراة والإنجيل لأنهم اقتسموا كتاب الله فأقرت اليهود ببعض التوراة وكذبت ببعضها وكذبت بالإنجيل والفرقان، وأقرت النصارى ببعض الإنجيل وكذبت ببعضه وبالفرقان.

وجائز أن يكون عنى بذلك المشركين من قريش لأنهم اقتسموا القرآن فسماه بعضهم شعراً وبعضهم كهانة وبعضٌ أساطير الأولين.

وجائز أن يكون عنى به الفريقين، وممكن أن يكون عنى به المقتسمين على صالح من قومه، فإذا لم يكن في التنزيل دلالة على أنه عنى به أحد الفرق الثلاثة دون الآخرين، ولا في خبر عن الرسول ﷺ ولا في فطرة عقل، وكان ظاهر الآية محتملاً ما وصفت، وجب أن يكون مقضياً بأن كل من اقتسم كتاب الله بتكذيب بعض وتصديق بعض، واقتسم على معصية الله ممن حل به عاجل نقمة الله في الدار الدنيا قبل نزول هذه الآية،فداخل في ذلك لأنهم لأشكالهم من أهل الكفر با لله كانوا عبرة وللمتعظين بهم منهم عظة.اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿**الذين جعلوا القرآن عضين**﴾ جمع عضة،وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أجزاء فيكون المعنى على هذا: الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه شعر وبعضه سحر وبعضه كهانة ونحو ذلك.اهـ من الشوكاني.

قلت: وهذا **أحد** قولين لأهل العلم بالتأويل في الآية وبه قال ابن عباس وعطاء والضحاك وقتادة وابن زيد.

وثانيهما: أنه عنى بالعضة في هذا الموضع نسبتهم إياه أنه سحر خاصة دون غيره من معاني الذم وبه قال عكرمة وقتادة في الرواية الثانية ومجاهد.

حكاهما ابن جرير واختار أولهما وهو عندي متعين لأمرين:

أولهما: ظاهر الآية فإنه نص في القرآن كما ترى.

وثانيهما: أنه قول أكثر المفسرين.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿المقتسمين﴾ الذين حلفوا ومنه ﴿لا أقسم﴾ أي أقسم وتقرأ ﴿لأقسم﴾، ﴿قاسمهما﴾ حلف لهما ولم يحلفا له].

ش: قوله «**الذين حلفوا**» جعله من الحلف وهوالذي إختاره ابن جرير وقد قدمناه في شرح الآية أنه من القسمة بمعنى التفرق.

قوله «**ومنه لا أقسم أي أقسم وتقرأ لأقسم**» قلت الثانية قراءة قنبل

والأولى قراءة بقية السبعة كما حكاه في الكشف ٢/٣٤٩.

قوله «**وقاسمهما**» أشار إلى قوله ﴿**وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين**﴾ من سورة الأعراف وقد أخرج ابن جرير في الآية عن قتادة «فحلف لهما با لله حتى خدعهما»

٢- [**وقال مجاهد: تقاسموا تحالفوا**].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد تقاسموا با لله قال تحالفوا على إهلاكه.

والآية المشار إليها هي التاسعةوالأربعون من سورة النمل.

٢٢٥- حدثني يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي ا لله عنهما: ﴿الذين جعلوا القرءان عضين﴾ قال: (هم أهل الكتاب جزؤوه أجزاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه).

٢٢٦- حدثني عبيد ا لله بن موسى عن الأعمش عن أبي ضبيان[1] عن ابن عباس رضي ا لله عنهما ﴿كما أنزلنا على المقتسمين﴾ قال: آمنوا ببعض وكفروا ببعض، اليهود والنصارى.

ش: فيهما مسألتان:

الأولى: قوله «**هم أهل الكتاب**» فسره في الرواية الثانية فقال اليهود والنصارى.

الثانية: قوله «**جزؤوه أجزاء**» فسره في الرواية الثانية فقال آمنوا ببعض وكفروا ببعض.

قلت: وبقول ابن عباس هذا قال سعيد بن جبير والحسن وعكرمة ومجاهد أخرجه عنهم ابن جرير.

---

(١) هو حصين بن جندب بن الحارث الجنبي الكوفي ثقة من الثانية مات سنة تسعين وقيل غير ذلك ع.

١٩٦- [باب ﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ واعبد ربك حتى يأتيك الموت الذي هو موقن به وقيل يقين وهو موقن به كما قيل خمر عتيق وهي معتقة.

فائدة:

قال ابن القيم: «واليقين هنا الموت باتفاق أهل الإسلام فجاءه ﷺ إذ جاءه وإرادته وقصده، ونيته في الذروة العليا، ونهاية كمالها وتمامها».اهـ.

قوله: **[قال سالم اليقين الموت].**

ش: قلت هو سالم بن رافع الغطفاني المشهور بابن أبي جعد وهذا الخبر وصله الفريابي وعبد بن حميد وغيرهما من طريق طارق بن عبد الرحمن عن سالم بن أبي الجعد بهذا قاله الحافظ.

وأخرجه ابن جرير عن مجاهد وقتادة والحسن وابن زيد ويشهد له من السنة ما رواه مسلم في الإمارة باب فضل الجهاد والرباط، والنسائي في التفسير قوله ﴿**واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ عن بعجة بن عبد الله بن بدر عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خير ما عاش الناس له رجل يمسك بعنان فرسه في سبيل الله كلما سمع هيعة أو فزعة، طار على متن فرسه فالتمس الموت في مضانه، أو رجل في شعبة من هذه الشعاب، أو في بطن واد من هذه الأودية في غنيمة له يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويعبد الله، حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خير».

آخر تفسير سورة الحجر والحمد لله

سورة النحـل

بسم ا لله الرحمن الرحيم

١٩٧- [باب تفسير سورة النحل]

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**وأوحى ربك إلى النحل أن إتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون**﴾.

وهي مكية كلها في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر ورواه ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزّبير.

وتسمى هذه السورة، سورة النعم بسبب ما عدد ا لله فيها وعدد آياتها ثمان وعشرون ومائة آية.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿روح القدس﴾ جبريل ﴿نزل به الروح الأمين﴾].

ش: أخرجه ابن جرير من طريق عبد الأعلى بن واصل ثنا جعفر بن عون العمري عن موسى بن عبيدة الربذي عن محمد بن كعب قال: روح القدس جبريل.

قلت: ورواه ابن أبي حاتم في تفسير قوله تعالى من سورة المائدة **﴿إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس . . .الآية﴾** عن عبدالله وأظنه ابن مسعود ثم قال: وكذا روي عن محمد بن كعب القرظي وقتادة وعطية العوفي والسدي والربيع بن أنس وإسماعيل بن أبي خالد مثل ذلك .

قلت: ويشهد له قوله تعالى من سورة البقرة **﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين﴾.**

والآية المشار إليها: **﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين ءامنوا وهدى وبشرى للمسلمين﴾.**

وقوله **﴿نزل به الروح الأمين﴾** هي الآية الثالثة والتسعون بعد المائة من سورة الشعراء وقد ذكرها المصنف ههنا استشهاداً.

٢- [﴿في ضيق﴾ : يقال أمر ضَيْق وضَيِّق مثل هيْن وهَيِّن ولَيْن ولَيِّن وميْت ومَيِّت].

ش: قال أبو عبيدة: «مفتوح الأول وهو تخفيف ضيِّق بمنزلة ميِّت وهيّن وليّن وإذا خففتها قلت ميت وهين ولين وإذا كسرت أول ضِيق فهو مصدر الضيّق».اهـ

والآية المشار إليها: **﴿واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون﴾.**

٣- [**قال ابن عباس: ﴿تتفيأ ظلاله﴾ تتهيأ**].

ش: قلت: كذا في الصحيح والذي أخرجه ابن جرير من طريق المثنى أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله **﴿يتفيأ ظلاله﴾** يقول تتميل.

والآية المشار إليها: **﴿أولم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾**.

تنبيه:

وقع في رواية المصنف ههنا تتفيأ بالمثناة الفوقية وقراءة الجمهور يتفيأ بالمثناة التحتية وكلتا القراءتين صحيحة مشهورة.

٤- [**﴿سبل ربك ذللا﴾ لا يتوعر عليها مكان سلكته**].

ش: رواه ابن جرير من طريق القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد **﴿فاسلكي سبل ربك ذللا﴾** قال طرقاً ذللاً قال: لا يتوعر عليها مكان سلكته.

والآية المشار إليها: **﴿ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لأية لقوم يتفكرون﴾**.

٥- [**وقال ابن عباس ﴿في تقلبهم﴾ اختلافهم**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني المثنى وعلي بن داود قالا ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿أو يأخذهم في تقلبهم فما هم بمعجزين﴾**.

٦- [**وقال مجاهد: ﴿تميد﴾ تكفّأ**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد **﴿أن تميد بكم﴾** أن تكفأ بكم.

والآيـة المشـار إليهـا: ﴿**وألقـى في الأرض رواسـي أن تميـد بكـم وأنهـاراً وسبلاً لعلكم تهتدون**﴾.

٧- [﴿مفرطون﴾ منسيّون].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى عـن ابـن أبي نجيح عن مجاهد ﴿**وأنهم مفرطون**﴾ قال منسيّون.

والآية المشار إليها: ﴿**ويجعلون لله ما يكرهون وتصـف ألسـنتهم الكـذب أنّ لهم الحسنى لا جرم أن لهم النار وأنهم مفرطون**﴾.

٨- [وقال غيره ﴿فإذا قرأت القرءان فاستعذ با لله﴾ هـذا مقـدم ومؤخـر وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ومعناها الاعتصام با لله].

ش: يعني غير مجاهد وهو أبو عبيدة فإن هذا التفسير منقـول عنـه، وقولـه « ومعناها الاعتصام با لله » قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآيـة المشـار إليهـا: ﴿**فـإذا قـرأت القـرءان فاسـتعذ بـا لله مـن الشـيطن الرجيم**﴾.

٩- [وقال ابن عباس: ﴿تُسيمون﴾ ترعون].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا ابن وكيع ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عـن عكرمة عن ابن عباس فذكره. كما أخرجه أيضاً عن عكرمة والضحاك وغيرهما.

والآية المشار إليها: ﴿**هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون**﴾.

١٠- [﴿قصد السبيل﴾ البيان].

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى أخبرنا أبو صالح ثني معاوية عـن علي عـن ابن عباس فذكره.

والآية المشـار إليهـا: ﴿**وعلـى ا لله قصـد السـبيل ومنهـا جـائر ولـو شـاء لهداكم أجمعين**﴾.

١١- [« **الدِّفء** » **ما استدفأت**].

ش: قال أبو عبيدة: أي ما استدفىء به من أوبارها.

والآية المشار إليها: ﴿**والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون**﴾.

١٢- [﴿**تريحون**﴾ **بالعشي**].

١٣- [﴿**تسرحون**﴾ **بالغداة**].

ش: قاله أبو عبيدة.والآية المشار إليها: ﴿**ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون**﴾.

١٤-[﴿**بشق**﴾ **يعني المشقة**].

ش: قال أبو عبيدة: يكسر أوله ويفتح ومعناه بمشقة الأنفس وقال النمر بن تولب:

وذي إبل يسعى ويحسبها له أخي نصب من شقها ودؤوب

أي مشقتها.اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم**﴾.

١٥- [﴿**على تخوُّف**﴾ **تنقص**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:

قال ألام على الهجاء وكل يوم يلاقيني من الجيران غول
تخوف غدرهم مالي وأهدى سلاسل في الحلوق لها صليل

أي تنقص غدرهم مالي.اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**أو يأخذهم على تخوف فإن ربكم لرءوف رحيم**﴾.

١٦- [﴿**الأنعام لعبرة**﴾ **وهي تؤنث وتذكر وكذلك الأنعام جماعة النعم**].

ش: قال أبو عبيدة: يذكر ويؤنث وقال آخرون: المعنى على النعم لأن النعم

يذكر ويؤنث قال:

أكل عام نعمٌ تحوونه   يلقحه قوم وتشجونه

أربابه نوكى ولا يحمونه.اهـ

والآية المشار إليها: **﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾.**

١٧- [﴿أكناناً﴾ واحدها كن مثل حمل وأحمال].

ش: قاله أبو عبيدة بدون قوله مثل حمل وأحمال.

والآية المشار إليها: **﴿والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكناناً وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون.﴾.**

١٨- [**﴿سرابيل﴾ قمص ﴿تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ فإنها الدروع**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد:وقال كعب بن زهير:

شَمُّ العرانين أبطالٌ لبوسُهم   من نسجِ داودَ في الهيجاء سرابيل

وتقدم الإشارة إلى الآية في الأثر قبله

١٩- [﴿دخلا بينكم﴾ كل شيء لم يصح فهو دخل].

ش: قاله أبو عبيدة

والآية المشار إليها مذكورة برقم اثنين وتسعين وأربعة وتسعين ولا أدري أيتهما عنى المصنف.

٢٠- [قال ابن عباس: ﴿حفدة﴾ من ولد الرجل].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن المثنى ثنا عبد الصمد ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس **﴿وحفدة﴾** قال: هم الولد وولد الولد.

وهو أحد أقوال أربعة:

ثانيها: أنهم الأختان وهو قول ابن مسعود وأبي الضحى والنخعي وابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وثالثها: أنهم أعوان الرجل وخدمه وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة عنه وعكرمة والحسن ومجاهد وقتادة.

ورابعها: أنهم بنو امرأة الرجل من غيره وبه قال ابن عباس في الرواية الرابعة عنه.

ذكر هذه الأقوال ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: **﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات﴾.**

٢١- [« السكَر » ما حرِّم من ثمرتها والرزق الحسن ما أحل الله]

ش: أخرجه ابن جرير ثني المثنى أخبرنا العباس بن أبي طالب ثنا أبو عوانة عن الأسود عن عمرو بن سفيان عن ابن عباس فذكره.

وهو قول سعيد بن جبير وابي رزين والشعبي وإبراهيم النخعي والحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وهو **أحد** ثلاثة أقوال حكاها في الآية.

وثانيها: أن السكر بمنزلة الخمر في التحريم وليس بخمر وقالوا هو نقيع التمر والزبيب إذا إشتد وصار يسكر شرابه وبه قال ابن مسعود وأبو عبد الرحمن بن أبي ليلى وابن زيد وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وإبراهيم والضحاك.

وثالثها: أن السكر هو كل ما كان حلالاً شربه، فالنبيذ الحلال والخل والرطب والرزق الحسن: التمر والزبيب وهو قول الشعبي ومجاهد في الرواية الثانية عنهما.واختار ابن جرير هذا القول قال: وذلك أن السكر في كلام العرب على أحد أوجه أربعة أحدها ما أسكر من الشراب، والثاني ما طعم من الطعام والثالث السكون والرابع المصدر.

قال مقيده: وعندي أن معنى الآية امتنان الله على عباده بإباحة المسكر من

ثمرات النخل وذلك أول الأمر كما تقدم التفصيل في ذلك.

والآية المشار إليها: ﴿**ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخـذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون**﴾.

٢٢- [**وقال ابن عيينة عن صدقة ﴿أنكاثاً﴾ هي خرقاء كانت إذا أبرمت غزلها نقضته**].

ش: قوله عن صدقة هو أبو الهذيل والأثر وصله ابن أبي حاتم حكاه الحافظ وغيره.

والآية المشار إليها: ﴿**ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم أن تكون أمّة هي أربى من أمّة**﴾.

٢٣- [**وقال ابن مسعود: الأمّة معلّم الخير والقانت المطيع**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا محمد بن بشار ثنا أبو أحمد ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين أنه سأل عبد الله بن مسعود عن الأمة القانت قال: الأمة معلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله.

والآية المشار إليها: ﴿**إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين**﴾.

١٩٨- [باب ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾].

ش: قلت: الآية **﴿وا لله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن ا لله عليم قدير﴾.**

يقول تعالى ذكره: وا لله خلقكم أيها الناس وأوجدكم، ولم تكونوا شيئاً لا الآلهة التي تعبدون من دونه، فاعبدوا الذي خلقكم دون غيره **﴿ثم يتوفاكم﴾** يقول ثم يقبضكم **﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾** يقول: ومنكم من يهرم فيصير إلى أرذل العمر، وهو أردؤه يقال منه: رذل الرجل وفسل، يرذله رذالة ورذولة، ورذلته أنا وقيل: إنه يصير كذلك في خمس وسبعين سنة.

وقوله **﴿لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾** يقول إنما نرده إلى أرذل العمر ليعود جاهلاً كما كان في حال طفولته وصباه، **﴿بعد علم شيئاً﴾** يقول لئلا يعلم شيئا بعد علم كان يعلمه في شبابه، فذهب ذلك بالكبر ونسي، فلا يعلم منه شيئا، وانسلخ من عقله، فصار من بعد عقل كان له، لا يعقل شيئا **﴿إن ا لله عليم قدير﴾** يقول: إن ا لله لا ينسى، ولا يتغير علمه، عليم بكل ما كان ويكون، قدير على ما شاء لا يجهل شيئا، ولا يعجزه شيء أراده.اهـ من ابن جرير.

٢٢٦- حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا هارون بن موسى أبو عبد ا لله الأعور[1] عن شعيب[2] عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول ا لله ﷺ كان يدعو: « أعوذ بك من البخل والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات ».

---

(١) هو هارون بن موسى الأزدي العتكي مولاهم النحوي البصري ثقة مقرىء إلا أنه رمي بالقدر من السابعة.خ.م.د.ت.س.

(٢) هو أبو صالح شعيب بن الحبحاب الأزدي مولاهم البصري ثقة من الرابعة مات سن إحدى وثلاثين ومائة أو قبلها.خ.م.د.ت.س.

ش : فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله « **أعوذ بك** » في باب ما يتعوذ من الجبن من كتاب الجهاد برواية معتمر عن أبيه عن أنس « اللهم إني أعوذ بك » والاستعاذة با لله هي الالتجاء إليه والاعتصام به من كل مكروه.

الثانية: قوله « **من البخل** » في الشرع منع الواجب وعند العرب منع السائل مما يفضل عنده.اهـ من المصباح.

الثالثة: قوله « **والكسل** » وهو التثاقل عن الأمر وبابه طرب فهو كسلان.اهـ من الصحاح.

قلت: ومنه قوله تعالى في المنافقين ﴿**وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**﴾ يعني متثاقلين متبرمين.

الرابعة: قوله «**وأرذل العمر**» رذل الشيء بالضم رذالة ورذولة بمعنى رذؤ فهو رذل والجمع أرذل ثم يجمع على أراذل مثل كلب وأكلب وأكالب والأنثى رذلة والرُّذال بالضم والرذالة بمعناه وهو الذي إنتقى جيده وبقي أرذله.اهـ من المصباح.

الخامسة: قوله «**وعذاب القبر**» **قلت:** هذا نص صريح في ثبوت عذاب القبر ولولا ذلك ما استعاذ منه النبي ﷺ.

قال الطحاوي: وبعذاب القبر لمن كان له أهلاً، وسؤال منكر ونكير في قبره عن ربه ودينه ونبيه، على ما جاءت به الأخبار عن رسول ا لله ﷺ وعن الصحابة رضوان ا لله عليهم، والقبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران.

قال الشارح:فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا تتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول.

السادسة: قوله «**وفتنة الدجال**» **قلت:** فيه دليل على خروج الدجال

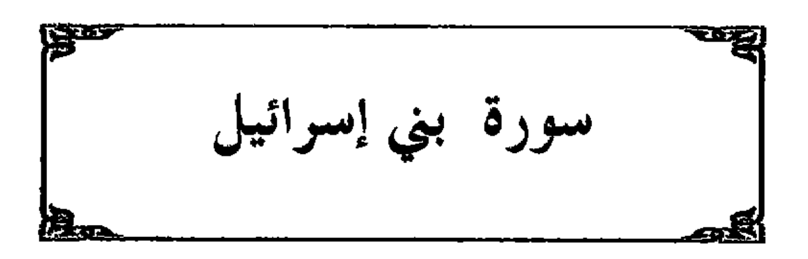
والخبر في ذلك متواتر عن النبي ﷺ ومن أحاديثه ما رواه أبو سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «يأتي الدجال وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي بالمدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس أو من خير الناس فيقول أشهد أنك الدجال الذي حدثنا عنك رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته هل تشكون في الأمر؟ فيقولون لا، فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه والله ما كنت قط أشد بصيرة مني اليوم فيقول الدجال: أقتله ولا يسلط عليه»

وعن حذيفة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن مع الدجال إذا خرج ماءً وناراً، فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد، وأما الذي يرى الناس أنه ماء فنار تحرق، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى أنه نار فإنه ماء عذب بارد» متفق عليهما. كما في جامع الأصول [ج١٠].

السابعة: قوله «**وفتنة المحيا والممات**» .

قال ابن بطال: «هذه كلمة جامعة لمعان كثيرة، وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الإفتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان ﷺ يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليسنّ لهم صفة المهم من الأدعية».

آخر تفسير سورة النحل والحمد لله.



١٩٩ـ بسم الله الرحمن الرحيم

سورة بني إسرائيل

ش: شاهد التسمية قوله تعالى: ﴿**وءاتينا موسى الكتاب وجعلنه هدىً لبني إسراءيل ألاّ تتخذوا من دوني وكيلاً**﴾ وتسمى الإسراء وشاهد التسمية واضح.

وأخرج أحمد، والترمذي وحسنه، والنسائي، والحاكم، وابن مردويه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزمر».

وأخرج المصنف عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهن من تلادي»

قال ابن عباس: «نزلت سورة بني إسرائيل بمكة» أخرجه النحاس وابن مردويه.

وعدد آياتها إحدى عشرة ومائة آية.

٢٢٧ـ حدثنا آدم حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد قال سمعت ابن مسعود ﷺ قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: «إنهن من العتاق الأول وهنّ من تلادي».

يأتي شرحه في تفسير سورة الأنبياء ضمن الباب الحادي والثلاثين بعد المائتين.

شرح جملة من الآثار والكلمات :

١ـ **[قال ابن عباس: ﴿فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يهزون]**.

ش: أخرجه ابن جرير من طريق علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

والآية المشار إليها: **﴿فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة فسينغضون إليك رؤوسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريبا﴾**.

٢ـ **[وقال غيره: نَغَضَتْ سِنُّك أي تَحَرَّكَت]**.

ش: قال أبو عبيدة: ويقال: قد نغضت سن فلان إذا تحركت وارتفعت من أصلها قال:

ونغضت من هرم أسنانها.اهـ

٣ـ **[﴿وقضينا إلى بني إسراءيل﴾ أخبرناهم أنهم سيفسدون]**.

ش: أخرج هذا المعنى ابن جرير موصولا عن ابن عباس ومجاهد.

والآية المشار إليها: **﴿وقضينا إلى بني إسراءيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيراً﴾**.

٤ـ **[والقضاء على وجوه: ﴿وقضى ربك﴾ أمر ربك]**.

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا عبد الله بن صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس يقول أمر. كما أخرجه عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين**

إحساناً﴾.

٥- [**ومنه الحكم ﴿إنّ ربك يقضي بينهم﴾**].

ش: قاله أبو عبيدة كما في الفتح.

والآية هي الثالثة والتسعون من سورة يونس والثامنة والسبعون من سورة النحل والسابعة عشرة من سورة الجاثية.

٦- [**ومنه الخلق ﴿فقضاهن سبع سموات﴾ خلقهن**].

ش: كذا قال الدامغاني في قاموس القرآن [مادة ق ض ي].

والآية المشار إليها هي الثانية عشرة من سورة فصلت وقد ذكرها المصنف ضمن الشواهد على أن القضاء وجوه متعددة.

٧- [**﴿نفيراً﴾ من ينفر معه**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه من الذين نفروا معه.

والآية المشار إليها: **﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾.**

٨- [**﴿وليُتبِّروا﴾ يُدمِّروا ﴿ما علوا﴾**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيراً﴾.**

٩- [**﴿حصيراً﴾ محبساً محصراً**].

ش: أخرجه ابن جرير عن قتادة .

والآية المشار إليها: **﴿عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً﴾.**

١٠- [**﴿حق﴾ وجب**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: عليها العذاب.

والآية المشار إليها: ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾.

١١- [﴿ميسوراً﴾ ليناً].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: هيناً وهو من اليسر.

والآية المشار إليها: ﴿وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً﴾.

١٢- [﴿خِطْئاً﴾ إثماً وهو اسمٌ من خَطِئْتُ والخطأ مفتوح مصدره من الإثم خطئت بمعنى أخطأت].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: كقول أوس بن غلفاء الهجيمي:

دعيني إنما خطئي وصوبي   عليّ وإنما أهلكت مالي

يريد إصابتي».اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إنَّ قتلهم كان خطئاً كبيراً﴾.

١٣- [﴿لن تخرق﴾ لن تقطع].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: «الأرض وقال رؤبة:

وقاتم الأعماق خاوي المخترق

أي المقطّع».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾.

١٤- [﴿وإذ هم نجوى﴾ مصدر من ناجيت، فوصفهم بها والمعنى يتناجون].

ش: قال أبو عبيدة: « وهي مصدر من ناجيت أو اسم منها فوصف القوم بها والعرب تفعل ذلك كقولهم: إنما هم عذاب وأنتم غم فجاءت في موضع

متناجين)). اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك وإذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً**﴾.

١٥- [﴿**رفاتاً**﴾ **حطاماً**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها هي التاسعة والأربعون والثامنة والتسعون.

١٦- [﴿**واستفزز**﴾ **استخف**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ((واستجهل)). اهـ.

١٧- [﴿**بخيلك**﴾ **الفرسان**].

ش: قال ابن جرير: يقول واجمع عليهم من ركبان جندك.

١٨- [((**والرجل**)) **الرجّالة واحدها راجل مثل صاحب وصحب وتاجر وتَجْر**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها بالثلاث الكلمات: ﴿**واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورَجِلِك وشاركهم في الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً**﴾.

١٩- [﴿**حاصباً**﴾ **الريح العاصف، والحاصب أيضاً ما ترمي به الريح ومنه حصب جهنم يُرمى به في جهنم وهو حصبها ويقال حصب في الأرض ذهب، والحصب مشتق من الحصباء والحجارة**].

ش: قال الأزهري في تهذيبه: ((قال الليث الحصب: الحطب الذي يلقى في تنور أو في وقوده،.. والحصب رميك بالحصباء والحصباء صغارها وكبارها...وقال الفراء: ذكر أن الحصب في لغة أهل اليمن الحطب)).

قلت: ويقال: ((حصبته أحصبه حصباً إذا رميته بالحصباء والحجر المرمي به

حصب كما يقال نفضت الشيء نفضاً...ويقال للريح التي تحمل التراب والحصى حاصب وللسحاب يرمي بالبرد والثلج حاصب لأنه يرمي بها رمياً».اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصباً**﴾.

٢٠- [**﴿تارة﴾ مَرّة وجماعته تِيَرة وتارات**].

ش: قال أبو عبيدة: «مرة أخرى والجميع تارات وتير».

والآية المشار إليها: ﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً**﴾.

٢١- [**﴿لأحتنكن﴾ لأستأصلنهم يقال: إحتنك فلان ما عند فلان من علم إستقصاه**].

ش: قال أبو عبيدة: «مجازه لأستميلنهم ولأستأصلنهم، يقال: أحتنك فلان ما عند فلان أجمع من مال أو علم أو حديث أو غيره أخذه كله واستقصاه،قال:

نشكو إليك سنة قد أجحفت جهداً إلى جهد بنا فأضعفت

واحتنكت أموالنا وجلفت.اهـ

والآية المشار إليها: ﴿**قال أرءيتك هذا الذي كرمت عليّ لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلاً**﴾.

٢٢- [**﴿طائره﴾ حظه**].

ش: قاله أبو عبيدة.وقال ابن جرير: مثل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها.ثم أخرج هذا المعنى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**﴾.

٢٣- [**وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو حجة**].

ش: وصله ابن عيينة في تفسيره عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن

عباس. حكاه في الفتح.

والكلمة جاءت في هذه السورة مرتين أولاهما في الآية الثالثة والثلاثين وثانيتهما في الآية الثمانين.

٢٤- [**﴿ولي من الذل﴾ لم يحالف أحداً**].

ش: أخرجه ابن جرير حدثنا محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وحدثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره وزاد «ولا يبتغي نصر أحد».

والآية المشار إليها: **﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾**.

٢٠٠- [باب قوله ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام﴾].

ش: تمامها: **﴿إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من ءايتنا إنه هو السميع البصير﴾**.

يعني تعالى ذكره بقوله تعالى **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾** تنزيها للذي أسرى بعبده وتبرءة له مما يقول فيه المشركون من أن له من خلقه شريكا وأن له صاحبة وولداً وعلواً له وتعظيماً عما أضافوه إليه، ونسبوه من جهالاتهم وخطأ أقوالهم.

ويعني بقوله **﴿ليلاً﴾** من الليل.

وأما قوله **﴿من المسجد الحرام﴾** فإنه إختلف فيه وفي معناه فقال بعضهم يعني من الحرم وقال: الحرم كله مسجد.

وقوله **﴿إلى المسجد الأقصى﴾** يعني مسجد بيت المقدس وقيل له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ويبتغى في زيارته الفضل بعد المسجد الحرام.

وقوله **﴿الذي باركنا حوله﴾** يقول تعالى ذكره: الذي جعلنا حوله البركة لساكنه في معايشهم وأقواتهم وحروثهم وغروسهم.

وقوله **﴿لنريه من ءايتنا﴾** يقول تعالى ذكره: كي نري عبدنا محمداً من آياتنا يقول:من عبرنا وأدلتنا وحججنا.

وقوله **﴿إنه هو السميع البصير﴾** يقول تعالى ذكره: إن الذي أسرى بعبده هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون من أهل مكة في مسرى محمد ﷺ من مكة إلى بيت المقدس، ولغير ذلك من قولهم وقول غيرهم، البصير بما يعملون من الأعمال، لا يخفى عليه شيء من ذلك ولا يعزب عنه علم شيء منه، بل هو محيط بجميعه علماً، ومحصيه عدداً وهو لهم بالمرصاد، ليجزي جميعهم بما هم أهله.اهـ من ابن جرير.

٢٢٨- حدثنا عبدان حدثنا عبد الله أخبرنا يونس.ح.وحدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنبسة حدثنا يونس عن ابن شهاب قال ابن المسيب قال أبو هريرة: أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن.قال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك.

٢٢٩- حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: لما كذّبني قريش قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه.

زاد يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخي ابن شهاب[1] عن عمه: لما كذبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس.نحوه.

ش: فيهما سبع مسائل:

الأولى: قوله «أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء» قلت:إيلياء بكسر أوله واللام وياء وألف ممدودة اسم مدينة ببيت المقدس قيل معناه بيت الله.

قلت: وبيت المقدس اليوم بدولة فلسطين من أرض الشام وتقع تحت اليهود نسأل الله لها الخلاص. وظاهر الحديث أن ما أتى به النبي ﷺ المفسر فيما بعد كان ببيت المقدس وفي حديث مالك بن صعصعة عند المصنف في الإسراء بعد مروره بالسموات السبع ووصوله سدرة المنتهى «ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل» نصٌ بأن إتيانه بهذه الأشربة كان في السماء ويجمع بين الروايتين بأن العرض كان مرتين إحداهما في بيت المقدس والأخرى في السماء وسبب ذلك ما ناله من العطش في هذه السفرة، ويؤيد هذا الجمع ما وقع عند

(١) محمد بن عبد الله بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني، صدوق له أوهام، من السابعة، مات سنة اثنتين وخمسين [ومائة] وقيل بعدها.(ع)

مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس عن ثابت عن أنس قال: «ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن».

الثانية: قوله «**بقدحين من خمر ولبن**» في حديث مالك المشار إليه زيادة العسل وعند ابن إسحاق من حديث أبي سعيد الخدري زيادة «وإناء فيه ماء» ويجمع بين هذا الاختلاف بأن الأشربة كانت أربعة وأن كل راوي ذكر ما لم يذكره غيره.

الثالثة: قوله «**الحمد لله الذي هداك للفطرة**» في حديث مالك «هي الفطرة التي أنت عليها» وهذا دليل على فرح الروح الأمين بما وفق إليه سيد المرسلين من إصابة الفطرة السليمة والملة القويمة.

قال القرطبي: «يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة لأنه أول شيء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه، والسر في ميل النبي ﷺ إليه دون غيره لكونه كان مألوفاً له، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة».

الرابعة: قوله «**لو أخذت الخمر غوت أمتك**» وعند البيهقي عن أنس قال: «ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك».

الخامسة: قوله «**لما كذبني**» في بعض الألفاظ «كذبتني» بزيادة مثناة وكلاهما جائز وقد وقع بيان ذلك في طرق أخرى فروى البيهقي في «الدلائل» من طريق صالح بن كيسان عن الزهري عن أبي سلمة قال «افتتن ناس كثير ـ يعني عقب الإسراء ـ فجاء ناس إلى أبي بكر فذكروا له فقال: أشهد أنه صادق، فقالوا: وتصدقه بأنه أتى الشام في ليلة واحدة ثم رجع إلى مكة؟ قال نعم، إني أصدقه بأبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء قال فسمي بذلك الصديق» قال سمعت جابراً يقول فذكر الحديث، وفي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار

بإسناد حسن قال: «قال رسول ا لله ﷺ: لما كان ليلة أسري بي وأصبحت بمكة مر بي عدو ا لله أبو جهل فقال: هل كان من شيء؟ قال رسول ا لله ﷺ: إني أسري بي الليلة إلى بيت المقدس، قال: ثم أصبحت بين أظهرنا؟ قال: نعم، قال فإن دعوت قومك أتحدثهم بذلك؟ قال: نعم قال: يا معشر بني كعب بن لؤي.قال فانفضت إليه المجالس حتى جاءوا إليهما فقال: حدث قومك بما حدثتني فحدثتهم، قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجباً، قالوا: وتستطيع أن تنعت لنا المسجد» الحديث.

السادسة: قوله «**فجلّى ا لله لي بيت المقدس**» قيل معناه كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته، وعن أم سلمة عند مسلم «قال فسألوني عن أشياء لم أثبتها، فكربت كربا لم أكرب مثله قط، فرفع ا لله لي بيت المقدس أنظر إليه، ما يسألوني عن شيء إلا نبأتهم به»».

السابعة: قوله «**فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**» يعني شرعت في ذكر أوصاف بيت المقدس.

قلت: وهذا من تأييد ا لله نبيه وإظهار صدقه.

فائدة:

قال سماحة الوالد الشيخ عبدالعزيز بن عبدا لله بن باز مفتي المملكة العربية السعودية بارك ا لله في عمره وعلمه وأمتع به وأعظم له الأجر والمثوبة:

«فلا ريب أن الإسراء والمعراج من آيات ا لله العظيمة الدالة على صدق رسوله محمد ﷺ وعلى عظم منزلته عند ا لله عزوجل ، كما أنها من الدلائل على قدرة ا لله الباهرة، وعلى علوه سبحانه على جميع خلقه، قال ا لله تعالى **﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير﴾** وتواتر عن رسول ا لله ﷺ أنه عرج به إلى السماوات وفتحت له أبوابها حتى جاوز السماء السابعة فكلمه

ربه سبحانه بما أراد وفرض عليه الصلوات الخمس، وكان الله سبحانه فرضها أولاً خمسين صلاة فلم يزل نبينا محمد ﷺ يراجعه ويسأله التخفيف حتى جعلها خمساً فهي خمس في الفرض وخمسون في الأجر، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فلله الحمد والشكر على جميع نعمه.

وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي ﷺ عند أهل العلم بالحديث و لله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصوها بشيء من العبادات فلم يجز لهم أن يحتفلوا بها؛ لأن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم لم يحتفلوا بها و لم يخصوها بشيء ، ولو كان الاحتفال بها أمراً مشروعاً لبينه الرسول ﷺ للأمة إما بالقول أو الفعل، ولو وقع شيء من ذلك لعرف واشتهر ولنقله الصحابة رضي الله عنهم إلينا فقد نقلوا عن نبيهم ﷺ كل شيء تحتاجه الأمة و لم يفرطوا في شيء من الدين ؛ بل هم السابقون إلى كل خير فلو كان الاحتفال بهذه الليلة مشروعاً لكانوا أسبق الناس إليه، والنبي ﷺ هو أنصح الناس للناس وقد بلغ الرسالة غاية البلاغ ، وأدى الأمانة، فلو كان تعظيم هذه الليلة والاحتفال بها من دين الإسلام لم يغفله النبي ﷺ و لم يكتمه، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أن الاحتفال بها وتعظيمها ليس من الإسلام في شيء ، وقد أكمل الله لهذه الأمة دينها وأتم عليها النعمة وأنكر على من شرع في الدين ما لم يأذن به الله ، قال سبحانه وتعالى في كتابه المبين من سورة المائدة: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾ وقال عزوجل في سورة الشورى ﴿**أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم**﴾ وثبت عن رسول الله ﷺ في الأحاديث الصحيحة التحذير من البدع والتصريح بأنها ضلالة تنبيهاً للأمة على عظم خطرها وتنفيراً لهم من اقترافها، ومن ذلك ما ثبت في

الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ أنه قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وفي رواية لمسلم: (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد) وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته يوم الجمعة (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة) وفي السنن عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أنه قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا يارسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا، فقال: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بهاوعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) والأحاديث في هذا المعنى كثيرة». انتهى محل الغرض من (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء) (٣/٤٥) .

قال مقيده: عرفت فالزم وسمعت فافهم ولا يستهوينك ما عليه أكثر الناس فإنه من زخرف القول واعلم بأن الأصل في العبادات الحظر إلا بنص .

- [**﴿قاصفا﴾ ريح تقصف كل شيء**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: أي تحطم يقال: بعث الله عليهم ريحاً عاصفاً قاصفاً لم تبق لهم ثاغية ولا راغية

وتقدم الإشارة إلى الآية ضمن الأثر الحادي والعشرين في الباب قبله.

٢٠١- [باب ﴿ولقد كرمنا بني ءادم﴾].

ش: تمامها ﴿وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾.

«يخبر تعالى عن تشريفه لبني آدم وتكريمه إياهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات، وأكملها، كما قال: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ أي يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه، وغيره من الحيوانات يمشي على أربع، ويأكل بفمه، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً، يفقه بذلك كله وينتفع به، ويفرق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية.

﴿وحملناهم في البر﴾ أي على الدواب من الأنعام والخيل والبغال «وفي البحر» أيضاً على السفن الكبار والصغار.

﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ أي من زروع وثمار، ولحوم وألبان، من سائر أنواع الطعوم والألوان، المشتهاة اللذيذة، والمناظر الحسنة، والملابس الرفيعة من سائر الأنواع، على أصنافها وألوانها وأشكالها مما يصنعونه لأنفسهم، ويجلبه إليهم غيرهم من أقطار الأقاليم والنواحي.

﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً﴾ أي من سائر الحيوانات وأصناف المخلوقات».اهـ من ابن كثير.

شرح جملة من الكلمات والآثار:

١- [﴿كرّمنا﴾: وأكرمنا واحد].

ش: قال أبو عبيدة: أي أكرمنا إلا أنها أشد مبالغة في الكرامة

٢- [﴿ضعف الحياة﴾ عذاب الحياة ﴿وضعف الممات﴾ عذاب الممات].

ش: قال أبو عبيدة: مختصر كقولك ضعف عذاب الحياة وعذاب الممات فهما عذابان، عذاب الممات به ضوعف عذاب الحياة.

والآية المشار إليها: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد

لك علينا نصيراً﴾.

٣- [**﴿خلافك﴾ وخلفك سواء**].

ش: قال أبو عبيدة: أي بعدك قال:

عفت الديار خلافها فكأنما بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهن ويقرؤه آخرون خلفك والمعنى واحد».اهـ

قلت: وكلتا القراءتين سبعية صحيحة حكاهما مكي.

٤- [**﴿ونأى﴾ تباعد**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾.**

٥- [**﴿شاكلته﴾ ناحيته وهي من شكلته**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وخليقته ومنها قولهم هذا من شكل هذا وبه قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وهو أحد قولين حكاهما ابن جرير في الآية

وثانيهما بمعنى الدين وهو قول ابن زيد، والأول هو ما اختاره ابن جرير في تفسير الآية.

والآية المشار إليها: **﴿قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً﴾.**

٦- [**﴿صرّفنا﴾ وجّهنا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وبينّا.

وهذه الكلمة وقعت في الآية الحادية والأربعين والتاسعة والثمانين من السورة.

٧- [**﴿قبيلاً﴾ معاينة ومقابلة، وقيل القابلة لأنها مقابلتها وتقبل ولدها**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه مقابلة أي معاينة قال:

نصالحكم حتى تبوؤوا بمثلها كصرخة حبلى بشرتها قبيلها

أي قابلتها.اهـ.

والآية المشار إليها: ﴿**أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي با لله والملائكة قبيلاً**﴾.

٨- [﴿**خشية الإنفاق**﴾ **أنفَق الرجل أملَق، ونفِق الشيءُ ذهبَ**].

ش: قال أبو عبيدة: من ذهاب ما في أيديكم يقال أملق فلان أي ذهب ماله واحتاج وأفقر مثلها.

والآية المشار إليها: ﴿**قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذاً لأمسكتم خشية الإنفاق**﴾.

٩- [﴿**قتوراً**﴾ **مُقَتِّراً**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿**وكان الإنسان قتوراً**﴾.

١٠- [﴿**للأذقان**﴾ **مجتمع اللحيين والواحد ذقن**].

ش: قاله أبو عبيدة.

وقد ذكرت الكلمة في السورة مرتين في الآية السابعة والتاسعة بعد المائة.

١١- [**وقال مجاهد** ﴿**موفوراً**﴾ **وافر**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فذكره.

والآية المشار إليها: ﴿**قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً**﴾.

١٢- [﴿**تبيعاً**﴾ **ثائراً**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن مجاهد.

والآية المشار إليها: ﴿**أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة أخرى فيرسل عليكم**

قاصفاً من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾.

١٣- **[وقال ابن عباس نصيراً]**.

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

١٤- **[﴿خبت﴾ طَفِئت]**.

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن عباس والضحاك ﴿**خبت**﴾ سكنت وبه قال أبو عبيدة.

والآية المشار إليها: ﴿**ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً**﴾.

١٥- **[وقال ابن عباس ﴿لا تبذر﴾ لا تنفق في الباطل]**.

ش: أخرجه ابن جرير ثنا القاسم ثنا الحسين ثني حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس فذكره وزاد المبذر هو المسرف في غير حق.

وأخرج نحوه عن ابن مسعود ومجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**وءات ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً**﴾.

١٦- **[﴿ابتغاء رحمة﴾ رزق]**.

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس.وأخرج نحوه عن إبراهيم النخعي وعكرمة ومجاهد وعبيدة السلماني وسعيد بن المسيب وغيرهم.

والآية المشار إليها:﴿**وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولاً ميسوراً**﴾.

١٧- **[﴿مثبوراً﴾ ملعوناً]**.

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي ثنا عبد الله ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره وهو أحد أقوال خمسة في الآية.

وثانيها: أي مغلوباً وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية والضحاك.

وثالثها: أي هالكاً وبه قال مجاهد وقتادة.

ورابعها: بمعنى مبدلاً مغيراً وبه قال عطية.

وخامسها: مخبولاً لا عقل له وبه قال ابن زيد.

حكاها ابن جرير ويظهر من صنيعه في شرح الآية أنه اختار قول ابن عباس.

والآية المشار إليها: **﴿قال لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً﴾.**

١٨- [**﴿لا تقْفُ﴾ لا تقل**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني علي بن داود ثنا أبو صالح ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وهو أحد أقوال ثلاثة في الآية.

وثانيها: بمعنى لا ترم وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية ومجاهد.

وثالثها: بمعنى لا تتبع ما لا تعلم.وبه قال بعض أهل العربية من أهل الكوفة.

أخرجها ابن جرير واختار أولها.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.**

١٩- [**﴿فجاسوا﴾ تيمموا**].

ش: قال ابن جرير في الآية وقوله **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** يقول فترددوا بين الدور والمساكن وذهبوا وجاؤوا ثم أخرج عن ابن عباس **﴿فجاسوا خلال الديار﴾** قال مشوا.

وقال ابن كثير: « أي تملكوا بلادكم وسلكوا خلال بيوتكم أي بينها ووسطها».اهـ وظاهر الآية يرشد إلى هذين المعنيين وا لله أعلم.

والآية المشار إليها: ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعداً مفعولاً﴾.

٢٠- [﴿يزجي الفلك﴾ يجري الفلك].

ش: أخرجه ابن جرير حدثني علي بن داود ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وأخرجه أيضاً عن ابن زيد وأخرج عن قتادة قال يسيّرها في البحر.

والآية المشار إليها: ﴿ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنّه كان بكم رحيماً﴾.

٢١- [﴿يخرون للأذقان﴾ للوجوه].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وبه قال قتادة وهو أحد قولين للمفسرين في الآية

وثانيهما: أنه عنى بذلك اللحى وبه قال الحسن.

أخرجهما ابن جرير واختار ثانيهما.

والآية المشار إليها: ﴿قل ءامنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً﴾.

٢٠٢ـ [**باب قوله ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾**].

ش: تمامها **﴿ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً﴾**.

اختلفت القراء في قراءة قوله **﴿أمرنا مترفيها﴾** فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز والعراق **﴿أمرنا﴾** بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها...وقرأ ذلك أبو عثمان النهدي **﴿أمّرنا﴾** بتشديد الميم من الإمارة...وذكر عن الحسن البصري أنه قرأ **﴿آمرنا﴾** بمد الألف من أمرنا بمعنى أكثرنا فسقتها...وأولى القراءات في ذلك قراءة من قرأ **﴿أمرنا مترفيها﴾** بقصر الألف من أمرنا وتخفيف الميم منها لإجماع الحجة من القراء على تصويبها دون غيرها.وإذا كان ذلك هو الأولى بالصواب بالقراءة فأولى التأويلات به تأويل من تأوله: أمرنا أهلها بالطاعة فعصوا وفسقوا فيها فحق عليها القول لأنّ الأغلب من معنى أمرنا الأمر الذي هو خلاف النهي دون غيره.

قلت: والذي رجحه ابن القيم وهو عندي سديد، أن الأمر في الآية أمر تقديري كوني لا أمر ديني شرعي، فإن الله لا يأمر بالفحشاء.والمعنى قضينا ذلك وقدرناه.

وقالت طائفة: بل هو أمر ديني، والمعنى: أمرناهم بالطاعة فخالفونا وفسقوا والقول الأول أرجح لوجوه:

أحدها: أن الإضمار على خلاف الأصل فلا يصار إليه إلا إذا لم يمكن تصحيح الكلام بدونه.

الثاني: أن ذلك يستلزم إضمارين:

أحدهما: أمرنا بطاعتنا.

الثاني: فخالفونا أو عصونا، ونحو ذلك.

الثالث: أن ما بعد الفاء في مثل هذا التركيب هو المأمور به نفسه كقولك أمرته ففعل وأمرته فقام وأمرته فركب لا يفهم المخاطب غير هذا.

الرابع: أنه سبحانه جعل سبب هلاك هذه القرية أمره المذكور. ومن المعلوم أن أمره بالطاعة والتوحيد لا يصلح أن يكون سبب الهلاك بل هو سبب للنجاة والفوز فإن قيل: أمره بالطاعة مع الفسق هو سبب الهلاك.

قيل: هذا يبطل بالوجه:

الخامس: وهو أن هذا الأمر لا يختص بالمترفين بل هو سبحانه يأمر بطاعته واتباع رسله المترفين وغيرهم فلا يصح تخصيص الأمر بالطاعة بالمترفين يوضحه.

الوجه السادس: أن الأمر لو كان بالطاعة لكان هو نفس إرسال رسله إليهم ومعلوم أنه لا يحسن أن يقال: أرسلنا رسلنا إلى مترفيها ففسقوا فيها، فإن الإرسال لو كان إلى المترفين لقال من عداهم نحن لم يرسل إلينا.

الوجه السابع: أن إرادة الله سبحانه لإهلاك القرية إنما يكون بعد إرسال الرسل إليهم وتكذيبهم، وإلا فقبل ذلك هو لا يريد إهلاكهم لأنهم معذورون بغفلتهم وعدم بلوغ الرسالة إليهم، قال تعالى ﴿**ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون**﴾ . فإذا أرسل الرسل فكذبوهم أراد إهلاكها فأمر رؤساءها ومترفيها أمراً كونياً قدرياً لا شرعياً دينياً بالفسق في القرية، فاجتمع أهلها على تكذيبهم وفسق رؤسائهم فحينئذ جاءها أمر الله وحق عليها قوله بالإهلاك. اهـ من بدائع التفسير.

ومعنى قوله ﴿**ففسقوا فيها**﴾ فخالفوا أمر الله فيها وخرجوا عن طاعته ﴿**فحق عليها القول**﴾ يقول فوجب عليهم بمعصيتهم الله وفسوقهم فيها وعيد الله الذي أوعد من كفر به، وخالف رسله من الهلاك بعد الإعذار والإنذار بالرسل والحجج.

﴿**فدمرناها تدميراً**﴾ يقول فخربنا عند ذلك تخريباً وأهلكنا من كان فيها من أهلها إهلاكاً كما قال الفرزدق:

وكان لهم كبكر ثمود لَما ـــ رغا ظهراً فدمرهم دماراً»

انتهى من كلام ابن جرير بتصرف.

٢٣٠ـ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان أخبرنا منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال: «كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أَمِر أمْرُ بنو فلان».

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان وقال: أمَرَ.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**إمر بنو فلان**» بكسر الهمزة وكسر الميم.

قال في المصباح: «وأمر الشيء يأمر من باب تعب كثر».

قلت: ومنه قول أبي سفيان في قصة هرقل المشهورة «لقد أمر أمر ابن أبي كبشة» يعني به النبي ﷺ أي شاع أمره وانتشر وعظم.

الثانية: قوله «**أَمَر**» بفتح الهمزة والميم هي قراءة ابن عباس وابن جبير وعامة قراء الحجاز والعراق. حكاها ابن جرير.

قلت: وقرأ يعقوب بمد الهمزة . حكاه ابن الجزري في النشر .

٢٠٣- [باب ﴿ذرية من حملنا مع نوح إنّه كان عبداً شكوراً﴾].

ش: في الكلام محذوف تقديره يا ذرية من حملنا مع نوح، فيه تهييج وتنبيه على المنّة أي يا سلالة من نجينا فحملنا مع نوح في السفينة تشبهوا بأبيكم ﴿**إنه كان عبداً شكوراً**﴾.فاذكروا أنتم نعمتي عليكم بإرسالي إليكم محمد ﷺ.اهـ من ابن كثير.

٢٣١- حدثنا محمد بن مقاتل أخبرنا عبد الله أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة ﷺ قال:« أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرُفع إليه الذّراع - وكانت تعجبه - فنهس منها نهسة ثم قال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون ممَّ ذلك؟ يجمع الله الناس - الأولين والآخرين - في صعيد واحد، يُسمعهم الداعي، ويَنفذهم البصر، وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون.فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم: إنّ ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري،اذهبوا إلى نوح.فيأتون نوحاً فيقولون:.يا نوح، إنّك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سمّاك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي ﷻ قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله.وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم.فيأتون إبراهيم فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد

غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات ـ فذكرهن أبو حيان في الحديث ـ نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.فيأتون موسى فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى.فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد صبياً، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله ـ ولم يذكر ذنباً ـ نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.فيأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأَنطلقُ، فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي ﷻ، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي.ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع.فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب، فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب.ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحِمْير، أو كما بين مكة وبُصرَى.)).

ش: فيه ست عشرة مسألة:

الأولى: قوله ((**أُتي رسول الله ﷺ بلحم**)) في رواية محمد بن عبيد في الأنبياء باب قوله تعالى ﴿**ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه**﴾ ((كنا مع النبي ﷺ في

دعوة».

الثانية: قوله «**فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه**» فيه دليل على التخيير في الأطعمة وتفضيل بعضها على بعض واستحسان ذلك من قبل الشخص نفسه.

الثالثة: قوله «**فنهس منها نهسة**» بنون ومهملة أي أخذ منها بأطراف أسنانه.

الرابعة: قوله «**أنا سيد الناس يوم القيامة**» في رواية محمد بن عبيد المشار إليها «أنا سيد القوم يوم القيامة».

الخامسة: قوله «**وهل تدرونممّ ذاك**» في الأنبياء «هل تدرون بم» والمعنى هل تعلمون ما سبب ذلك.

السادسة: قوله «**يجمع الناس الأولين والآخرين**» في حديث أنس في الرقائق، باب صفة الجنة والنار (يجمع الله الناس يوم القيامة). قال الحافظ: ووقع في رواية معبد بن هلال «إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض».

السابعة: قوله «**في صعيد واحد**» قلت يعنى في مكان واحد وذلك المكان أرض المحشر.

الثامنة: قوله «**يسمعهم الداعي وينفذهم البصر**» في الأنبياء «فيبصرهم الناظر ويسمعهم الداعي».

قلت: وهذا دليل على إلتفاف بعضهم حول بعض من شدة الهول والكرب والمعنى أنه يحيط بهم لا يخفى عليه منهم شيء لاستواء الأرض وعدم الحجاب.

التاسعة: قوله «**وتدنو منهم الشمس ـ إلى قوله ـ ولا يحتملون**» زاد في رواية إسحاق بن راهويه عن جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة «وتدنو الشمس من رؤوسهم فيشتد عليهم حرها ويشق عليهم دنوها فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه».

وقد أخرج مسلم من حديث المقداد «أن الشمس تدنو حتى تصير من

الناس قدر ميل» وفي حديث سلمان «تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم تدنو من جماجم الناس فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامة، ثم يرتفع الرجل حتى يقول عق عق» وفي رواية النظر بن أنس «لغمّ ما هم فيه والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت» انتهى من الفتح بتصرف (٤٣٢/١١).

العاشرة: قوله «**ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم**» في حديث أبي سعيد الخدري المتقدم في تفسير سورة البقرة «لو استشفعنا إلى ربنا».

الحادية عشرة: قوله «**فيأتون آدم**» في رواية شيبان «فينطلقون حتى يأتوا آدم» وعند مسلم في الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة «يا آدم أنت أبو البشر» وفي رواية همام وشيبان «أنت أبو البشر» وفي حديث حذيفة «فيقولون يا أبانا».

الثانية عشرة: قوله «**فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله**» قلت هذا بعض عذر أبي البشر ﷺ وفيه إثبات صفة الغضب لله سبحانه وتعالى ومعناه معروف ولا تعلم كيفيته ومن آثار ذلك الغضب ما يصيب الناس من الكرب يوم القيامة.

الثالثة عشرة: قوله «**وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي**» **قلت:** وتلك الدعوة هي قوله ﴿**رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾ وهذا من بيان السنة بالقرآن.

الرابعة عشرة: قوله «**وكلمت الناس في المهد**» بيانه في قوله تعالى ﴿**فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبياً وجعلني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حياً**﴾.

الخامسة عشرة: قوله «**أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب**

الأيمن ـ إلى قوله ـ فيما سوى ذلك من الأبواب» فيه دليل على فضل أمة محمد ﷺ وكثرة من يدخل منهم الجنة.

السادسة عشرة: قوله «**أو كما بين مكة وبصرى**» كذا بالشك فيما وقفت عليه من طرق الحديث فلعل أو بمعنى "بل".

تنبيه:

ما لم نتكلم عليه من هذا الحديث فقد مضى في شرح الحديث الثالث في تفسير سورة البقرة.

٢٠٤- [باب ﴿وءاتينا داود زبوراً﴾].

ش: قلت: الآية **﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وءاتينا داود زبوراً﴾.**

قوله **﴿وربك أعلم بمن في السموات والأرض﴾** أي بمراتبهم في الطاعة والمعصية **﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾** كما قال **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات﴾**...ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم وهم الخمسة المذكورون نصاً في آيتين من القرآن في سورة الأحزاب **﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم﴾** وفي الشورى **﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** ولا خلاف أن محمد ﷺ أفضلهم ثم بعده إبراهيم ثم موسى على المشهور.

وقوله **﴿وءاتينا داود زبوراً﴾** تنبيه على فضله وشرفه.اهـ من ابن كثير.

٢٣٢- حدثني إسحاق بن نصر حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «خفف على داود القراءة فكان يأمر بدابته لتسرج فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعني القرآن -»

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**خفف على داود القراءة**» بالبناء للمفعول والمُخَفِف هو الله سبحانه وتعالى.

الثانية: قوله «**فكان يقرأ قبل أن يفرغ**» يعني المسرج الذي يضع السرج على الدابة كما صرح به في الأنبياء باب قوله تعالى **﴿ولقد ءاتينا داود زبورا﴾** وهذه الخفة في القراءة خصيصة لداود عليه الصلاة والسلام تفضل الله بها عليه في هذا الزمن اليسير.

الثالثة: قوله «**القرآن**» المراد به القراءة كما في بعض روايات الصحيح والمراد بالقرآن مصدر القراءة لا القرآن المعهود لهذه الأمة.

٢٠٥- [باب ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل يا محمد لمشركي قومك الذين يعبدون من دون الله من خلقه، أدعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم أرباب وآلهة من دونه عند ضر ينزل بكم فانظروا هل يقدرون على دفع ذلك عنكم أو تحويله عنكم إلى غيركم، فتدعوهم آلهة، فإنهم لا يقدرون على ذلك ولا يملكونه، وإنما يملكه ويقدر عليه خالقكم وخالقهم.اهـ من ابن جرير.

٢٣٣- حدثني عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان حدثني سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﴿إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: « كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن، فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم ».

زاد الأشجعي عن سفيان عن الأعمش ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾.

ش: فيه مسألتان:

الأولى: قوله «**كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن**» **قلت:** وعند النسائي في تفسير الآية «كان نفر من الإنس يعبدون الجن».

الثانية: قوله «**فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم**» عند النسائي «فأسلم الجن وثبت الإنس على عبادتهم، فأنزل الله ﷻ ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾» وعند ابن جرير من طريق عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن مسعود نحو حديث الباب وفيه «والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم» وأخرج أيضاً: ثني الحسين بن علي الصدائي، ثنا يحيى بن السكن: أخبرنا أبو العوام، أخبرنا قتادة عن عبد الله بن معبد الزماني عن عبد الله بن مسعود قال: «كان قبائل من العرب يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن، ويقولون هم بنات الله فأنزل الله ﷻ ﴿**أولئك الذين يدعون**﴾ معشر العرب ﴿**يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾».لكن قال الحافظ فيه: إن ثبت فهو محمول على

أنها نزلت في الفريقين.

من فقه الحديث.

أولاً: تسمية الجن بأناس كالبشر.

ثانيا: فيه دليل على أن الجن عقلاء مكلفون وأن رسالة محمد ﷺ قد شملتهم كما شملت الإنس.

ثالثاً: لا تثريب على من عُبد من دون الله وهو غير راض بذلك.

رابعاً: فيه دليل على أن مطيع الجن موعود بالثواب.

٢٠٦- [باب ﴿**أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة**﴾].

ش: تمامها ﴿**أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾.

يقول تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم من دوني هم عبادي يتقربون إلي بطاعتي، ويرجون رحمتي، ويخافون عذابي، فلماذا تدعونهم من دوني؟ فأثنى عليهم بأفضل أحوالهم ومقاماتهم من الحب والخوف والرجاء، فجمع بين المقامات الثلاثة، فإن ابتغاء الوسيلة إليه هو التقرب إليه بحبه وفعل ما يحبه، ثم يقول ﴿**ويرجون رحمته ويخافون عذابه**﴾ فذكر الحب والخوف والرجاء.والمعنى: إن الذين تدعونهم من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين يتقربون إلى ربهم ويخافونه ويرجونه، فهم عبيده كما أنكم عبيده فلماذا تعبدونهم من دونه وأنتم وهم عبيد له ».انتهى من بدائع التفسير.

وقوله ﴿**إن عذاب ربك كان محذوراً**﴾ تعليل لقوله يخافون عذابه أي إن عذابه سبحانه حقيق بأن يحذره العباد من الملائكة والأنبياء وغيرهم.اهـ من الشوكاني.

٢٣٤- حدثنا بشر بن خالد: أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله ﷺ في هذه الآية ﴿الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾ قال: كان ناس من الجن يعبدون، فأسلموا.

مضى في الباب قبله.

٢٠٧ـ [باب ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾].

ش: قلت الآية: **﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرءيا التي أرينك إلا فتنة للنّاس والشّجرة الملعونة في القرءان ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طُغْيَناً كبيراً﴾**.

قوله **﴿وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس﴾** يقول جل ثناؤه: واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالنّاس قدرة فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ونحن مانعوك منهم فلا تتهيب منهم أحداً، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا.

وقوله **﴿وما جعلنا الرءيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾** اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم: هو رؤيا عين وهي ما رأى النبي ﷺ لما أسري به من مكة إلى بيت المقدس، وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وأبو مالك ومسروق وإبراهيم وقتادة وابن جريج وابن زيد والضحاك ومجاهد.

وقال آخرون: هي رؤياه التي رأى أنه يدخل مكة وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية عنه.

وقال آخرون: إنما كان رسول الله ﷺ رأى في منامه قوماً يعلون منبره وبه قال سهل بن سعد.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى به رؤيا رسول الله ﷺ ما رأى من الآيات والعبر في طريقه إلى بيت المقدس.

وأما قوله **﴿والشجرة الملعونة في القرءان﴾** فإن أهل التأويل اختلفوا فيها.

فقال بعضهم: هي شجرة الزقوم وبه قال ابن عباس ومسروق والحسن وأبو مالك وابن المبارك وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعي ومجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد.

وقال آخرون: هي الكشوث[1] وبه قال ابن عباس في الرواية الثانية.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بها شجرة الزقوم.اهـ من ابن جرير بتصرف.

وقوله ﴿**ونخوفهم**﴾ أي الكفار بالوعيد والعذاب والنّكال ﴿**فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً**﴾ أي تماديا فيما هم فيه من الكفر والضلال وذلك من خذلان الله لهم.اهـ من ابن كثير.

٢٣٥ـ حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس﴾ قال: هي رؤيا عين، أرِيَها رسول الله ﷺ ليلة أسري به.﴿والشجرة الملعونة في القرءان﴾ : شجرة الزقوم.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**هي رؤيا عين**» لم يصرح بالمرئي ههنا ومن بيانه فيما أخرجه المصنف من حديث أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة في الإسراء كتاب مناقب الأنصار باب المعراج «أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال: بينما أنا في الحطيم ـ وربما قال في الحجر ـ مضطجعاً إذ أتاني آت فقد قال وسمعته يقول: فشق ما بين هذه إلى هذه.فقلت للجارود وهو إلى جنبي: ما يعني به؟ قال: من ثغرة نحره إلى شعرته، وسمعته يقول: من قصّه إلى شعرته، فاستخرج قلبي ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانا فغسل قلبي ثم حشي ثم أعيد ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض».الخ الحديث.وفيه ذكر عروجه إلى السموات ومروره بمن فيها من الأنبياء ومجاوزته سدرة المنتهى وفرض الصلاة عليه.

---

(١) الكشوث والأكشوث والكشوثي كل ذلك نبات مجتث مقطوع الأصل ، وقيل: لا أصل له ، وهو اصفر يتعلق بأطراف الشوك وغيره ويجعل في النبيذ سوادية يقولون كشوثاء .(اللسان . مادة: كشث) .

الثانية: قوله «**أُرِيها رسول الله ﷺ ليلة أسري به**» زاد سعيد بن منصور عن سفيان في آخر الحديث «وليست رؤية منام».وأخرج ابن جرير ثني محمد بن سعد ثني أبي ثني عمي ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله: ﴿**وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس**﴾ قال: «يقال أن رسول الله ﷺ أري أنه دخل مكة هو وأصحابه...الخ».

قلت: هذا قول آخر في الرؤية التي أريها النبي ﷺ ولكن لا تقوم به حجة لأنه مسلسل عن العوفيين.

الثالثة: قوله «**شجرة الزقوم**» هذا هو قول أكثر المفسرين كما قدمنا حكايته أول الباب واختيار ابن جرير له.

٢٠٨- [باب ﴿إنّ قرءان الفجر كان مشهوداً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً**﴾.

يقول تعالى لرسوله ﷺ آمراً له بإقامة الصلوات المكتوبات في أوقاتها ﴿**أقم الصلاة لدلوك الشمس**﴾ قيل لغروبها.قاله ابن مسعود ومجاهد وابن زيد وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن ابن عباس: «دلوكها» زوالها...

وقد ثبتت السنة عن رسول ا لله ﷺ تواتراً من أفعاله وأقواله، بتفاصيل هذه الأوقات على ما عليه عمل أهل الإسلام اليوم، مما تلقوه خلفاً عن سلف وقرناً بعد قرن.

قوله ﴿**إن قرءان الفجر كان مشهوداً**﴾ قال الأعمش: عن إبراهيم عن ابن مسعود في هذه الآية قال: تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار.

[قال مجاهد: صلاة الفجر].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثنا ابن حميد ثنا جرير عن منصور عن مجاهد بلفظ في قوله ﴿**وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً**﴾ قال: صلاة الفجر تجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار.

قلت: وهو قول ابن مسعود وابن عباس وعلي بن أبي طالب وأبي بن كعب وأبي هريرة وقتادة وأبي عبيدة وإبراهيم النخعي والضحاك وابن زيد.

٢٣٦- حدثني عبد ا لله بن محمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة وابن المسيب عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح» يقول أبو هريرة: إقرؤوا إن شئتم ﴿وقرءان الفجر إن قرءان الفجر كان مشهوداً﴾.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**خمس وعشرون درجة**» في باب فضل صلاة الفجر في الجماعة من كتاب الجماعة والإمامة برواية شعيب «تفضل صلاة الجميع صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءً» وفيه من رواية أبي صالح «صلاة الرجل في الجماعة تضعف على صلاته في بيته وفي سوقه، خمسة وعشرين ضعفاً وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد، لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة وحط عنه بها خطيئة» الحديث.

فقوله «**وذلك**...**الخ**» بيان سبب التفضيل كما ترى؛ ومن فضل صلاة الجماعة ما جاء عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة».

ويجمع بينهما بأن الدرجة أقل من الجزء فتكون الخمس وعشرون جزءً سبعاً وعشرين درجة.

وقيل: بل هي تختلف باختلاف الجماعات وأوصاف الصلاة، فما كثرت فضيلته عظم أجره، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الصلوات فما عظم فضله منها عظم أجره، وما نقص عن غيره نقص أجره، ثم قيل بعد ذلك: الزيادة للصبح والعصر.وقيل: للصبح والعشاء، وقيل: يحتمل أن يختلف باختلاف الأماكن كالمسجد مع غيره » انتهى من إحكام الأحكام.

الثانية: قوله «**وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الصبح**» فيه تفضيل صلاة الصبح وهذا يقتضي الأمر بها وزيادة الحث عليها ومما جاء في ذلك ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر» الحديث.

الثالثة: قوله «**إقرؤوا إن شئتم**...**الخ**» هذا من مقول أبي هريرة ﷺ استفاده مما قبله وهو تفسير منه بأنّ المراد بقرآن الفجر صلاة الصبح وقد قدمنا من قال به غيره في الكلام على قول مجاهد.

٢٠٩- [باب ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾].

ش: قلت: الآية ﴿**ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ومن الليل فاسهر بعد نومة يا محمد بالقرآن، نافلة لك خالصة دون أمتك، والتهجد: التيقظ والسهر بعد نومة من الليل، وأما الهجود نفسه، فالنوم. كما قال الشاعر:

ألا طرقتنا والرفاق هجود فباتت بعلاّت النّوال تجود

وقوله ﴿**عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ وعسى من ا لله واجبة. وإنما وجه قول أهل العلم: عسى من ا لله واجبة، لعلم المؤمنين أن ا لله لا يدع أن يفعل بعباده ما أطمعهم فيه من الجزاء على أعمالهم والعوض على طاعتهم إياه وليس من صفته الغرور.

ثم اختلف أهل التأويل في معنى ذلك المقام المحمود على قولين.

أولهما: أنّه ذلك المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه. وبه قال حذيفة وابن عباس، والحسن ومجاهد وسلمان الفارسي وقتادة.

وثانيهما: هو أن يقاعده معه على عرشه وبه قال مجاهد في الرواية الثانية عنه. أخرج هذين القولين ابن جرير واختار أولهما ويشهد له حديث ابن عمر الآتي.

٢٣٧- حدثني إسماعيل بن أبان[(١)] حدثنا أبو الأحوص[(٢)]، عن آدم بن

(١) هو أبو إسحاق إسماعيل بن أبان الوراق الأزدي، كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع مات سنة ست عشرة [ومائتين] من التاسعة. خ. صد. ت.

(٢) هو سلام بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي، ثقة متقن صاحب حديث، من السابعة مات سنة تسع وسبعين [ومائة]. ع.

علي[1] قال سمعت ابن عمر رضي ا لله عنهما يقول: « إنّ النّاس يصيرون يوم القيامة جثاً، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه ا لله المقام المحمود.».

٢٣٨ـ حدثنا علي بن عياش[2] حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد ا لله رضي ا لله عنهما أن رسول ا لله ﷺ قال: « من قال حين يسمع النّداء: اللهم رب هذه الدّعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة».

رواه حمزة بن عبد ا لله عن أبيه عن النبي ﷺ.

ش: فيهما ثنتى عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**إن النّاس يصيرون يوم القيامة جثاً**» **قلت:** جثاً بضم أوله والتنوين جمع جثوة كخطوة وخطاً بمعنى جماعات وحكى ابن الأثير أنه روي «جثي » بكسر المثلثة وتشديد التحتانية جمع جاث وهو الذي يجلس على ركبته **قلت:** وفي التنزيل العزيز ﴿**وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها**﴾ الآية.

الثانية: قوله «**كل أمة تتبع نبيها**» **قلت:** يفسره ما في صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس رضي ا لله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «عرضت عليَّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد،إذ رفع لي سواد عظيم، فظننت أنهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه...الخ الحديث».

---

(١) آدم بن علي العجلي الشيباني، صدوق من الثالثة.خ.س.

(٢) علي بن عياش الألهاني الحمصي، ثقة ثبت من التاسعة مات سنة تسع عشرة [ومائتين].خ.٤.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسائله على هذا الحديث:

«الثانية عشرة: أنّ كل أمة تحشر وحدها مع نبيها».

الثالثة: قوله «**يقولون يا فلان اشفع، يا فلان اشفع**» قد جاء بيانه في غير ما حديث ومنها حديث أبي هريرة المتقدم ضمن الباب الثالث بعد المائتين.

الرابعة: قوله «**حتى تنتهي الشفاعة إلي النبي ﷺ**» في حديث أبي هريرة المشار إليه «فيأتون محمد ﷺ فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك».

وفي حديث أنس وهو عند المصنف في الرقاق باب صفة الجنة والنار «فيأتوني فأستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً» الحديث.

الخامسة: قوله «**فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**» **قلت:** هذا هو وجه الشاهد من الحديث وفيه تفسير المقام المحمود بأنه الشفاعة العظمى وهي الشفاعة في الفصل بين أهل الموقف يوم القيامة وهو مرجح لما قاله حذيفة وابن عباس ومن سمينا من أهل التفسير أول الباب.

السادسة: قوله «**من قال حين يسمع النداء**» **قلت:** النداء هو الأذان و"**ال**" فيه للعهد وظاهره أن الدعاء المذكور بعدُ يقال حين سماع الأذان لكن روى مسلم في باب استحباب القول مثل قول المؤذن من الصلاة عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليّ، فإنه من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً ثم سلوا الله لي الوسيلة» الحديث.فهو نص في الأمر بهذا الدعاء بعد الأذان والمصير إليه متعين لأن حديث الباب مطلق وحديث عبد الله بن عمرو مقيد.

السابعة: قوله «**اللهم رب هذه الدعوة التامة**» **قلت:** المراد بالدعوة التامة دعوة التوحيد كقوله ﴿**له دعوة الحق**﴾.

قال ابن التين: «وصفت بالتامة لأن فيها أتم القول وهو لا إله إلا الله».

الثامنة: قوله «**والصلاة القائمة**» المراد بالصلاة المعهودة المدعو إليها حينئذ ويؤيده أن الله سبحانه وتعالى أثنى على خاصة أوليائه بإقام الصلاة في مواضع كثيرة من كتابه ومنها قوله تعالى ﴿**هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة**﴾.

التاسعة: قوله «**آت محمداً الوسيلة**» أي اعطه المنزلة العالية الرفيعة وفي حديث عبد الله بن عمرو المشار إليه قبل قليل «ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو».

العاشرة: قوله «**والفضيلة**» أي المرتبة الزّائدة على سائر الخلائق، ويحتمل أن تكون منزلة أخرى أو تفسيراً للوسيلة.

الحادية عشرة: قوله «**وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته**» **قلت**: هذا هو محل الشاهد من الحديث وقد تقدم شرح المقام المحمود أول الباب.

الثانية عشرة: قوله «**حلت له شفاعتي يوم القيامة**» أي استحقت ووجبت وفيه الحث على هذا الدعاء وأنّه من أفضل القرب.

فائدة:

شرع النبي ﷺ عند الأذان خمسة أنواع:

أحدها: أن يقولوا كما يقول المؤذن إلا في الحيعلة فأبدلها بـ (لا حول ولا قوة إلا بالله) .

قلت: دليله ما رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله . قال: أشهد أن لا إله إلا الله . ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله . قال: أشهد أن محمداً رسول الله . ثم قال: حي على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال: حي على الفلاح . قال: لا حول ولا قوة إلا بالله . ثم قال: الله أكبر الله أكبر . قال: الله أكبر الله

أكبر . ثم قال: لا إله إلا ا لله . قال: لا إله إلا ا لله ، من قلبه ـ دخل الجنة) .

وهذا مخصص لما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه قال قال رسول ا لله ﷺ: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول المؤذن .

وثانيها: أن يقول: (رضيت با لله رباً وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً) .

ويشهد له ما في صحيح مسلم: عن سعد بن أبي وقاص أن رسول ا لله ﷺ قال: من قال حين يسمع المؤذن أشهد أن لا إله إلا ا لله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله: رضيت با لله رباً وبالإسلام ديناً غفر له ذنبه ..

وثالثها: أن يصلي على النبي ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن ، وأكملها ما علمه أمته ، وإن تحذلق المتحذلقون .

ويشهد له ما في صحيح مسلم عن عبدا لله بن عمر بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى ا لله عليه بها عشراً ثم سلو ا لله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد ا لله وأرجوا أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة .

رابعها: أن يقول بعد الصلاة عليه: (اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محموداً) .

قلت: وحديث جابر في الباب شاهد له .

خامسها: أن يدعو لنفسه بعد ذلك .

وفي السنن عنه ﷺ: (الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة ، قالوا: فما نقول يارسول ا لله؟ قال: سلوا ا لله العافية في الدنيا والآخرة) حديث صحيح . انتهى مختصراً من زاد المعاد.

٢١٠- [باب **﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾**].

ش: هذا تهديد ووعيد لكفار قريش، فإنه قد جاءهم من الله الحق الذي لا مرية فيه ولا قبل لهم به، وهو ما بعثه الله به من القرآن والإيمان والعلم النافع.

وزهق باطلهم، أي اضمحل وهلك، فإن الباطل لا ثبات له مع الحق ولا بقاء **﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾**.اهـ من ابن كثير.

- [**يزهق: يهلك**].

ش: قال أبو عبيدة في الآية الخامسة والخمسين من سورة التوبة وهي قوله تعالى: **﴿وتزهق أنفسهم﴾**: «أي تخرج وتموت وتهلك ويقال: زهق ما عندك أي ذهب كله».

وقال ابن جرير في آية الباب: «يقال منه زهق الباطل يزهق زهوقاً وأزهقه الله أي أذهبه» وأخرج بسنده عن ابن عباس: «زهوقاً يقول ذاهباً».

٢٣٩- حدثنا الحميدي،حدثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «دخل النبي ﷺ مكة وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾، ﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾».

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**دخل النبي ﷺ مكة**» في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ رايته يوم الفتح من هذا الوجه «دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح».

قلت: وهذه الغزوة في رمضان سنة ثمان من الهجرة كما ذكره ابن إسحاق وغيره.

الثانية: قوله «**وحول البيت**» وفي المظالم باب هل تكسر الدنان التي فيها خمر «**وحول الكعبة**» الجملة حالية.

الثالثة: قوله «**ستون وثلاثمائة**» في المظالم «ثلاثمائة وستون» وفيه دليل على جواز كلتا العبارتين.

الرابعة: قوله «**نُصُب**» بضم النون والمهملة وقد تسكن، بعدها موحدة هي واحدة الأنصاب وهو ما ينصب للعبادة من دون الله تعالى، كما وقع في رواية ابن أبي شيبة عن ابن عيينة «صنماً». بدل «نصباً».

واعلم أن النصب يطلق على معنيين آخرين وليس مرادين ههنا.

أحدهما: الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام.

وثانيهما: أعلام الطريق.

الخامسة: قوله «**فجعل يطعنها**» بضم العين وبفتحها، والأول أشهر والمعنى يدقها ويضربها حتى يكسرها.

السادسة: قوله «**بعود في يده**» وأخرج مسلم في الجهاد والسير باب فتح مكة عن أبي هريرة ﷺ «ثم طاف بالبيت قال: فأتى على صنم إلى جنب البيت كانوا يعبدونه قال: وفي يد رسول الله ﷺ قوس، وهو آخذ بسية القوس، فلما أتى على الصنم جعل يطعنه في عينه».

وفي حديث ابن عمر عند الفاكهي وصححه ابن حبان «فيسقط الصنم ولا يمسه» وللفاكهي والطبراني من حديث ابن عباس « فلم يبق وثن استقبله إلا سقط على قفاه، مع أنها كانت ثابتة بالأرض، وقد شد لهم إبليس أقدامها بالرصاص».

قلت: ولا منافاة بين هذه الأخبار فكلٌ من هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم وصف ما شاهده من أحوال تلك الأصنام حين طعن رسول الله ﷺ إياها.

السابعة: قوله «**ويقول ﴿جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾**» هذا محل الشاهد من الحديث وقد مر شرحه

الثامنة: قوله **﴿جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾** أي جاء الحق من

الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى: ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق**﴾.قاله ابن كثير.

قلت: وقد صنع رسول الله ﷺ هذا الصنيع إظهاراً لما منّ الله به عليه من النصر بفتح مكة وجعلها دار إسلام، وإذلالاً للشرك وأهله، وتطهيراً لبيت الله بإزالة أنكر المنكرات حين أظهره الله على ذلك وأمكنه الله منه وأمن الفتنة.

قال ابن القيم في الصفحة الرابعة من الجزء الثالث من إعلام الموقعين وهو يذكر أمثلة على أنّ مبنى الشريعة على مصالح العباد في المعاش والمعاد: « فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإنْ لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شر منه.

فالدرجتان الأوليان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة». اهـ

٢١١- [باب ﴿ويسألونك عن الروح﴾].

ش: تمامها ﴿قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ويسألك الكفار با لله من أهل الكتاب عن الروح ما هي؟ قل لهم الروح من أمر ربي، وما أوتيتم أنتم وجميع النّاس من العلم إلا قليلاً.

وأما قوله ﴿**من أمر ربي**﴾ فإنه يعني أنه من الأمر الذي يعلمه الله ﷻ دونكم، فلا تعلمونه ويعلم ما هو.

وقوله ﴿**وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً**﴾

اعلم أنّ أهل العلم بالتفسير قد اختلفوا في المعنى به على قولين.

أحدهما: أنّه عنى بذلك الذين سألوا رسول الله ﷺ عن الروح وجميع النّاس غيرهم، ولكن لما ضم غير المخاطب إلى المخاطب خرج الكلام على المخاطبة لأن العرب كذلك تفعل إذا اجتمع في الكلام مخبر عنه غائب ومخاطب أخرجوا الكلام خطاباً للجمع.وبه قال عطاء بن يسار وابن جريج.

وثانيهما: أنه عنى بذلك الذين سألوا الرسول ﷺ عن الروح خاصة دون غيرهم وبه قال قتادة.

حكى القولين ابن جرير واختار الأول.

٢٤٠- حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش قال: حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله ﷺ قال: «بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث ـ وهو متكيء على عسيب ـ إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه ـ وقال بعضهم لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ـ فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمتُ أنه يوحى إليه، فقمت مقامي.فلما نزل الوحي قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربِّي وما أوتيتم من العلم إلاّ قليلاً﴾».

ش: فيه ثلاث عشرة مسألة:

الأولى: قوله «**في حرث**» بفتح المهملة وسكون الراء بعدها مثلثة، ووقع في كتاب العلم من وجه آخر بخاء معجمة وموحدة، وضبطوه بفتح أوله وكسر ثانيه وبالعكس، والأول أصوب. ويدل له ما أخرجه مسلم من طريق مسروق عن ابن مسعود بلفظ «كان في نخل» وزاد في رواية العلم «بالمدينة». قال الحافظ: «ولابن مردويه من وجه آخر عن الأعمش «في حرث للأنصار» وهذا يدل على أنّ نزول الآية وقع بالمدينة، لكن روى الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال: «قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسألوه فأنزل الله تعالى ﴿**ويسألونك عن الروح قل الروح من أمري ربيْ**﴾ ورجاله رجال مسلم، وهو عند ابن إسحاق من وجه آخر عن ابن عباس نحوه، ويمكن الجمع بأن يتعدد النزول بحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك».

الثانية: قوله «**وهو متكيء على عسيب**» أي معتمد عليه والعسيب بمهملتين وآخره موحدة بوزن عظيم وهي الجريدة التي لا خوص فيها، ووقع في رواية ابن حبان «ومعه جريدة» قال ابن فارس: «العسبان من النخل كالقضبان من غيرها».

الثالثة: قوله «**إذ مر اليهود**» كذا فيه اليهود بالرفع على الفاعلية، وفي بقية الرّوايات في العلم والاعتصام والتوحيد، وعند مسلم «إذ مر بنفر من اليهود» وعند ابن جرير من وجه آخر عن الأعمش «إذ مررنا على يهود» ويحمل هذا الاختلاف على أنّ الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلاً منهم مر بالآخر، ولم أقف في شيء من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود.

الرابعة: قوله «**ما رابكم إليه**» كذا للأكثر بصيغة الفعل الماضي من الريب، ويقال فيه رابه كذا وأرابه كذا بمعنى وقال أبو زيد: رابه إذا علم منه الريب،

وأرابه إذا ظن ذلك به.

الخامسة: قوله «**وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه**» في العلم «لا يجيء فيه بشيء تكرهونه» وفي الاعتصام «لا يسمعكم ما تكرهون» وهي بمعنى، وكلها على الرفع نهي بلفظ الخبر.

السادسة: قوله «**فقالوا: سلوه**» في التوحيد «فقال بعضهم لنسألنه» واللام في جواب قسم محذوف تقديره وا لله ونحوه.

السابعة: قوله «**فسألوه عن الروح**» في التوحيد «فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟» وفي رواية العوفي عن ابن عباس عند ابن جرير «فقالوا أخبرنا عن الروح».

قال ابن القيم:

«والروح في القرآن على عدة أوجه:

أحدها: الوحي كقوله تعالى ﴿**وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا**﴾.[الشورى: ٥٢].

وقوله تعالى: ﴿**يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده**﴾ [غافر:١٥].

وسمى الوحي روحاً لما يحصل به من حياة القلوب والأرواح.

الثاني: القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده المؤمنين كما قال: ﴿**أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه**﴾ [المجادلة: ٢٢].

الثالث: جبريل كقوله تعالى: ﴿**نزل به الروح الأمين على قلبك**﴾.

وقال تعالى: ﴿**من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن ا لله**﴾.

وهو روح القدس قال تعالى: ﴿**قل نزله روح القدس**﴾ [النحل:١٠٢].

الرابع: الروح التي سأل عنها اليهود فأجيبوا بأنها من أمر ا لله.وقد قيل إنها الروح المذكورة في قوله تعالى: ﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون**﴾ وأنها الروح المذكورة في قوله: ﴿**تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم**﴾.

الخامس: المسيح بن مريم قال تعالى: **﴿إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾**.

وأما أرواح بني آدم فلم تقع تسميتها في القرآن إلا بالنفس قال تعالى: **﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾** . وقال تعالى: **﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾** وقال تعالى **﴿إن النفس لأمارة بالسوء﴾** وقال تعالى: **﴿أخرجوا أنفسكم﴾** وقال تعالى: **﴿ونفس وما سواها فألهما فجورها وتقواها﴾** .وقال تعالى: **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾**، وأما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود أن كونها من أمر الله لا يدل على قدمها وأنها غير مخلوقة».اهـ من بدائع التفسير.

الثامنة: قوله «**فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم**».

قلت: لأنه ﷺ لا يتكلم في مثل هذه الأمور الغيبية من تلقاء نفسه بل ينتظر الوحي كما قال تعالى: **﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾**.

التاسعة: قوله «**فعلمت أنه يوحى إليه**» في التوحيد «فظننت أنه يوحى إليه» وفي الاعتصام «فقلت إنه يوحى إليه» وهي متقاربة، وإطلاق العلم على الظن مشهور، وكذا إطلاق القول على ما يقع في النفس إذا كان بقرينة.

العاشرة: قوله «**فقمت مقامي**» في الاعتصام «فتأخرت عنه» أي أدباً معه لئلا يتشوش بقربي منه.

الحادية عشرة: قوله «**فلما نزل الوحي قال**» في الاعتصام «حتى صعد الوحي فقال» وفي العلم «فقمت فلما انجلى».

الثانية عشرة: قوله «**من أمر ربي**» تقدم شرحه في تفسير الآية.

وقال ابن القيم: «ليس المراد هنا بالأمر الطلب اتفاقاً، وإنما المراد به المأمور، والأمر يطلق على المأمور كالخلق على المخلوق، ومنه **﴿لما جاء أمر ربك﴾**».اهـ.

الثالثة عشرة: قوله «**فلما نزل الوحي قال ﴿ويسألونك عن الروح...الخ﴾**».

قلت: هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

٢١٢- [باب **﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾**].

ش: قلت: الآية **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾**.

قوله **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾**.

قال ابن القيم كما في بدائع التفسير: «فهذا الدعاء المشهور وأنه دعاء المسألة وهو سبب النزول قالوا كان النبي ﷺ يدعو ربه فيقول مرة: «يا الله» ومرة «يا رحمن» فظن الجاهلون من المشركين أنه يدعو إلهين فأنزل الله تعالى هذه الآية.

قال ابن عباس: سمع المشركون النبي ﷺ يدعو في سجوده يا رحمن يا رحيم فقالوا هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله هذه الآية. **﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾**.

وقيل إنّ الدعاء هاهنا بمعنى التسمية كقولهم دعوت ولدي سعيداً وادعه بعبد الله ونحوه.

والمعنى سموا الله أو سموا الرحمن فالدعاء ههنا بمعنى التسمية وهذا قول الزمخشري والذي حمله على هذا قوله: **﴿أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾** فإنّ المراد بتعدده معنى أي: وعمومها هاهنا تعدد الأسماء ليس إلا.

والمعنى أي الأسماء سميتموه به من أسماء الله تعالى إما الله وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى، أي فللمسمى سبحانه الأسماء الحسنى والضمير في "له" يعود إلى المسمى فهذا الذي أوجب له أن يحمل الدعاء في هذه الآية على التسمية.وهذا الذي قاله هو من لوازم المعنى المراد بالدعاء في الآية وليس هو عين المراد.بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد في القرآن وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء ولكنه متضمن معنى التسمية فليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل

التسمية الواقعة في دعاء الثناء والطلب فعلى هذا المعنى يصح أن يكون في «تدعوا» معنى تسموا فتأمله.

والمعنى أياً ما تسموا في ثنائكم ودعائكم وسؤالكم والله أعلم».اهـ.

قوله ﴿**ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها**﴾.

اختلف أهل العلم بالتفسير في معناه على قولين:

أولهما: أنّ المعنى به الدعاء وبه قال ابن عباس وعائشة وأبو عياض وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير وعروة ومكحول.

وثانيهما: أنه عنى بذلك الصلاة.ثم اختلف أهل هذا القول على أربعة أقوال:

أحدها: أنّ المنهي عنه الجهر بالقراءة وبه قال ابن عباس والضحاك وسعيد بن جبير وعطاء في الرواية الثانية عنهم وكذا قال قتادة.

وثانيها: أنّ المنهي عنه الجهر بالتشهد وهو قول عائشة في الرواية الثانية وكذا قال ابن سيرين.

وثالثها: قالوا بل كان رسول الله ﷺ يصلي بمكة جهاراً فأمر بإخفائها وبه قال الحسن البصري.

ورابعها: أن معنى ذلك ولا تجهر بصلاتك تحسنها من إتيانها في العلانية ولا تخافت بها تسيؤها في السريرة وبه قال الحسن في الرواية الثانية وابن عباس في الرواية الثالثة. حكى هذا الاختلاف ابن جرير واختار أول القولين.

قوله ﴿**وابتغ بين ذلك**﴾ أي الجهر والمخافتة المدلول عليها بالفعلين.﴿**سبيلاً**﴾ أي طريقاً متوسطاً بين الأمرين فلا تكون مجهورةً ولا مخافتاً بها.

٢٤١ـ حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى

بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أي بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن.﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تُسْمِعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

٢٤٢ـ حدثني طلق بن غنّام[١]حدثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

ش: فيهما أربع مسائل:

الأولى: قوله «**نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة**» **قلت:** والجملة حالية ومراده أنّ ذلك كان في أول الإسلام.

الثانية: قوله «**رفع صوته بالقرآن**» وأخرج ابن جرير من طريق أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس «كان رسول الله ﷺ إذا جهر بالصلاة بالمسلمين بالقرآن شق ذلك على المشركين إذ سمعوه فيؤذون رسول الله ﷺ بالشتم والعيب به».

قلت: وهذا مخرج على أنّ المراد بالصلاة في الآية القراءة وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وبه قال سعيد ابن جبير والضحاك وآخرون وقد أسلفناه أول الباب.

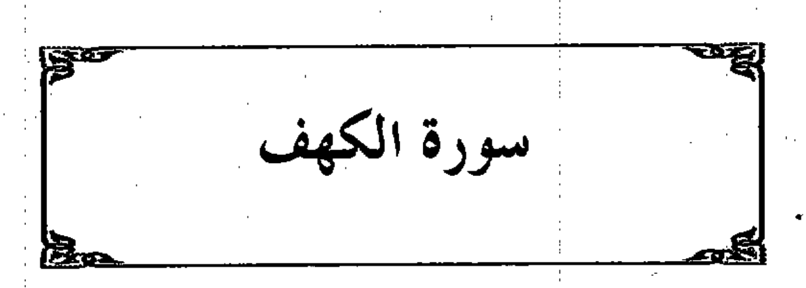
الثالثة: قوله **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾** هذا هو الشاهد من الحديث وقد مضى شرحه أول الباب.

الرابعة: قوله «**أنزل ذلك في الدعاء**» **قلت:** هو الرواية الأولى عنها أخرجه ابن جرير من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ «نزلت في الدعاء» وبه قال ابن عباس وعطاء في الرواية الثانية ومجاهد وبه قال آخرون وقد مضى أول الباب حكاية القولين.

آخر تفسير سورة بني إسرائيل ولله الحمد والمنة .

---

(١) هو أبو محمد طلق بن غنام بن طلق بن معاوية النخعي الكوفي ثقة من كبار العاشرة مات في رجب سنة إحدى عشرة ومائتين.خ.٤.



٢١٣ـ سورة الكهف بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً**﴾.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: « من قرأ سورة الكهف كما أنزلت ثم أدرك الدجال لم يسلط عليه، ومن قرأ سورة الكهف يوم الجمعة كان له نوراً يوم القيامة، من حيث قرأها ما بينه وبين مكة ».رواه النسائي.والدارمي وغيرهما وصححه الحاكم، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. وأخرج مسلم وأحمد والترمذي وغيرهم عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال، ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة ».

قلت: والأحاديث في فضلها كثيرة.قال القرطبي: وهي مكية في قول جميع المفسرين وعدد آياتها عشر ومائة.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [**وقال مجاهد: ﴿تقرضهم﴾ تتركهم**].

ش: أخرجه ابن جرير ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم ثنا عيسى وثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة.

والآية المشار إليها: **﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه﴾**.

٢- [**﴿وكان له ثمر﴾ ذهب وفضة**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق، وهو **أحد** أقوال ثلاثة في الآية.

وثانيها: أنه عنى به المال الكثير من صنوف الأموال وبه قال ابن عباس وقتادة.

وثالثها: أنّه عنى به جماعة الثمر وبه قال ابن زيد.

أخرجها جميعاً ابن جرير واختار ثالثها، وإياه نختار لأنّ الثمر لا يتبادر من ذكره عند الإطلاق سوى ما قال ابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وولداً﴾**.

٣- [**وقال غيره: جماعة الثمر**].

ش: قاله أبو عبيدة

وأخرج ابن جرير ثني يونس، أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله **﴿وكان له ثمر﴾** الثمر الأصل.

٤- [**﴿باخع﴾ مُهلِك**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال ذو الرمة:

ألا أيّهذا الباخع الوجد نفسه لشيء نحته عن يديه المقادر

أي نحّته مشددة ويقال بخعت له نفسي ونصحي أي جهدت له.اهـ.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: قاتل نفسك.

والآية المشار إليها: **﴿فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾**.

٥- [**﴿أسفاً﴾ ندماً**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وتلهفاً وأسى.

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: جزعاً وفي رواية غضباً وفي رواية حزناً.

٦- [**﴿الكهف﴾: الفتح في الجبل**].

ش: هو قول الضحاك، أخرجه ابن أبي حاتم كما حكاه في الفتح.٦/٥٠٣.

٧- [**﴿الرقيم﴾ الكتاب**].

ش: أخرجه ابن جرير ثنا علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وأخرج نحوه عن سعيد بن جبير وابن زيد وهو **أحد** أقوال ثلاثة.

ثانيها: أنّه اسم جبل أصحاب الكهف، وهو قول ابن عباس في الرواية الثانية وبه قال شعيب الجبئي.

وثالثها: أنّه اسم قرية أو وادٍ وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة وقتادة ومجاهد والضحاك، واختار ابن جرير القول الأول.

والآية المشار إليها: **﴿أم حسبت أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾**.

٨- [**﴿مرقوم﴾ مكتوب من الرقم**].

ش: قال أبو عبيدة الجملة الأولى منه، وهذه الجملة وقعت في الآية التاسعة، والآية العشرين من سورة المطففين، وذكرها هنا استشهاداً.

٩- [﴿ربطنا على قلوبهم﴾: ألهمناهم صبراً].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه صبّرناهم، وألهمناهم الصبر، وقال ابن جرير يقول عزّ ذكره: وألهمناهم الصبر وشددنا قلوبهم بنور الإيمان.

١٠- [﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾].

ش: **قلت**: هذه الجملة ضمن الآية العاشرة من سورة القصص، ومناسبتها ها هنا الاستشهاد لما قبلها.

١١- [﴿شططاً﴾ إفراطاً].

ش: قال أبو عبيدة: أي جوراً وغلواً، قال:

ألا يا القوم قد أشطيت عواذلي ويزعمن أنّ أودي بحق باطل

وقال ابن جرير: « يعني عالياً من الكذب مجاوزاً مقداره في البطول والغلو».

ثم أخرج المعنى عن قتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: **﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهاً لقد قلنا إذاً شططاً﴾**.

١٢- [**﴿الوصيد﴾ الفِناء، جَمعُه وصائِد، ووُصُدٌ ويقال الوصيدُ: الباب**].

ش: قال أبو عبيدة: « على الباب، وبفناء الباب جميعاً لأن الباب يوصد أي يغلق والجميع وصائد ووصد » أهـ.

واعلم أنّ أهل التفسير مختلفون فيه على ثلاثة أقوال:

أولها: أنه الفناء وبه قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة.

وثانيها: أنّه الصعيد، وهو قول ابن عباس وابن جبير في الرواية الثانية وبه قال عمرو بن مرة.

وثالثها: أنّه الباب وهو قول ابن عباس في الرواية الثالثة.

أخرجها ابن جرير واختار أنّه الباب، أو فناء الباب حيث يغلق.

والآية المشار إليها:﴿**وتحسبهم أيقاضاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد**﴾.

١٣- [﴿**مؤصدة**﴾ : **مطبَقة.آصد الباب وأوصد**].

ش: قال أبو عبيدة: « مطبقة آصدت وأوصدت وهو أطبقت.».اهـ.

وقد أشار الشيخ رحمه الله إلى الآية الأخيرة من سورة البلد، والآية الثامنة من سورة الهمزة، ولعله أراد بالتفسير المذكور ها هنا ترجيح أنّ الوصيد الباب.

١٤- [﴿**بعثناهم**﴾ **أحييناهم**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: وهو من يوم البعث.

قال مقيده: وهذا قول غريب فإنّ أصحاب الكهف لم يكونوا أمواتاً بل نُوَّم بدليل قوله تعالى ﴿**وتحسبهم أيقاضاً وهم رقود**﴾.

١٥- [﴿**أزكى**﴾ **أكثر ويقال أحلُّ، ويقال أكثر ريعاً**].

ش: **قلت**: وبكلٍ من القولين الأوليين قال طائفة من أهل العلم بالتفسير.

فأولها: قول عكرمة.

وثانيها: قول سعيد بن جبير.

وقال قتادة: خير طعاماً.أخرجها ابن جرير واختار ثانيها.

والآية المشار إليها:﴿**وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم أحداً**﴾.

١٦- [**قال ابن عباس**: ﴿**أُكُلَها**﴾ **وقال غيره**: ﴿**ولم تظلِم**﴾ **لم تنقص**].

ش: كذا لأبي ذر ولغيره، وقال ابن عباس فذكره.وقد وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير حدثنا بشر: حدثنا يزيد: حدثنا سعيد عن قتادة

قوله ﴿**ولم تظلم منه شيئاً**﴾ أي لم تنقص.

والآية المشار إليها: ﴿**كلتا الجنتين ءاتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً**﴾.

١٧- [**وقال سعيد عن ابن عباس: ﴿الرقيم﴾ اللوح من رصاص. كتب عاملهم أسماءهم ثم طرحه في خزانته فضرب الله على آذانهم فناموا**].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير مطولاً وإسناده صحيح على شرط البخاري. قاله في الفتح.

وقد تقدم الكلام على الآية في الأثر السابع.

١٨- [**وقال غيره: وألت تئل تنجو**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه منجى وهو من قولهم:

فلا وألت نفس عليها تحذر

أي لا نجت. اهـ.

١٩- [**وقال مجاهد: ﴿موئلاً﴾ محرزاً**].

ش: رواه ابن جرير: ثني محمد بن عمرو ثنا أبو عاصم: ثنا عيسى. ح وثني الحارث ثنا الحسن ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فذكره.

وأخرج نحوه عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**وربك الغفور ذو الرحمة لو يآخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلاً**﴾.

٢٠- [﴿**لا يستطيعون سمعاً**﴾ **لا يعقلون**].

ش: أخرجه ابن جرير عن مجاهد بالإسناد السابق. وأخرج عنه من طريق حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال: لا يعلمون. وأخرج نحوه عن ابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**الذين كانت أعينهم في غطاءٍ عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً**﴾.

٢١٤- [باب **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**].

ش: قلت الآية **﴿ولقد صرفنا في هذا القرءان للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**.

يقول عزّ ذكره ولقد مثلنا في هذا القرآن للناس من كل مثل، ووعظناهم فيه من كل عظة، واحتججنا عليهم فيه بكل حجة ليتذكروا فينيبوا ويعتبروا فيتعظوا وينزجروا عما هم عليه مقيمون من الشرك با لله وعبادة الأوثان **﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾** يقول: وكان الإنسان أكثر شيء مراءً، وخصومة لا ينيب لحق ولا ينزجر لموعظة.

٤٤٢- حدثنا علي بن عبد ا لله، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب قال: أخبرنا علي بن حسين، أن حسين بن علي أخبره عن علي ﷺ: « أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة قال: ألا تصليان ».

ش: هكذا أورده الشيخ رحمه ا لله هنا مختصراً وليس فيه محل الشاهد، ولم أعرف مقصوده من ذلك، وقد رواه في كتاب التهجد، باب تحريض النبي ﷺ على صلاة الليل، والنوافل من غير إيجاب، بتمامه عن علي، ولفظه « أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلة فقال: ألا تصليان فقال يا رسول ا لله أنفسنا بيد ا لله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولٍ، يضرب فخذه وهو يقول: وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ».

وفيه بهذا السياق ست مسائل:

الأولى: قوله «**أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة**» قلت فاطمة بالنصب معطوف على المفعول في طرقه، والطروق: الإتيان بالليل، وعلى هذا فقوله ليلة للتأكيد. وحكى ابن فارس أن معنى طرق أتى، فعلى هذا يكون قوله «**ليلة**» لبيان

وقت المجيء فنصبها على الظرفية.

الثانية: قوله «**ألا تصليان**» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية حكيم بن حكيم قال: « دخل عليّ رسول ا لله ﷺ وعلى فاطمة من الليل فأيقضنا للصلاة، ثم رجع إلى بيته فصلى هوياً من الليل فلم يسمع لنا حساً، فرجع إلينا فأيقضنا فقال: قوما فصليا ».

الثالثة: قوله «**فقلت يا رسول ا لله، أنفسنا بيد ا لله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا**» ووقع في رواية حكيم المذكورة آنفاً « قال فجلست وأنا أعرك عيني وأقول: إنا وا لله ما نصلي إلا ما كتب ا لله لنا إنما أنفسنا بيد ا لله فإن شاء بعثنا، بعثنا » واقتبس عليّ ﷺ ذلك من قوله تعالى ﴿**ا لله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها**﴾.

الرابعة: قوله «**فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً**» في رواية كريمة «حين قلنا» وفيه أن السكوت يكون جواباً والإعراض عن القول الذي لا يطابق المراد وإن كان حقاً في نفسه.

الخامسة: قوله «**ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه**» فيه جواز ضرب الفخذ عند التأسف.

السادسة: قوله «**وهو يقول ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾**».فيه جواز الإنتزاع من القرآن وترجيح قول من قال إن اللام في قوله ﴿**وكان الإنسان**﴾ للعموم لا لخصوص الكفار.

تنبيه:

(فإن قيل فقد احتج عليّ بالقدر في ترك قيام الليل وأقره النبي ﷺ كما في الصحيح عن عليّ أن رسول ا لله ﷺ طرقه وفاطمة ليلاً فقال لهم: « ألا تصلون؟ قال: فقلت يا رسول ا لله إنما أنفسنا بيد ا لله فإذا شاء أن يبعثها بعثها.فانصرف رسول ا لله ﷺ حين قلت له ذلك، ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مدبر

يضرب فخذه وهو يقول ﴿**وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً**﴾، قيل: عليّ لم يحتج بالقدر على ترك واجب ولا فعل محرم، وإنما قال: إن نفسه، ونفس فاطمة بيد الله، فإذا شاء أن يوقظهما ويبعث أنفسهما بعثهما. وهذا موافق لقول النبي ﷺ ليلة ناموا في الوادي: إن الله قبض أرواحنا حيث شاء وردها حيث شاء، وهذا احتجاج صحيح صاحبه يعذر فيه، فالنائم غير مفرط، واحتجاج غير المفرط بالقدر صحيح. انتهى من شفاء العليل (ص٣٢).

من فقه الحديث:

أولاً: فيه منقبة لعليّ ﷺ حيث لم يكتم ما فيه عليه أدنى غضاضة، فقدم مصلحة نشر العلم وتبليغه.

ثانياً: فيه أنه ليس للإمام أن يشدد في النوافل.

شرح جملة من الكلمات:

١- [﴿**رجماً بالغيب**﴾ : **لم يستبن**].

ش: قال أبو عبيدة: والرجم ما لم تستيقنه وقال: ظن مرجم لا يدرى أحق هو أم باطل. قال زهير:

وما الحرب إلا ما رأيتم وذقتم وما هو عنها بالحديث المرجم

وأخرج ابن جرير عن قتادة قال: أي قذفاً بالغيب وفي رواية بالظن، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة.

والآية المشار إليها: ﴿**سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب**﴾.

٢- [﴿**فرطاً**﴾ **ندماً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثنا محمد بن المثنى: حدثنا بدل ابن المحبر: ثنا عباد بن راشد عن داود ﴿**فرطاً**﴾ قال: ندامة.

قلت: يعني داود بن أبي هند وهو **أحد** أقوال أربعة حكاها في الآية.

وثانيها: بمعنى ضياعاً وبه قال مجاهد.

وثالثها: بمعنى هلاكاً وبه قال خباب.

ورابعها: بمعنى خلافاً للحق وبه قال ابن زيد.

واختار ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال قول من قال معناه ضياعاً وهلاكاً.

وقال أبو عبيدة: سرفاً وتضييعاً.

والآية المشار إليها: **﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾**.

٣- [**﴿سرادقها﴾ : مثل السرادق والحجرة التي تطيف بالفساطيط**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: قال رؤبة:

يا حكم بن المنذر بن الجارود   أنت الجواد بن الجواد المحمود

سرادق المجد إليك ممدود

وقال ابن عباس: هي حائط من نار، أخرجه عنه ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿إنّا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها﴾**.

٤- [**﴿يحاوره﴾ من المحاورة**].

ش: قال أبو عبيدة أي يكلمه، ومعناه من المحاورة.

والآية المشار إليها هي الرابعة والثلاثون والسابعة والثلاثون من السورة.

٥- [**﴿لكن هو ا لله ربي﴾ : أي لكن أنا هو ا لله ربي.ثم حذف الألف وأدغم إحدى النونين في الأخرى**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فشددت، والعرب تفعل ذلك.

والآية المشار إليها: **﴿لكن هو ا لله ربي ولا أشرك بربي أحداً﴾**.

٦- [**﴿وفجرنا خلالهما نهراً﴾ يقول بينهما**].

ش: قال أبو عبيدة: أي وسطهما وبينهما وبعضهم يسكن "هاء" النهر.

والآية المشار إليها:﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً**﴾.

٧- [﴿**زلقا**﴾ **لا يثبت فيه قدم**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار:﴿**فعسى ربي أن يؤتيني خيراً من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيداً زلقاً**﴾.

٨- [﴿**هنالك الولاية**﴾ **مصدر الولي**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: فإذا كسرت الواو فهي مصدر وليت العمل، والأمر تليه.

٩- [﴿**عقباً**﴾ **عاقبة وعقبى عقبه، واحد.وهي الآخرة**].

ش: قاله أبو عبيدة.

والآية المشار إليها:﴿**هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقباً**﴾.

١٠- [﴿**قِبلاً**﴾ **وقِبلاً، وقَبلاً، استئنافاً**].

ش: قال أبو عبيدة: يقال من ذي قبل فإن فتحوا أولها فالمعنى استئنافاً قال:

لن يغلب اليوم جباكم قبلي

أي استئنافي.وإن ضموا أولها فالمعنى مقابله، يقال: اقبل قُبُل فلان إنكسر، وله موضع آخر أن يكون جميع قبيل فمعناه أو يأتيهم العذاب قبلا، أي قبيلاً قبيلاً أي ضرباً ضرباً، ولوناً لوناً.اهـ.

والآية المشار إليها:﴿**وما منع النّاس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنّة الأولين أو يأتيهم العذاب قبلا**﴾.

١١- [﴿ليدحضوا﴾ : ليزيلوا، الدحض الزلَق].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: يقال مكان دحض أي مزل مزلق، لا يثبت فيه خف، ولا قدم ولا حافر. قال طرفة:

وردت ونحى اليشكري حداره وحاد كما حاد البعير عن الدحض.

والآية المشار إليها: **﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزواً﴾.**

٢١٥- [باب ﴿وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضي حقباً﴾].

ش: يقول عز ذكره لنبيه ﷺ واذكر يا محمد إذ قال موسى بن عمران لفتاه يوشع: لا أبرح يقول: لا أزال أسير.

وقوله **﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾** أي ملتقاهما.وقيل المراد بالبحرين، فارس والروم، وقيل بحر الأردن، وقيل غيرها.

قوله **﴿أو أمضي حقباً﴾** أي أسير زماناً طويلاً.

[﴿حقبا﴾ زمانا وجمعه أحقاب].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: ويقال في معناه مضت له حقبة والجميع حقب، على تقدير كسرة والجميع كسر كثيرة.

٢٤٥- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو بن دينار قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: « قلت لابن عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أنّ موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدوّ الله، حدثني أبيّ بن كعب أنّه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنّ موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل: أيّ النّاس أعلم؟ فقال: أنا.فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: إنّ لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك.قال موسى: يا ربّ فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثمَّ.فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق، وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.قال: ولم

يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر ا لله به، فقال له فتـاه: أرأيـت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسـانيه إلا الشـيطان أن أذكـره، واتخذ سـبيله في البحـر عجبـاً.قـال فكـان للحـوت سـرباً، ولموسـى ولفتـاه عجباً.فقال موسى: ذلك ما كنا نبغي، فارتدّا على آثارهما قصصاً، قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجلٌ مسـجّى ثوبـاً، فسلّم عليـه موسى فقال الخضر: وأنّى بأرضك السلام.قال: أنا موسـى. قـال: موسـى بـني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلّمني مما علمت رشـدا.قـال: إنـك لـن تسـتطيع معيَ صبرا.يا موسى إني على علم من علم ا لله علّمنيه لا تعلمـه أنـت، وأنـت على علم من علم ا لله علّمكه ا لله لا أعلمه.فقـال موسـى: ستجدني إن شـاء ا لله صابراً ولا أعصي لك أمراً.فقال له الخضر: فـأن اتبعتـني فـلا تسـألني عـن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً.فانطلقا يمشـيان علـى سـاحل البحـر، فمـرت سفينة، فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوه بغير نول.فلما ركبـا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بـالقدوم.فقـال لـه موسى: قوم حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلهـا، لقـد جئت شيئاً إمرا.قال: ألم أقل: إنك لن تستطيع معي صـبرا؟ قـال: لا تؤاخذنـي بما نسيت ولا ترهقني من أمـري عسـرا.قـال: وقـال رسـول ا لله ﷺ: وكـانت الأولى من موسى نسياناً.قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقـر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم ا لله إلا مثل مـا نقـص هذا العصفور من هذا البحر.ثم خرجا مـن السـفينة، فبينـا همـا يمشـيان علـى الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمـان، فـأخذ الخضـر رأسـه بيـده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: أقتلت نفساً زاكية بغير نفـس؟ لقـد جئـت شيئاً نكراً.قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا؟ قـال وهـذا أشـد مـن الأولى.قال: إن سألتك عن شيء بعدها فـلا تصـاحبني، قـد بلغـت مـن لدنّـي

عذرا.فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض.قال: مائل.فقام الخضر فأقامه بيده.فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا.قال: هذا فراق بيني وبينك ـ إلى قوله ـ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً.فقال رسول الله ﷺ: وددنا أنّ موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما.قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ، ﴿وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً﴾.وكان يقرأ (وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين).

ش: **فيه تسع وأربعون مسألة:**

الأولى: قوله «**إن نوفاً البكالي**» في رواية ابن جريج الآتية « إنا لعند ابن عباس في بيته قال: سلوني **قلت**: أي أبا العباس، جعلني الله فداك، بالكوفة رجل قاص يقال له نوف ».

قلت: وصاحب هذا القول هو سعيد بن جبير راوية ابن عباس، ونوف هذا هو نوف بن فضالة ابن امرأة كعب الأحبار، مستور من الثانية، قد كذبه ابن عباس فيما رواه عن أهل الكتاب، مات بعد التسعين.

الثانية: قوله «**يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل**» وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: «كنت عند ابن عباس وعنده قوم من أهل الكتاب فقال بعضهم: يا أبا عباس إن نوفاً يزعم عن كعب الأحبار أن موسى الذي طلب العلم إنما هو موسى بن ميشا قال: أسمعته يا سعيد قال نعم ».

الثالثة: قوله «**كذب عدو الله**» يعني فيما قال وذلك لمخالفته صريح القرآن كما هو مبسوط في سورة الأعراف وغيرها، وهذا القول محمول على إرادة المبالغة في الزجر والتنفير عن تصديق تلك المقالة.

الرابعة: قوله «**إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل**» في رواية ابن جريج

«موسى رسول الله عليه السلام قال ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى» وعند مسلم في الفضائل، باب فضل الخضر، والنسائي في التفسير «أنه بينا موسى عليه السلام في قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه، وبلاؤه».

الخامسة: قوله «**فسئل أي الناس أعلم**» في رواية ابن جريج «فأدركه رجل فقال: أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك».

السادسة: قوله «أنا» في رواية ابن جريج «قال لا» وعند مسلم والنسائي «ما أعلم في الأرض رجلا خيراً وأعلم مني».

السابعة: قوله «**فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه**» وفي رواية ابن جريج «إذ لم يرد العلم إلى الله» وعند مسلم والنسائي «فأوحى الله إليه إني أعلم بالخير عند من هو».

قلت: فبان بهذا أمران.

أحدهما: سبب عتاب موسى ﷺ وهو عدم رده العلم إلى الله.

وثانيهما: نوع العتاب وذلك في قوله فأوحى الله إليه...الخ.

الثامنة: قوله «**فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك**» في رواية ابن جريج «قيل بلى قال أي رب فأين قال بمجمع البحرين» وعند مسلم والنسائي «إن في الأرض رجلاً هو أعلم منك».

التاسعة: قوله «**قال موسى: يا رب فكيف لي به؟**».في رواية ابن جريج «قال أي رب اجعل لي علماً أعلم ذلك منه» وعند مسلم والنسائي «قال يا رب فدلني عليه».

العاشرة: قوله «**تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل**» في رواية ابن جريج «فقال لي عمرو: قال حيث يفارقك الحوت» وقال لي يعلى «قال خذ نوناً ميتاً حيث ينفخ فيه الروح» وعند مسلم والنسائي «فقيل له تزود حوتاً مالحاً فإنه

حيث تفقد الحوت».

الحادية عشرة: قوله «**فأخذ حوتاً فجعله في مكتل**».

قلت: والمكتل هو بكسر الميم الزبيل الكبير قيل أنه يسع خمسة عشر صاعاً كأن فيه كتلاً من التمر أي قطعاً مجتمعة.قاله ابن الأثير.

الثانية عشرة: قوله «**ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون**» وعند مسلم والنسائي «فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة».

الثالثة عشرة: قوله «**حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فناما**» في رواية ابن جريج «فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال ما كلفت كثيراً، فذلك قوله جل ذكره « وإذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون» ليست عند سعيد.

الرابعة عشرة: قوله «**واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر**» في رواية قتيبة وستأتي: قال سفيان وفي حديث غير عمرو قال: «وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيى، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر» وفي رواية ابن جريج «إذ تَضَرَّب الحوت وموسى نائم» وعند مسلم «فاضطرب الحوت في الماء» ولا مغايرة بين هاتين الروايتين فإن الحوت اضطرب أولاً في المكتل حين أحس الحياة واضطرب ثانياً في البحر.

الخامسة عشرة: قوله «**وامسك ا لله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق**» في رواية ابن جريج « فأمسك ا لله عنه جرية البحر حتى كأن أثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان أثره في حجر وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما » وعند مسلم والنسائي «وجعل لا يلتئم عليه إلا صار مثل الكوة».

قلت: والمعنى أن ا لله أمسك عن الحوت جريان الماء حتى صار كعقد البناء أو كالكوة كما في رواية مسلم وهي الفتحة في الجدار.

السادسة عشرة: قوله «**فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت**» عند مسلم والنسائي «فقال فتاه ألا ألحق بنبي الله ﷺ فأخبره، قال فنسي».

السابعة عشرة: قوله «**فانطلقا بقية يومهما وليلتهما**» يعني أن موسى ﷺ وفتاه سار من حين استيقاضهما هذه المسافة ويوضحه ما يأتي في المسألة:

الثامنة عشرة: قوله «**حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه: آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا».

التاسعة عشرة: قوله «**ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به**» في رواية ابن جريج «قال قد قطع الله عنك النصب» ليست هذه عن سعيد» وعند مسلم والنسائي «فلما تجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ولم يصبه نصب حتى تجاوزا».

العشرون: قوله «**فقال له فتاه أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجباً**». عند مسلم والنسائي «فتذكر فقال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة...الخ الآية».

سيأتي شرحها في أول الباب السابع عشر بعد المائتين.

الحادية والعشرون: قوله «**فكان للحوت سرباً، ولموسى ولفتاه عجباً**» في رواية قتيبة «فكان لفتاه عجبا وللحوت سربا» وإيضاح ذلك ما رواه ابن أبي حاتم من طريق قتادة «قال: عجب موسى أن تسرب حوت مملح في مكتل».

الثانية والعشرون: قوله «**فقال موسى ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا**» سيأتي شرحها ضمن الأثر الرابع من الباب السابع عشر بعد المائتين.

الثالثة والعشرون: قوله «**قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة**» والمعنى عاد موسى وفتاه قافلين من حيث أتيا متتبعين أثرهما وهذا يقتضي أن رجوعهما كان من نفس الطريق الذي سلكاه حتى عادا إلى مجمع

البحرين، ويزيده وضوحاً ما عند النسائي ومسلم «فأراه مكان الحوت فقال ها هنا وصف لي».

الرابعة والعشرون: قوله «**فإذا رجل مسجى ثوباً**» في رواية ابن جريج «فرجعا فوجدا خضراً قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسه خضراء على كبد البحر قال سعيد بن جبير مسجى بثوبه قد جعل طرفة تحتُ رجليه وطرفة تحت رأسه» وعند مسلم والنسائي «فإذا هو بالخضر مسجى ثوباً مستلقياً على القفا».

الخامسة والعشرون: قوله «**فسلم عليه موسى**» وعند مسلم والنسائي «فقال: السلام عليكم» وفيه دليل على أن ابتداء السلام من القادم على صاحب المكان، وأنه أعني السلام من السنن المتفق عليها بين شريعة محمد ﷺ وشرائع من قبله من الأنبياء.

السادسة والعشرون: قوله «**فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام**» في رواية ابن جريج «فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام» وعند مسلم والنسائي «فكشف الثوب عن وجهه فقال: وعليكم السلام من أنت».

قلت: وهذا الإستفهام دليل على استغراب الخضر السلام وأنه لم يعتد ذلك من أهل أرضه لأنهم قوم كفار.

السابعة والعشرون: قوله «**أنا موسى**» في رواية ابن جريج «من أنت؟ قال: أنا موسى» وكذا عند مسلم والنسائي.

قلت: فيه دليل على أن الخضر لم ير موسى من قبل ولم يعرف صفته.

الثامنة والعشرون: قوله «**قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم**» عند مسلم والنسائي «ما جاء بك» وفي رواية ابن جريج «قال نعم، فما شأنك».

قلت: وسؤال الخضر هذا يقتضي أنه عنده علم بخبر موسى عليه الصلاة والسلام وأنه نبي بني إسرائيل وإنما استغرب مجيئه إليه في أرضه.

التاسعة والعشرون: قوله «**أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً**» في رواية قتيبة «هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً» ولا تعارض بينهما لجواز أن كلتا العبارتين قالها موسى واحدة بعد الأخرى، وذلك مبالغة في الطلب وإظهار الحاجة إلى ما عند الخضر.

الثلاثون: قوله «**يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه**» في رواية ابن جريج «أما يكفيك أن التوراة بيدك، وأن الوحي يأتيك...الخ».

قلت: فيه دليل على اعتراف الخضر بما اختص الله به موسى من الوحي والرسالة، وأن كلاً منهما قد أتاه الله من الخصائص ما ليس عند الآخر وأن الخضر ليس على شريعة موسى.

الحادية والثلاثون: قوله «**قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً**» عند مسلم والنسائي «شيء أمرت أن أفعله إذا رأيتني لم تصبر».

قلت: ولهذا قطع موسى على نفسه الوعد بالصبر على اتباعه معلقاً وعده على مشيئة الله.

الثانية والثلاثون: قوله «**فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا**» وعند ابن جرير من طريق العوفيين عن ابن عباس «حتى أبين لك شأنه».

قلت: وهذا الخبر معناه صحيح وإن كان إسناده مسلسلاً عن الضعفاء.

الثالثة والثلاثون: قوله «**فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول**» في رواية قتيبة «فحملوهم في سفينتهم بغير نول ـ يقول بغير أجر ـ» وفي رواية ابن جريج «فقالوا عبد الله الصالح ـ قال قلنا لسعيد: خضر؟ قال نعم لا تحمله بأجر».

الرابعة والثلاثون: قوله «**فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد**

قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم» وفي رواية ابن جريج «فخرقها ووتد فيها وتداً» والجامع بين هذه ورواية الباب أنه قلع اللوح وجعل مكانه وتدا».

قال الحافظ: عند عبد بن حميد من رواية ابن المبارك عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم «جاء بود حين خرقها والود بفتح الواو وتشديد الدال لغة في الوتد» نقله في الفتح.

الخامسة والثلاثون: قوله «**قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً**» في رواية ابن جريج «قال مجاهد: منكراً» وفي رواية الربيع بن أنس عند ابن أبي حاتم «أن موسى لما رأى ذلك امتلأ غضباً وشدّ ثيابه وقال: أردت إهلاكهم، ستعلم أنك أول هالك، فقال له يوشع: ألا تذكر العهد، فأقبل عليه الخضر فقال: ألم أقل لك؟ فأدرك موسى الحلم فقال: لا تؤاخذني، وإن الخضر لما خلصوا قال لصاحب السفينة، إنما أردت الخير فحمدوا رأيه، وأصلحها الله على يده». حكاه الحافظ.

السادسة والثلاثون: قوله «**وكانت الأولى من موسى نسياناً**» في رواية ابن جريج «كانت الأولى نسياناً، والوسطى شرطاً، والثالثة عمداً».

قلت: الأولى قوله أخرقتها لتغرق أهلها ـ إلى قوله ـ لا تؤاخذني بما نسيت، والثانية قوله أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً ـ إلى قوله ـ إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، والثالثة قوله في قصة الجدار لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك.

وعند ابن أبي حاتم من طريق الربيع بن أنس قال «قال الخضر لموسى إن عجلت عليّ في ثلاث فذلك حين أفارقك».

السابعة والثلاثون: قوله «**وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة**» في رواية ابن جريج أن الطائر نقر في البحر عقب قول الخضر لموسى ما يتعلق بعلمهما ولفظه «**فأخذ طائر بمنقاره من البحر فقال: وا لله ما**

علمي وما علمك...الخ».

والجمع بينهما بأن قوله «فأخذ طائر بمنقاره» متعقب بمحذوف وهو ركوبهما السفينة لتصريح رواية الباب بذلك، ويؤيده ما عند النسائي في التفسير من وجه آخر عن ابن عباس أن الخضر قال لموسى: «أتدري ما يقول هذا الطائر؟ قال: لا، قال: يقول: ما علمكما الذي تعلمان في علم الله إلا كمثل ما نقص بمنقاري من جميع هذا البحر».

الثامنة والثلاثون: قوله «**فبينا هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله**» عند مسلم والنسائي «فانطلق إلى أحدهم بادي الرأي فقتله» وفي رواية ابن جريج «وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين».

قلت: فلا تعارض بين هذه الروايات لإمكان الجمع في قتل الغلام بين حز رأسه وقلعه.

التاسعة والثلاثون: قوله «**أقتلت نفسا زاكية بغير نفس...الخ الآية**» في رواية ابن جريج «**قال: أقتلت نفساً زكية لم تعمل بالحنث**» وكان ابن عباس يقرؤها "زكية زاكية مسلمة" كقولك غلاماً زكياً» وعند مسلم والنسائي «فقال رسول الله ﷺ عند هذا المكان: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة».والذمامة هي الحياء والإشفاق من الذم واللوم.

الأربعون: قوله «**وهذا أشد من الأولى**» يعني هذا الأمر الذي هو قتل الغلام أشد من سابقته وهي خرق السفينة.

الحادية والأربعون: قوله «**فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها**».

قلت: فيه دليل على جواز السوال عند الحاجة، وإنه لا غضاضة فيه، وإن

كان السائل شريفاً، كريماً.

الثانية والأربعون: قوله «**فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض**».يقول وجدا في القرية حائطاً يريد أن يسقط، ويقع.يقال منه انقضت الدار إذا انهدمت وسقطت.

الثالثة والأربعون: قوله «**مائل فقام الخضر فأقامه بيده**» في رواية ابن جريج «قال سعيد: بيده هكذا، ورفع يده فاستقام قال يعلى: حسبت أن سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام».

الرابعة والأربعون: قوله «**قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً**».في رواية ابن جريج «قال سعيد: أجراً نأكله».

قلت: وقوله «**ولم يطعمونا ولم يضيفونا**» سببان لاستحقاق مطالبة القوم بالأجرة على البناء.وقد عرفت آنفاً بخلهم ولؤمهم.

الخامسة والأربعون: قوله «**هذا فراق بيني وبينك ـ إلى قوله ـ ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً**».

قلت السياق: **﴿قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأراد ربك ان يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا﴾**.

قلت: وقد تبين من خلال هذه الآيات الخمس ما حمل الخضر على صنيعه في كل حادثة من هذه الحوادث الثلاث، وأنه لم يفعل ذلك من تلقاء نفسه بل بأمر ا لله.

السادسة والأربعون: قوله «**وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص ا لله علينا من خبرهما**».وددنا بفتح الواو وكسر الدال الأولى وسكون الثانية، أي أحببنا وتمنينا.

وقوله «**صبر حتى يقص ا لله علينا من خبرهما**» يعني إذ لو صبر نبي ا لله موسى على ما رأى من فعل صاحبه لرأى العجب من علم الخضر.

السابعة والأربعون: قوله «**قال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك**».

قلت: وكذا أخرجه ابن جرير عن ابن عيينة عن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: «أنه قرأ ذلك وكان أمامهم ملك».

قال ابن جرير بعد ذلك: وقد حمل بعض أهل المعرفة بكلام العرب "وراء" من حروف الأضداد، وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه، واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أيرجوا بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا

بمعنى أمامي.

وقد قدمنا تفسير الوراء في سورة إبراهيم في الأثرالتاسع ضمن الباب السابع والثمانين بعد المائة.

الثامنة والأربعون: قوله «**يأخذ كل سفينة غصباً**».

قلت: عند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية عبد ا لله بن عبيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «وفي قراءة أبي بن كعب: يأخذ كل سفينة صالحة غصباً».

وأخرج عبد الرزاق عن قتادة قال: «وفي حرف ابن مسعود: وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً» وفي رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان «وكان ابن مسعود يقرأ: كل سفينة صحيحة غصباً».حكاها الحافظ في شرحه

للباب الذي بعده.

قلت: وقد اتفقت هذه الروايات على أن ذلك الملك الغاصب لا يأخذ إلا كل سفينة سليمة من العيوب.

التاسعة والأربعون: قوله «**وكان يقرأ: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين**» وفي رواية ابن جريج «كان أبواه مؤمنين وكان كافراً».وعند مسلم والنسائي من رواية إبي إسحاق «وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً كان أبواه قد عطفا عليه».

من فقه الحديث:

أولاً: يجب على من سئل عن شيء لا يعلمه أن يرد علمه إلى الله.

ثانياً: فضيلة موسى ﷺ.

ثالثاً: فضيلة الخضر.

رابعاً: تواضع كل منهما لصاحبه.

خامساً: لا يعلم أحدٌ من الغيب حتى الأنبياء إلا ما علمه الله.

سادساً: أن الواعظ إذا أثّر وعظه في السامعين فخشعوا وبكوا ينبغي أن يخفف لئلا يملوا.

٢١٦ ـ باب ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا﴾].

ش: قوله ﴿**فلما بلغا مجمع بينهما**﴾ يعني تعالى ذكره: فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين.

قال مجاهد: بين البحرين.

وقوله ﴿**نسيا حوتهما**﴾ يعني بقوله نسيا، تركا.

وقوله ﴿**فاتخذ سبيله في البحر سربا**﴾.انتصاب سربا على أنه المفعول الثاني لاتخذ، أي اتخذ سبيلاً سرباً، والسرب النفق الذي يكون في الأرض للضب ونحوه من الحيوانات.

[مذهبا، سَرَبا يسرُب ويسلُكُ ومنه وساربٌ بالنهار].

ش: قاله أبو عبيدة.

٢٤٦ـ حدثنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير ـ يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه عن سعيد بن جبير ـ قال: « إنّا لعند ابن عباس في بيته إذ قال سلوني.قلت: أي أبا عبّاس، جعلني ا لله فداءك، بالكوفة رجل قاصٌ يقال له نوف يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل.أما عمرو فقال لي: قال قد كذب عدوُّ ا لله: وأما يعلى فقال لي: قال ابن عباس حدثني أبيّ بن كعب قال: قال رسول ا لله ﷺ: موسى رسول ا لله عليه السلام قال ذكّر الناس يوماً، حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب وَلّى، فأدركه رجل فقال: أي رسول ا لله، هل في الأرض أحدٌ أعلم منك؟ قال: لا.فعتب عليه إذ لم يَرُدَّ العلمَ إلى ا لله.قيل: بلى.قال: أي ربِّ فأينَ؟ قال: بمجمع البحرين.قال: أي ربِّ اجعلْ لي عَلَماً أعلمُ ذلك به.فقال لي عمرو: قال حيث يفارقك الحوت.وقال لي يعلى قال: خُذ نُوناً ميّتاً حيث يُنفَخُ فيه

الرُّوح.فأخذ حوتاً فجعله في مِكْتَل، فقال لفتاه: لا أُكلّفكَ إلا أن تخبرني بحيث يفارقكَ الحوتُ.قال: ما كلفت كثيرا.فذلك قوله جل ذكره ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ يوشع بن نون ـ ليست عن سعيد ـ قال: فبينا هو في ظلِّ صخرة في مكان ثَرْيانَ إذ تَضَرَّب الحوتُ وموسى نائم؛ فقال فتاه: لا أوقظهُ.حتى إذا استيقظ نسي أن يخبره، وتضرب الحوت حتى دخل البحر، فأمسك ا لله عنه جرية البحر حتى كأنَّ أثره في حجر.قال لي عمرٌو:هكذا كأن أثره في حجَر ـ وحلق بين إبهامَيه واللتين تَليانهما ـ ﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا﴾ قال قد قطع ا لله عنك النصب ـ ليست هذه عن سعيد ـ أخبره، فرجعا، فوجدا خضِراً.قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر، قال سعيدُ بن جبير: مُسَجًّى بثوبه قد جعل طَرَفهُ تحتَ رجليه وطرفه تحتَ رأسِه، فسلّم عليه موسى، فكشف عن وجهه وقال: هل بأرضي من سلام؟ من أنت؟ قال: أنا موسى.قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.قال: فما شأنك؟ قال: جئتُ لتعلّمني مما علّمت رشداً.قال: أما يكفيك أنَّ التوراةَ بيدَيك، وأنّ الوحي يأتيك؟ يا موسى إنَّ لي علماً لا ينبغي لك أن تَعْلَمَهُ، وإنَّ لك علماً لا ينبغي لي أن أعلمه.فأخذ طائرٌ بمنقارهِ من البحر، فقال: وا لله ما علمي وما علمك في جنب علم ا لله إلا كما أخذ هذا الطائرُ بمنقارهِ من البحر.حتى إذا ركبا في السفينة وَجدا مَعابرَ صغاراً تحملُ أهلَ هذا الساحلِ إلى أهل الساحل الآخر عرفوه، فقالوا: عبد ا لله الصالح ـ قال: قلنا لسعيد: خَضِرٌ؟ قال: نعم ـ لا نحمله بأجر، فخرقها ووتدَ فيها وتدا.قال موسى: أخرقتها لتغرق أهلها؟ لقد جئت شيئاً إمراً ـ قال مجاهد: منكراً ـ قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟ كانت الأولى نسياناً والوسطى شرطاً والثالثة عمداً.قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عُسرا.لقيا غلاماً فقتله.قال يعلى قال سعيد: وجد غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً كافراً ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكّين.قال: أقتلت نفساً

زكيةً بغير نفس لم تعمل باخنث.وكان ابن عباس قرأها زَكيةً زاكية مسلمة كقولك غلاماً زَكيا فانطلقا فوجدا جداراً يريد أن ينقضَّ فأقامه، قال سعيد بيده هكذا ورفع يده فاستقام، قال يعلى حسبتُ أنّ سعيداً قال فمسحه بيده فاستقام.لو شئت لاتخذت عليه أجراً.قال سعيد: أجراً نأكلهُ.وكان وراءهم، وكان أمامهم - قرأها ابن عباس أمامهم - مَلِكٌ.[يزعمون عن غير سعيد أنه هُدَد بن بُدَد، والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور] مَلِكٌ يأخذ كل سفينة غصبا.فأردتُ إذا هي مرّت به أن يدعها لعيبها، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها.ومنهم من يقول سَدُّوها بقارورة، ومنهم من يقول بالقار.كان أبواه مؤمنين وكان كافراً، فخشينا أن يرهقهما طُغياناً وكفرا: أن يحملَهما حبّه على أن يُتابعاه على دينه، فأردنا أن يبدّلهما ربُّهما خيراً منه زكاةً لقوله أقتلت نفساً زكية - وأقرب رُحما.:هما به أرحمُ منهما بالأول الذي قتلَ خَضِرٌ.وزعم غير سعيد أنهما أُبدِلا جارية.وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد: إنها جارية ››.

ش:فيه تسع مسائل:

الأولى: قوله ‹‹**وكان ابن عباس قرأها زكية زاكية مسلمة**››

قلت: هما قراءتان صحيحتان فالأولى قراءة الأكثر، والثانية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

وقوله ‹‹**مسلمة**›› تفسير لزكية زاكية ومراده أن تلك النفس معصومة.

الثانية: قوله ‹‹**يزعمون عن غير سعيد أنه هدد بن بدد**›› القائل ذلك هو ابن جريج ومراده أن تسمية الملك الذي كان يأخذ السفن لم تقع في رواية سعيد وقد عزاه ابن خالويه في كتاب "ليس" لمجاهد.

وهدد في الروايات بضم الهاء وحكى ابن الأثير فتحها والدال مفتوحة، اتفاقاً.ووقع عند ابن مردويه بالميم بدل الهاء، وأبوه بدد بفتح الموحدة، وجاء في

تفسير مقاتل أن اسمه منولة بن الجلندي بن سعيد الأزدي، وقيل هو الجلندي وكان بجزيرة الأندلس.قاله في الفتح.

الثالثة: قوله «**والغلام المقتول اسمه يزعمون جيسور**» وكذا أخرجه ابن جرير عن وهب بن سليمان عن شعيب الجبئي » وفيه أقوال أخرى ذكرها الحافظ.

الرابعة: قوله «**فأردنا أن يبدّلهما ربهما خيراً منه زكاة وأقرب رحما**» اختلفت القرّاء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من قراء المكيين والمدنيين والبصريين ﴿**فأردنا أن يبدّلهما ربهما**﴾ بتشديد الدال، وقرأها عامة قراء الكوفة ﴿**فأردنا أن يبدلهما**﴾ بتخفيف الدال، وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول: أبدل يبدل بالتخفيف، وبدّل يبدّل بالتشديد بمعنى واحد، والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.قاله ابن جرير.

الخامسة: قوله «**خير منه زكاة**» أي خيراً من الغلام الذي قتله صلاحاً وديناً.

السادسة: قوله «**وأقرب رحماً**» فسره بقوله هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل الخضر وأخرج ابن جرير عن ابن جريج نحوه.

السابعة: قوله «**زعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية**» في رواية الإسماعيلي من هذا الوجه، قال ويقال أيضاً عن سعيد بن جبير: أنها جارية، وللنسائي من طريق أبي إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس «فأبدلهما ربهما خيرا منه زكاة قال: أبدلهما جارية فولدت نبيا من الأنبياء».

الثامنة: قوله «**داود بن أبي عاصم**» هو داود بن أبي عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي المكي، ثقة من الثالثة.أخرج له البخاري تعليقاً، وأبو داود، والنسائي.

التاسعة: قوله «**قال عن غير واحد أنها جارية**» **قلت**: هو قول عمرو بن قيس ويعقوب بن عاصم وسعيد بن جبير وقال ابن جريج وقتادة: هو غلام مسلم أخرجهما ابن جرير.

فائدة في ترجمة الخضر ﷺ.

والخضر قد اختلف في اسمه وفي اسم أبيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره، فقال وهب بن منبه: هو **بليا** بفتح الموحدة وسكون اللام بعدها تحتانية، ووجد بخط الدمياطي في أول الاسم بنقطتين، وقيل كالأول بزيادة ألف بعد الباء، وقيل اسمه إلياس، وقيل اليسع، وقيل عامر، وقيل خضرون ـ والأول أثبت ـ ابن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ ابن أرفشخذ بن سام بن نوح، فعلى هذا فمولده قبل إبراهيم الخليل لأنه يكون ابن عم جد إبراهيم،.وقيل اسمه خضرون بن عاييل بن معمر بن عيصو بن إسحاق بن إبراهيم، وقيل كان أبوه فارسياً رواه الطبري من طريق عبد الله بن شوذب، وحكى ابن المظفر في تفسيره أنه كان من ذرية بعض من آمن بإبراهيم.

وحكى ابن عطية والبغوي عن أكثر أهل العلم أنه نبي، ثم اختلفوا هل هو رسول أم لا؟ وقالت طائفة منهم القشيري هو ولي.

وقال الطبري في تاريخه: كان الخضر في أيام أفريدون في قول عامة علماء الكتاب الأول، وكان على مقدمة ذي القرنين الأكبر.

وأخرج النقاش أخباراً كثيرة تدل على بقائه لا تقوم بشيء منها حجة قاله ابن عطية، قال: ولو كان باقياً لكان له في ابتداء الإسلام ظهور، ولم يثبت شيء من ذلك.

وقال القرطبي: هو نبي عند الجمهور والآية تشهد بذلك، لأن النبي ﷺ لا يتعلم ممن هو دونه، ولأن الحكم بالباطن لا يطلع عليه إلا الأنبياء.

والذي جزم بأنه غير موجود الآن البخاري، وإبراهيم الحربي، وأبو جعفر

بن المنادى، وأبو يعلى بن الفراء، وأبو طاهر العبادي، وأبو بكر بن العربي، وطائفة، وعمدتهم الحديث المشهور عن ابن عمر وجابر وغيرهما أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو عليها اليوم أحد» قال ابن عمر: أراد بذلك انخرام قرنه.

ومن حجج من أنكر ذلك قوله تعالى ﴿**وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ وحديث ابن عباس «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه» أخرجه البخاري ولم يأت في خبر صحيح أنه جاء إلى النبي ﷺ ولا قاتل معه، وقد قال ﷺ: «رحم الله موسى لوددنا لو كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما» فلو كان الخضر موجوداً لما حسن هذا التمني ولأحضره بين يديه وأراه العجائب وكان أدعى لإيمان الكفرة لا سيما أهل الكتاب.

٢١٧- [باب ﴿فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت﴾].

ش: تمامها ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره، واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**فلما جاوزا**﴾ موسى وفتاه مجمع البحرين قال موسى لفتاه يوشع: ﴿**آتنا غداءنا**﴾ يقول: جئنا بغدائنا واعطنا وقال ءاتنا غداءنا كما يقال أتى الغداء وأتيت مثل ذهب وأذهبته ﴿**لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً**﴾ يقول: لقد لقينا من سفرنا هذا عناءً وتعبا.وقال ذلك موسى فيما ذكر بعدما جاوز الصخرة حين ألقي عليه الجوع ليتذكر الحوت ويرجع إلى موضع مطلبه وقوله ﴿**أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت**﴾ يقول تعالى ذكره قال فتى موسى لموسى حين قال له أتنا غداءنا لنطعم أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت هنالك ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان**﴾ يقول وما أنساني الحوت إلا الشيطان أن أذكره "فأن" في موضع نصب رداً على الحوت وقوله ﴿**واتخذ سبيله في البحر عجبا**﴾ انتصاب عجبا على أنه المفعول الثاني كما مرّ في سربا والظرف في محل نصب على الحال يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أخبر موسى أن الحوت اتخذ سبيله عجبا للناس وموضع التعجب أن يحيا حوت قد مات وأكل شقه، ثم يثب إلى البحر ويبقى أثر جريته في الماء لا يمحو أثرها جريان ماء البحر ويحتمل أن يكون من كلام ا لله سبحانه لبيان طرف آخر من أمر الحوت فيكون ما بين الكلامين إعتراضاً.اهـ من ابن جرير.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١- [﴿**صنعا**﴾ **عملا**].

ش: قاله أبو عبيدة وزاد: والصنع والصنعة والصنيع واحد.

والآية المشار إليها: ﴿**قل هل أنبؤكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل**

سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾

٢- [**﴿حِوَلا﴾ تحولا**].

ش: قال أبو عبيدة: أي لا يريدون ولا يحبون عنها تحولاً.

والآية المشار إليها: **﴿خالدين فيها لا يبغون عنها حولا﴾**.

٣- [**﴿قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثرهما قصصا﴾**].

ش: يقول تعالى ذكره فقال موسى لفتاه **﴿ذلك ﴾** يعني بذلك نسيانك الحوت **﴿ما كنا نبغ﴾** يقول الذي كنا نلتمس ونطلب، لأن موسى كان قيل له صاحبك الذي تريده حيث تنسى الحوت.

وقوله **﴿فارتدا على أثارهما قصصا﴾** يقول: فرجعا في الطريق الذي كانا قطعاه ناكصين على أدبارهما يقصان آثارهما التي كانا سلكاها.

٤- [**﴿إمرا﴾ و ﴿نكرا﴾ داهية**].

ش: قاله أبو عبيدة وأشار بالكلمةالأولى إلى الآية الحادية والسبعين وبالكلمة الثانية إلى الآية الرابعة والسبعين.

٥- [**﴿ينقض﴾ ينقاض كما تنقاض السن**].

ش: قال أبو عبيدة: مجازه يقع يقال نقضت الدار إذا انهدمت وسقطت وقرأ قوم أن ينقاض ومجازه أن يتقلع من أصله ويتصدع بمنزلة قولهم انقاضت السِّن أي: انصدعت وتقلعت من أصلها.اهـ.

قلت: وحكى هذه القراءة ابن جرير عن يحيى بن يعمر.

٦- [**﴿لتَخِذْتَ﴾ ﴿واتَّخذت﴾ واحد**].

ش: حكى القراءتين ابن جرير فقال: قرأته عامة قراء أهل المدينة والكوفة **﴿لو شئت لتخذت﴾**، وقرأه بعض أهل البصرة **﴿لو شئت لتخذت﴾** بتخفيف التاء وكسر الخاء.

والآية المشار إليها: **﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا**

أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجرا﴾.

٧- [﴿رُحْما﴾ من الرحم وهي أشد مبالغة من الرحمة ونظن أنه من الرحيم وتدعى مكة أم رُحم أي الرحمة تنزل بها].

ش: حاصل كلامه أن رحماً من الرحم التي هي القرابة وهي أبلغ من الرحمة التي هي رقة القلب لأنها تستلزمها غالبا من غير عكس.

وقوله ويظن مبني للمجهول، وقوله مشتق من الرحمة أي التي أشتق منها الرحيم وقوله أم الرحم بضم الراء والسكون وذلك لتنزل الرحمة بها ففيه تقوية لما اختاره من أن الرحم من القرابة لا من الرقة.أهـ من الفتح.

٢٤٧ـ حدثني قتيبة بن سعيد، حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، قال: « قلت لابن عباس إنّ نوفاً البكالي يزعم أن موسى بني اسرائيل ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ قال: قام موسى خطيباً في بني إسرائيل، فقيل له: أيُّ الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى عبدٌ من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال : أي ربِّ كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتاً في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتبعه قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها، قال فوضع موسى رأسه فنام.قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عينٌ يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حَيِي، فاصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى قال لفتاه: آتنا غداءنا.الآية.قال ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به.قال له فتاه يوشع بن نون: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت...الآية.قال فرجعا يقصان في آثارهما، فوجدا في البحر

كالطاق ممر الحوت، فكان لفتاه عجبا، وللحوت سرباً.قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذ هما برجل مسجًّى بثوب، فسلم عليه موسى، قال: وأني بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ قال له الخضر: يا موسى، إنك على علم من علم ا لله علّمكه ا لله لا أعلمه، وأنا على علم من علم ا لله علمنيه ا لله لا تعلمه.قال: بل أتبعك.قال: فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا.فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهما سفينة، فعُرف الخضر، فحملوهم في سفينتهم بغير نول ـ يقول بغير أجر ـ فركبا السفينة، قال ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم ا لله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره.قال: فلم يفجأ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم فخرق السفينة، فقال له موسى: قومٌ حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها، لقد جئت..الآية.فانطلقا، إذا هما بغلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه فقطعه، قال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟ لقد جئت شيئاً نكراً قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً ـ إلى قوله ـ فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض، فقال بيده هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا، لو شئت لاتخذت عليه أجراً.قال: هذا فراق بيني وبينك، سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً.فقال رسول ا لله ﷺ: وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما. قال وكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وأما الغلام فكان كافراً».

تقدم شرحه مستوفى في البابين قبله.

٢١٨- [باب **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾**].

ش: تمام السياق **﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ **﴿قل﴾** يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود والنصارى **﴿هل ننبئكم﴾** أيها القوم **﴿بالأخسرين أعمالا﴾** يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلاً، فنالوا به عطباً وهلاكاً ولم يدركوا طلباً كالمشتري سلعة يرجو بها فضلا وربحا فخاب رجاؤه وخسر بيعه ووكس في الذي رجا فضله.

وقوله **﴿الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا﴾** يقول هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة بل كان على جور وضلال وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به.

وقوله **﴿وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا﴾** يقول وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون.وفيما ندب عباده إليه مجتهدون وهذا من أدل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر.بعد العلم بوحدانيته وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالة وقد كانوا يحسبون أنهم يحسنون في صنعهم ذلك وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي اخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعاً كانوا مثابين مأجورين ولكن القول بخلاف ما قالوا.فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة وأن أعمالهم حابطة. قاله أبن جرير.

فائدة:

قال ابن القيم: «وهذا حال أرباب الأعمال التي كانت لغير الله عزوجل، أو على غير سنة رسول الله ﷺ، وحال أرباب العلوم والأنظار التي لم يتلقوها عن مشكاة النبوة، ولكن تلقوها عن زبالة أذهان الرجال وكناسة أفكارهم، فاتبعوا قواهم وأفكارهم وأذهانهم في تقرير أراء الرجال، والانتصار لهم، وفهم ما قالوه وبثه في المجالس والمحاضر، وأعرضوا عما جاء به الرسول ﷺ صفحاً، ومن به رمق منهم يعيره أدنى التفات طلبا للفضيلة، وأما تجريد اتباعه وتحكيمه وتفريغ قوى النفس في طلبه وفهمه، وعرض آراء الرجال عليه ورد ما يخالفه منها وقبول ما وافقه، ولا يلتفت إلى شيء من آرائهم وأقوالهم إلا إذا أشرقت عليها شمس الوحي، وشهد لها بالصحة، فهذا أمر لا تكاد ترى أحداً منهم يحدث به نفسه، فضلا عن أن يكون أخيته ومطلوبه، وهذا الذي لا ينجى سواه فوارحمتا لعبد شقي في طلب العلم، واستفرغ فيه قواه، واستنفذ فيه أوقاته، وآثره على ما الناس فيه، والطريق بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسدود، وقلبه عن المرسل سبحانه وتعالى وتوحيده والإنابة إليه والتوكل عليه والتنعم بحبه والسرور بقربه مطرود، ومصدود، وقد طاف عمره كله على أبواب المذاهب فلم يفز إلا بأخس المطالب. سبحان الله وإن هي والله إلا فتنة أعمت القلوب عن مواقع رشدها، وحيرت العقول عن طرق قصدها».

٢٤٨ـ حدثني محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب[(١)] بن سعد قال: « سألت أبي[(٢)] ﴿قل هل ننبئكم

---

(١) هو أبو زرارة مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري المدني، ثقة من الثالثة أرسل عن عكرمة بن أبي جهل مات سنة ثلاث ومائة. ع.

(٢) هو أبو إسحاق سعد بن مالك بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري أحد العشرة وأول من رمي بسهم في سبيل الله، ومناقبه كثيرة، مات بالعقيق سنة خمس وخمسين على المشهور وهو آخر العشرة وفاة. ع.

بالأخسرين أعمالا﴾ هم الحرورية؟ قال: لا..هم اليهود والنصارى، أما اليهود فكذّبوا محمد ﷺ وأما النصارى: كفروا بالجنة وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ».وكان سعد يسميهم الفاسقين.

ش: فيه ست مسائل:

الأولى: قوله «**سألت أبي**» كذا أخرجه ابن جرير من هذا الوجه، وعند النسائي في تفسير سورة الكهف من رواية يزيد بن هارون عن شعبة «سأل رجل أبي»، ويبدو لي والعلم عند الله أن سؤال سعد عن هذه الآية وقع مرتين أحداهما من ولده مصعب والأخرى من غيره وحكاهما مصعب.

الثانية: قوله «**هم الحرورية**» نسبة إلى حروراء وهي قرية قرب الكوفة ظهر فيها الخوارج على عليّ ثم صار هذا الوصف لازماً لكل خارجي.

قال الحافظ: «ولابن مردويه من طريق حصين بن مصعب: «لما خرجت لحرورية...» ولعل هذا هو السبب في سؤال مصعب أباه عن ذلك، وليس الذي قاله عليّ ببعيد لأن اللفظ يتناوله وإن كان السبب مخصوصاً» انتهى من الفتح.

قلت: وخسران الخوارج واقع بمجانبتهم النص والإجماع في تكفير الفاسق الملّي وإشهار السيف على من ولي أمر المسلمين لفسقه.

الثالثة: قوله: «**لا.. هم اليهود والنصارى**» **قلت:** واعلم أن أهل العلم بالتأويل اختلفوا في المعنيّ بهذه الآية من هم على أقوال ثلاثة:

أحدها: أنهم الرهبان والقسس، وبه قال علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص.

وثانيها: أنهم جميع أهل الكتابين، وبه قال علي وسعد في الرواية الثانية عنهما وهو موافق لرواية الباب.

وثالثها: أنهم الخوارج وبه قال علي في الرواية الثالثة عنه.

حكى هذه الأقوال ابن جرير واختار أنها عامة في كل من عمل عملاً يحسبه فيه مصيباً وهو بفعله ذلك مسخطاً لله.

الرابعة: قوله «**أما اليهود فكذبوا محمدا ﷺ**».

قلت: من ذلك ما أخبر الله عنهم بقوله ﴿**ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به، فلعنة الله على الكافرين**﴾.

قال ابن عباس وأبو العالية، وسعيد بن جبير وغير واحد من أهل التفسير قالوا إنها في اليهود.

قلت: والآيات في تكذيب اليهود رسول الله ﷺ أشهر من أن تذكر ومتواتر السنة أشهر من أن يحصر.

الخامسة: قوله «**وأما النصارى كفروا بالجنة وقالوا ليس فيها طعام ولا شراب**» في رواية ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مرة عن مصعب قال هم عباد النصارى قالوا ليس في الجنة طعام ولا شراب.

السادسة: قوله: «**والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين**».

قلت: هذا دليل على أن سعداً رضي الله عنه لا يرى كفر الخوارج وعلى ذلك أجمع أهل السنة والجماعة وعدوهم في أهل الأهواء.

قال ابن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى، أربعة أهواء: فمن هذه الأربعة أهواء إنشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى، القدرية والمرجئة والشيعة والخوارج نقله البربهاري في شرح السنة.

٢١٩ـ [باب ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم﴾].

ش: تمامها **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾**.

قوله **﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه﴾** أي جحدوا آيات الله في الدنيا وبراهينه التي أقام على وحدانيته، وصدق رسله وكذبوا بالله والآخرة.

وقوله **﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾** أي لا نثقل موازينهم لأنها خالية عن الخير. اهـ من ابن كثير.

٢٤٩ـ حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا المغيرة، قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾.

وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله.

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين**» قال الحافظ وعند ابن مردويه من وجه آخر عن أبي هريرة «**الطويل العظيم الأكول الشروب**» حكاه في الفتح.

الثانية: قوله «**لا يزن عند الله جناح بعوضة**» فيه دليل على وقوع الوزن على الأشخاص، وفي المسند عن ابن مسعود ﷺ: أنه كان يجني سواكاً من الآراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه فقال رسول الله ﷺ: مم تضحكون؟ قالوا يا نبي الله من دقة ساقيه، فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»

واعلم أن الميزان يوم القيامة ثابت بالكتاب والسنة، وإجماع أهل الحق قال الله تعالى: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان**

مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين﴾.

وقال تعالى: **﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون﴾.**

وأحاديثه متواترة ومنها غير حديث الباب، وحديث ابن مسعود المتقدم، ما رواه أحمد والحاكم وغيرهما عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مد البصر». الحديث وفيه «فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم».

قلت: ولا تعارض بين هذه الأخبار وما في معناها فإن الوزن يكون للعمل والعامل وصحيفة العمل. ولم ينكره إلا المعتزلة وفسروا الميزان بالعدل وما تقدم من الأدلة وما في معناها حجة عليهم. والنصوص صريحة بأنه ميزان على حقيقته وله كفتان.

وما أحسن ما قاله ابن أبي العز وهو يشرح قول الطحاوي: «ونؤمن بالبعث وجزاء الأعمال يوم القيامة والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب والصراط والميزان» اهـ.

حيث قال ابن أبي العز ـ رحمه الله ـ (ص ٤١٩):

«فعلينا الإيمان بالغيب، كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع لخفاء الحكمة عليه ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال والفوال وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله لجميع عباده فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك

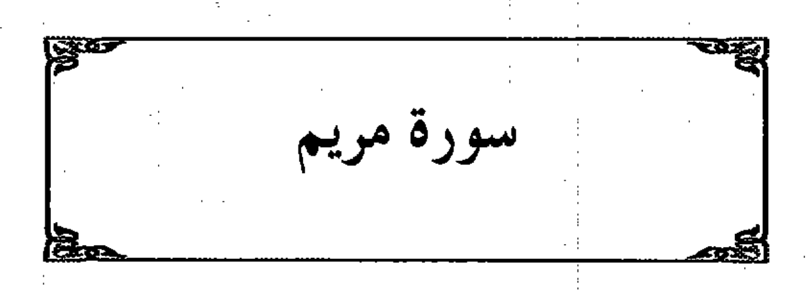
من حكم مالا اطلاع عليه»اهـ.

الثالثة: قوله «**اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا﴾**».

هذا يحتمل أن يكون من كلام النبي ﷺ، ويحتمل أن يكون من كلام الصحابي، فهو على الأول نص بأن ذلك الموزون من الكفار وعلى الثاني فهو استدلال من الصحابي بالآية على ما فهمه من أنه الكافر.وظاهر الآية يقتضي ذلك وا لله أعلم.

وقول البخاري «**وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد مثله**» هو معطوف على سعيد بن أبي مريم والتقدير حدثنا محمد بن عبد ا لله عن سعيد بن أبي مريم وعن يحيى بن بكير، وبهذا جزم أبو مسعود، ويحيى بن بكير هو ابن عبد ا لله بن بكير نسب لجده وهو من شيوخ البخاري أيضاً، وربما أدخل بينهما واسطة كهذا، وجوَّز غير أبي مسعود أن تكون طريق يحيى هذه معلقة، وقد وصلها مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، حدثني أبو بكر بن إسحاق، حدثنا يحيى بن بكير، حدثني المغيرة يعني الحزامي، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة فذكره.

آخر تفسير سورة الكهف والحمد لله.



سورة مريم

٢٢٠ـ باب سورة مريم بسم الله الرحمن الرحيم

ش: شاهد التسمية قوله تعالى ﴿**واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً**﴾.

وقد روى محمد بن إسحاق في السيرة من حديث أم سلمة وأحمد بن حنبل عن ابن مسعود في قصة الهجرة إلى أرض الحبشة من مكة أن جعفر بن أبي طالب ﷺ قرأ هذه السورة على النجاشي وأصحابه وحديث ابن مسعود المتقدم في سورة بني إسرائيل.

قال ابن عباس: أنزلت بمكة سورة كهيعص، أخرجه النحاس وابن مردويه.

عدد آياتها ثمان وتسعون.

شرح جملة من الآثار والكلمات:

١ـ [قال ابن عباس ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الله يقوله، وهم اليوم لا يسمعون ولا يبصرون].

ش: وصله ابن أبي حاتم من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس. حكاه في الفتح.

قلت: وأخرجه ابن جرير عن قتادة بلفظ «ذاك والله يوم القيامة، سمعوا حين لا ينفعهم السمع وأبصروا حين لا ينفعهم البصر».

وعن ابن زيد بلفظ «هذا يوم القيامة، فأما الدنيا فلا. كانت على أبصارهم غشاوة، وفي آذانهم وقر في الدنيا، فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا».

٢ـ [﴿في ضلال مبين﴾ يعني قوله ﴿أسمع بهم وأبصر﴾ الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره].

ش: وصله ابن أبي حاتم من الطريق السابق، وأخرجه عبد الرزاق قال: أنا معمر عن قتادة «في قوله تعالى **﴿أسمع بهم وأبصر﴾** قال: أسمع قوم وأبصرهم».

والآية المشار إليها: **﴿أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين﴾**.

٣ـ [﴿لأرجمنك﴾ لأشتمنك].

ش: أخرجه ابن جرير عن ابن جريج قال بالقول لأشتمنك.

وأخرج عن السدي نحوه.

ووصله ابن أبي حاتم بالإسناد السابق عن ابن عباس بلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: **﴿قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا﴾**.

٤ـ [﴿ورئيا﴾ منظراً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.

وقال الحسن «الرئي» المال، وقال قتادة: أكثر أموالاً.أخرجهما ابن جرير أيضاً.

والآية المشار إليها: **﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾**.

٥- [**وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نهيه حتى قالت ﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾**].

ش: وصله عبد بن حميد من طريق عاصم قال: «قرأ أبو وائل **﴿إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا﴾** قال لقد علمت...الخ» فذكره.حكاه في الفتح.

وأخرجه ابن جرير عن ابن زيد كلفظ المصنف.

والآية المشار إليها: **﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً﴾**.

٦- [**وقال ابن عيينة: ﴿تؤزهم أزا﴾ تزعجهم إلى المعاصي إزعاجاً**].

ش: كذا هو في تفسير ابن عيينة.

وأخرجه ابن جرير عن قتادة وقال ابن عباس والضحاك: تغريهم إغراء.أخرجه عنهم ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزاً﴾**.

٧- [**وقال مجاهد: ﴿لداً﴾ عوجاً**].

ش: وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله.قاله الحافظ.

قلت: وأخرج ابن جرير حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى، وحدثني الحارث، ثنا الحسن، ثنا ورقاء جميعاً عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله **﴿لداً﴾** قال: لا يستقيمون.والعبارتان متفقتان في المعنى.

وأخرج عنه من طريق ليث قال: فجاراً ظلمة».وأخرج هذا المعنى أيضاً عن ابن عباس وقتادة وابن زيد.

والآية المشار إليها: ﴿**فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً**﴾.

٨- [**قال ابن عباس: ﴿وردا﴾ عطاشاً**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثني عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

كما أخرجه عن أبي هريرة والحسن وسفيان، وأخرج عن قتادة نحوه.

والآية المشار إليها: ﴿**ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً**﴾.

٩-[**﴿أثاثاً﴾ مالاً**].

ش: أخرجه ابن جرير بهذا اللفظ عن ابن عباس، وأخرج عن الحسن: الأثاث أحسن المتاع.

وقال مجاهد: المتاع، وقال أبو عبيدة مثل قول الحسن ومجاهد، وزاد: وهو جيد المتاع.

وقد سبقت الآية المشار إليها ضمن الأثر الرابع.

١٠- [**﴿إداً﴾ قولاً عظيماً**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني علي، ثنا عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.وأخرجه أيضاً عن مجاهد وقتادة.

والآية المشار إليها: ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً إداً**﴾.

١١- [**﴿ركزاً﴾ صوتاً**].

ش: أخرجه ابن جرير بالإسناد السابق عن ابن عباس.وأخرجه أيضاً عن قتادة والضحاك.

والآية المشار إليها: ﴿**وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد**

أو تسمع لهم ركزاً﴾.

١٢- [**وقال مجاهد: ﴿فليمدد﴾ فليدعه**].

ش: أخرجه ابن جرير: حدثني محمد بن عمرو، ثنا أبو عاصم، ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بلفظ «فليدعه الله في طغيانه».

والآية المشار إليها: **﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾**.

١٣- [**﴿غياً﴾ خسراناً**].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي، ثنا عبد الله، ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس فذكره.

وهو **أحد** أقوال ثلاثة حكاها عن أهل التفسير.

وثانيها: أنه اسم واد من أودية جهنم، أو بئر من آبارها وهو قول عبد الله بن عمرو وابن مسعود.

وثالثها: أنه بمعنى الشر وبه قال ابن زيد.ثم قال ابن جرير بعد حكاية هذه الأقوال: وكل هذه الأقوال متقاربات المعاني، وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبي ﷺ والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم، فقد لاقى خسراناً وشراً حسبه به شراً.

والآية المشار إليها: **﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾**.

١٤- [**﴿بكيّاً﴾ جماعة باك**].

ش: قال أبو عبيدة: جمع باك.

والآية المشار إليها: **﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل وممن هدينا واجتبينا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً﴾**.

١٥- [**﴿صِلِيّا﴾ صَلَي يصلَى**].

ش: قال أبو عبيدة: «مصدر صليت تصلي، خرج مخرج فعلت فعولا، ولا يظهرون في هذا أيضاً الواو».اهـ

قلت: فعلى هذا فأصل الكلمة «صلوى»، اجتمعت الواو والياء في كلمة واحدة فسبقت أحداهما بالسكون فقلبت الواو ياءً.

والآية المشار إليها: **﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صليا﴾**.

١٦- [**﴿ندياً﴾ والنادي واحد مجلساً**].

ش: قاله أبو عبيدة مع تقديم وتأخير.

قلت: وفسر الندي بالمجلس كل من ابن عباس ومجاهد وقتادة.أخرجه عنهم ابن جرير.

والآية المشار إليها: **﴿وإذا تتلى عليهم ءاياتنا بينات قال الذين كفروا للذين ءامنوا أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾**.

٢٢١- [باب ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾].

ش: تمامها: ﴿إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون﴾.

قوله ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم، على ما فرطوا في جنب الله، وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له، وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار، وأيقن الفريقان بالخلود الدائم، والحياة التي لا موت بعدها، فيا لها حسرة وندامة» اهـ من ابن جرير.

وقوله ﴿إذ قضي الأمر﴾ الآية أي فصل بين أهل الجنة وأهل النار، ودخل كل إلى ما صار إليه فخلد فيه. ﴿وهم﴾ أي اليوم. ﴿في غفلة﴾ عما أنذروا به. ﴿وهم لا يؤمنون﴾ أي لا يصدقون به».اهـ من ابن كثير.

٢٥٠- ثنا عمر بن حفص بن غياث، حدثنا أبي، حدثنا الأعمش،حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، ثم قرأ ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة - (وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا) - وهم لا يؤمنون﴾.

ش: **فيه ثمان مسائل:**

الأولى: قوله «**يؤتى بالموت**» وعند النسائي في باب ﴿**وأنذرهم يوم الحسرة**﴾ من طريق الأعمش «إذا دخل أهل النار، النار وأدخل أهل الجنة، الجنة يجاء بالموت» فبان بهذا بأن الإتيان به بعد دخول كل من الفريقين مأواه، ويدل له ما رواه المصنف في باب صفة الجنة والنار من الرقاق عن ابن عمر أن النبي ﷺ

قال: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت».

الثانية: قوله «**كهيئة كبش أملح**» عند مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها من رواية أبي معاوية، والترمذي من رواية النضر بن إسماعيل، والنسائي من رواية محمد ـ غير منسوب ـ «كأنه كبش أملح» وزاد الترمذي «حتى يوقف على السور»، والأملح قيل هو الأبيض الخالص، وقيل هو الذي فيه بياض وسواد، وبياضه أكثر.

الثالثة: قوله «**فينادي مناد**» وعند المصنف في باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب من الرقاق «ثم يقوم مؤذن بينهم».

الرابعة: قوله «**فيشرئبون**» أي يرفعون رؤوسهم إلى المنادي.

الخامسة: قوله «**وكلهم قد رآه**» أي عاين الموت وأبصره ويظهر أن ذلك كان قبل النداء بدليل قوله قبل «هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت».

السادسة: قوله «**فيذبح**» عند الترمذي «فيضجع فيذبح».

قلت: ويظهر أن مكان هذا الذبح على سور بين الجنة والنار ويدل له ما قدمناه من رواية الترمذي في المسألة الثانية «حتى يوقف على السور بين الجنة والنار».

السابعة: قوله «**يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**» عند المصنف في الرقاق من حديث ابن عمر «يا أهل الجنة لا موت، يا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم». وعند الترمذي من رواية النضر بن إسماعيل «فلولا أن الله قضى لأهل الجنة الحياة فيها والبقاء لماتوا فرحاً، ولولا أن الله قضى لأهل النار الحياة فيها والبقاء لماتوا ترحا».

قال مقيده: واعلم هدانا الله وإياك إلى صواب الأقوال والأعمال أن المقضي عليه بالخلود في النار هم الكفار وليس عموم العصاة، ويؤيده ما رواه

أحمد ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس ـ أو كما قال ـ تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة».

قلت: والأخبار في هذا الباب متواترة وهي حجة على أن الفاسق الملي لا يخلد في النار إذا دخلها.

الثامنة: قوله «**ثم قرأ ﴿وأنذرهم﴾**»

قلت: القارئ هو النبي ﷺ، ويؤيده ما جاء عند الترمذي وفيه «قرأ رسول الله ﷺ **﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾**».

فائدة:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهذا الكبش والإضجاع، والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كما أخطأ فيه بعض الناس خطأً قبيحاً.وقال: الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح؛ فإن الله سبحانه ينشئ من الموت صورة كبش يذبح كما ينشئ من الأعمال صوراً معاينة يثاب بها ويعاقب والله تعالى ينشئ من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشئ من الأجسام أعراضاً، كما ينشئ سبحانه من الأعراض أعراضاً ومن الأجسام أجساماً.

فالأقسام الأربعة ممكنة مقدورة للرب تبارك وتعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال: إن الذبح لملك الموت.فهذا كله من الاستدراك الفاسد على الله ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل، وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه، فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض تذبح.

وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح، و لم

يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن ا لله سبحانه ينشئ من الأعراض أجساماً يجعلها مادة لها، كما في الصحيح عنه ﷺ «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث.فهذه هي القراءة التي ينشئها ا لله سبحانه غمامتين.

وكذلك قوله في الحديث الآخر: «إن ما تذكرون من جلال ا لله من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن». ذكره أحمد.

وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها: «فيقول من أنت؟ فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء».وهذا حقيقة لا خيال، ولكن ا لله أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة، وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ ا لله سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يردِ به النص، فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل.

وقال سعيد عن قتادة: بلغنا أن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له: من أنت؟ فوا لله إني لأراك امرأ الصدق فيقول له: أنا عملك، فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة.وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول: ما أنت؟ فوا لله إني لأراك امرأ السوء فيقول له: أنا عملك فينطلق به حتى يدخل النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج: يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة، يعارض صاحبه ويبشره بكل خير، فيقول له: من أنت؟ فيقول له: أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله: ﴿**يهديهم ربهم بإيمانهم**﴾.

والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى

يقذفه في النار.

وقال ابن المبارك: ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية **﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾** قال: علموا أن كل نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا: أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين؟ قيل: لا، قالوا: إن هذا لهو الفوز العظيم.

وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه: أمن أهل الجنة من الموت فطاب لهم العيش، وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار الله طول المقام ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.اهـ من بدائع التفسير.

٢٢٢ـ [باب ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾].

ش: تمامها: ﴿له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾.

المعنى لا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك فإنا لا نتنزل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها، لله ما هو حادث من أمور الأخرى التي لم تأت وهي آتية، وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا، وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة، بيده ذلك كله، وهو مالكه ومصرّفه، لا يملك ذلك غيره، فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمراً إلا بأمره إيانا به.

وقوله ﴿**وما كان ربك نسيا**﴾ يقول: لم يكن ربك ذا نسيان فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يريده ويقضي في خلقه جل ثناؤه.

٢٥١ـ حدثنا أبو نعيم، حدثنا عمر بن ذر[1] قال: سمعت أبي[2] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا﴾».

ش: فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله «**ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا**» في بدء الخلق باب ذكر الملائكة «ألا تزورنا أكثر مما تزورنا».

---

(١) هو أبو ذر عمر بن ذر بن عبد الله بن زرارة الهمداني المرهبي الكوفي، ثقة رمي بالإرجاء من السادسة، مات سنة ثلاث وخمسين ومائة وقيل غير ذلك.خ.م.ت.س.فق.

(٢) هو ذر بن عبد الله المرهبي.ثقة عابد رمي بالإرجاء من السادسة مات قبل المائتين.ع

الثانية: في سبب هذا السؤال روى ابن جرير من طريق العوفيين وحكاه الحافظ عن ابن مردويه من طريق سماك بن حرب عن سعيد بن جبير كلاهما عن ابن عباس قال: «احتبس جبريل عن النبي ﷺ فوجد رسول الله ﷺ من ذلك وحزن. فأتاه جبريل فقال: يا محمد ﴿**وما نتنزل إلا بأمر ربك**﴾ الآية.

الثالثة: قوله «**فنزلت**» كذا هو عند المصنف في جميع الطرق وبهذا اللفظ. أخرجه الترمذي والنسائي.

٢٢٣- [باب ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾].

ش: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ أفرأيت يا محمد الذي كفر بآياتنا حججنا فلم يصدّق بها، وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وقال وهو بالله كافر وبرسوله ﴿لأوتين﴾ في الآخرة مالاً وولداً.

٢٥٢- حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: سمعت خباباً قال: «جئت العاص بن وائل السهمي أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمدﷺ فقلت: لا، حتى تموت ثم تبعث قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال: إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه، فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾».

رواه الثوري وشعبة وحفص وأبو معاوية ووكيع عن الأعمش.

ش: فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله «**جئت العاص بن وائل السهمي**» هو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام.

الثانية: قوله «**أتقاضاه حقاً لي عنده**» في البيوع باب ذكر القين والحداد «كنت قيناً في الجاهلية وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه» وفي رواية سفيان الآتية في الباب بعد هذا «فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً فجئت أتقاضاه» فتبين من هذه الروايات الدين ووقته.

الثالثة: قوله «**فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد**» وعند مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب سؤال اليهود النبي ﷺ عن الروح، من رواية وكيع «لن أقضيك حتى تكفر بمحمد» وعند النسائي في تفسير الآية من رواية أبي معاوية «والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد» وفيه دليل أن مطالبة خباب العاص بدينه كانت في الإسلام.

الرابعة: قوله «**فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث**» عند مسلم «إني لن أكفر» وعند النسائي «لا وا لله لا أكفر» وقوله «حتى تموت ثم تبعث» مفهومه أنه يكفر حينئذ لكنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال لا أكفر أبداً.

الخامسة: قوله «**وإني لميت ثم مبعوث**» في البيوع «دعني حتى أموت وأبعث» وعند مسلم «وإني لمبعوث من بعد الموت».

قلت: والحاصل أن عدو ا لله قال ما قال على سبيل التهكم والإستبعاد للبعث وسخرية بخباب لعلمه أنه مسلم.

السادسة: قوله «**قلت نعم**» أي ستموت وتبعث من بعد الموت وفي هذا تقريع وتوبيخ لعدو ا لله.

السابعة: قوله «**إن لي هناك مالاً وولداً فأقضيكه**» في رواية وكيع الآتية وعند مسلم «فسوف أقضيك إذا رجعت إلي مالٍ وولدٍ» وعند النسائي «فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيك».

قلت: ليس بين هذه الروايات مغايرة، فإنها كلها متفقة على ما انطوى عليه قلب عدو ا لله من الكفر با لله ولقائه، واستهزائه بالدين وأهله وإنكاره البعث.

الثامنة: قوله «**فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾ إلى آخر الآية**» في رواية سفيان الآتية وعند النسائي «فأنزل ا لله» وفي رواية وكيع الآتية، وعند الترمذي من رواية سفيان «فنزلت **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾** إلى آخر الآية».

قلت: هذا هو وجه الشاهد من الحديث وفيه كما ترى التصريح بأن سبب نزول الآية هو مقولة العاص بن وائل.

٢٢٤- [باب قوله ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾].

قوله ﴿**أطلع الغيب**﴾ إنكار على هذا القائل ﴿**لأوتين مالاً وولداً**﴾ يعني يوم القيامة أي أعلم ما له في الآخرة حتى تألى وحلف على ذلك، أم اتخذ عند الرحمن عهداً، أم له عند الله عهدٌ سيؤتيه ذلك.اهـ من ابن كثير.

٢٥٣- حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن خباب قال: كنت قيناً بمكة، فعملت للعاص بن وائل السهمي سيفاً، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد ﷺ حتى يميتك الله ثم يحييك قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد، فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال: موثقاً.

لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً، ولا موثقاً.

ش: قوله «**لم يقل الأشجعي عن سفيان سيفاً ولاموثقاً** ».

قلت: الأشجعي هو عبيد الله بن عبد الرحمن وقد تقدمت ترجمته وقد قالهما غيره وهو محمد بن كثير كما ترى.

وقد مضى شرحه في الباب قبله.

٢٢٥ـ [باب ﴿كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً﴾].

ش: قوله ﴿**كلا**﴾ هي حرف ردع لما قبلها وتأكيد لما بعدها ﴿**سنكتب ما يقول**﴾ أي من طلبه ذلك وحكمه لنفسه بما تمناه، وكفره بالله العظيم، ﴿**ونمد له من العذاب مداً**﴾ أي في الدار الآخرة، على قوله ذلك وكفره في الدنيا.اهـ من ابن كثير.

٤٥٢ـ حدثنا بشر بن خالد، حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، سمعت أبا الضحى يحدث عن مسروق، عن خباب قال: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي دين على العاص بن وائل، قال: فأتاه يتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ فقال: والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالاً وولداً فأقضيك، فنزلت هذه الآية ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً﴾.

مضى شرحه.

٢٢٦- [باب قوله عزوجل ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾].

ش: قوله **﴿ونرثه ما يقول﴾** أي من مال وولد نسلبه منه، عكس ما قال أنه يؤتى في الدار الآخرة مالاً وولداً، زيادة على الذي له في الدنيا بل في الآخرة يسلب من الذي كان له في الدنيا ولهذا قال **﴿ويأتينا فردا﴾** أي من المال والولد.اهـ من ابن كثير.

[وقال ابن عباس ﴿الجبال هداً﴾ هدماً].

ش: أخرجه ابن جرير: ثني علي ثنا عبد الله ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فذكره.وفي رواية ابن جريج عنه قال: الهد: الإنقضاض.

٢٥٥- حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب قال: كنت رجلاً قيناً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال فنزلت ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالاً وولداً أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً ونرثه ما يقول ويأتينا فرداً﴾.

آخر تفسير سورة مريم و لله الحمد والمنة، وتم بذلك الجزء الثاني ويليه الجزء الثالث وأوله تفسير سورة طه.

سورة المائدة

سورة براءة

سورة يوسف

سورة الكهف

سورة مريم